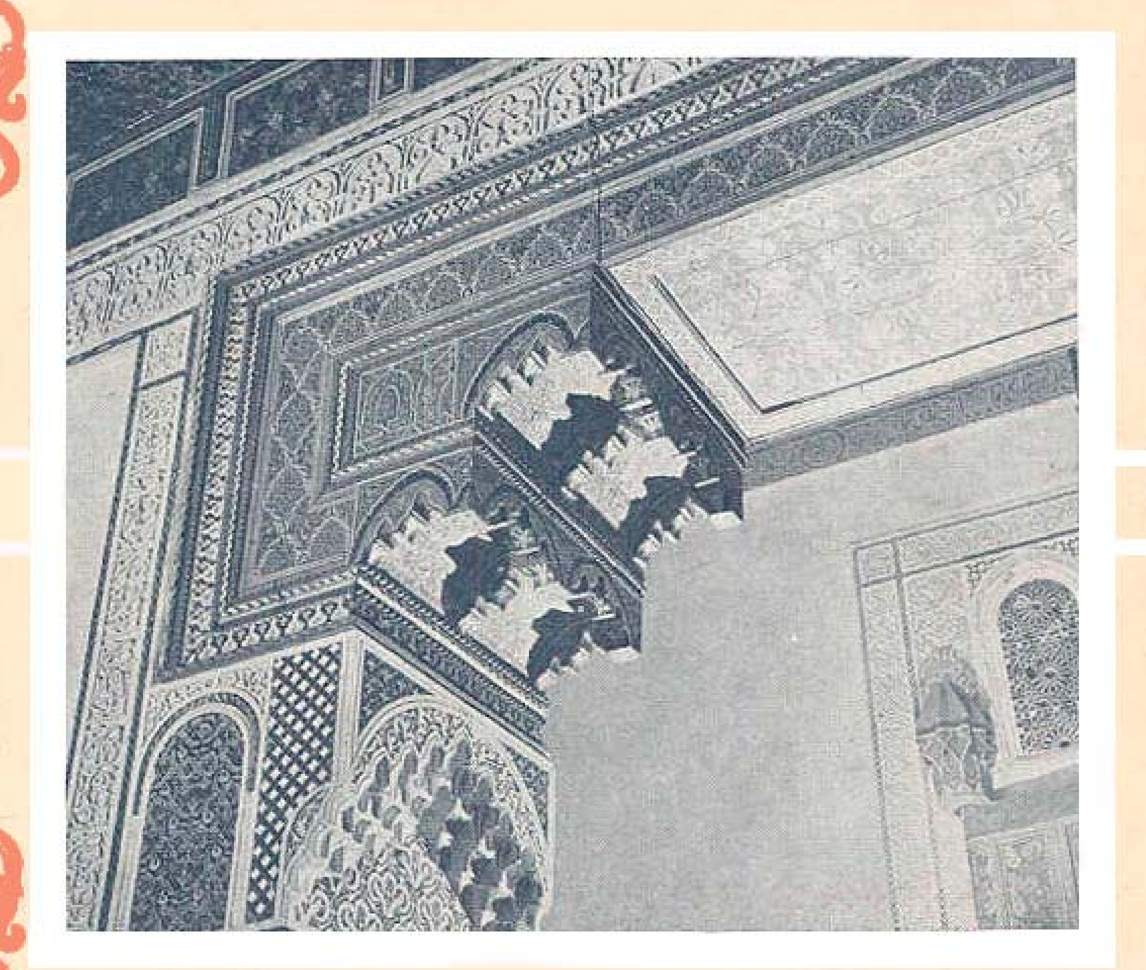


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الرابع - السنة الرابعة
شعبان 1380 يناير 1961
ثمن العدد : درهم واحد

حملة دينية للوعظ والارشاد

تنظمها وزارة الاوقاف بمناسبة شهر رمضان

نظرا لاهمية هذا الشهر المبارك ولمكانته في نفوس المسلمين ، وبأمر من صاحب الجلالة الملك المعظم الذي ما فتىء يولي عنايته الفائقة لشؤون الدين ، قامت وزارة عموم الاوقاف بوضع برنامج واسع لتعميم دروس الوعظ والارشاد في سائر انحاء المملكة المغربية .

ففي منتصف شهر شعبان استدعى وزير الاوقاف بعض النظار وباحثهم في قضايا سير الوعظ والارشاد بالمساجد التابعة لدوائرهم وابلغهم رغبة صاحب الجلالة في ان يتخذ شهر رمضان صبغة دينية تتلاءم ومعانيه القيمة الجليلة ، وان يكون مناسبة يتبارى فيها العلماء والفقهاء في حمل الناس على التفقه في امور دينهم واتباع سنة نبيهم وحث المواطنين على التشبث بالفضيلة ومكارم الاخلاق ، وتحقيقا لهذه الرغبة اصدر وزير الاوقاف تعليمات الى جميع نظار المملكة تقضي بتعيين وعاظ ومرشدين مقتدرين بمختلف المساجد التابعة لنظاراتهم ، وتنظيم دروس مستمرة في الوعظ والارشاد وتزويد المساجد بكل ما تحتاجه من لوازم .

وقد استدعى وزير الاوقاف من جهة اخرى عدة شخصيات من علماء الدين وحدثهم عن الدور الذي ينتظره منهم صاحب الجلالة في القيام بسلسلة من الاحاديث التوجيهية خلال هذا الشهر المبارك ، تراعى فيها المبادىء والاهداف التي اكدت عليها ديانتنا السمحة ، وقد اظهر العلماء جميعا استعدادا كبيرا وتطوع معظمهم لالقاء دروس دينية علمية في المساجد واحاديث اذاعية ، ولهذا سيستمع المواطنون خلال هذا الشهر الى سلسلة من الكلمات الدينية يلقيها كل ليلة وبالتناوب جماعة من اعلام الدين والفكر في المغرب .

اعاد الله هذا الشهر على صاحب الجلالة والشعب المغربي وسائر المسلمين باليمن والخير والبركات

871

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

ان الوحدة الروحية التي تربط بين النفوس في رمضان جديرة بالتأمل والاعتبار ، انها تريتا الى اي حد نستطيع ان نحقق انسانيتنا والى اي حد نستطيع ان نتجاوز ذواتنا فنتغلب على احقادنا ونقهر غرائزنا الدنيئة الرخيصة ، هذه الوحدة الروحية هي ما نحتاج اليه دوما وهي ما ينبغي ان نغتذي منه باستمرار ونحن نحاول بناء نهضة حديثة نستعيد بها اعتبارنا .

اما الذين يريدون ان يتخطوا فضائل هذا الشهر ويتجاوزوا مزاياه الروحية بدعوى المحافظة على قوة الانتاج ، فحسبنا ان نشير الى ان الانتاج كضرب من ضروب الفعالية الاقتصادية ينبغي ان ننظر اليه دوما من ازوية انسانية وان نوجهه طبقا لغاية واحدة هي خدمة الانسان في مجموعه واخصاب حياته وتفتيح كل ملكاته .

ان الانتاج الذي لا يستهدف تحرير الانسان واطلاق مواهبه ينقلب الى نوع من العبودية ، تضيع معه شخصية الانسان ، وتفقد اجمل ما فيها من قيم روحية ، وكلنا يدرك اليوم ما تعانيه الحضارة الغربية من ازمات ، نتيجة طغيان الالة الرهيب ، واستبداد الانتاج المادي بكل القيم .

ان شهر رمضان ليس سوى مناسبة ، مناسبة لتوكيد ايماننا بالله ، ومناسبة لتوحيد النفوس على صعيد روحي وقيم خالدة ، ومناسبة لاشعار الانسان بانه وحدة بشرية متكاملة ، ولهذا نعتبره مكسبا خلقيا قيما وزادا روحيا عظيما .

دعوة الحق



ما زال شهر رمضان يقابل بكل حفاوة وتقدير واجلال ، وما زال الناس يؤمنون بأن هذا الشهر جدير بنوع آخر من السلوك غير الذي جربوه من قبل ، سلوك الصدق والامانة والكف عن كل رذيلة في القول او العمل او النية ، وهم لهذا يحاولون جهد المستطاع الا تفوتهم اية فضيلة من فضائل هذا الشهر المبارك . فالصلاة تلتزم بها طواعية غالبية الصائمين يؤدونها بانتظام وبقلوب يغمرها الايمان ونفوس تملأها خشية الله، كما يزداد اقبال الناس على المساجد للتعبد والتامل في احكام الدين ومعانيه ومراميه ، بل ان كثيرا من المنازعات والمشاذات التي تحدث في هذا الشهر انما تحل بالكلمات الطيبة المستوحاة من شريعة الاسلام وقدسية هذا الشهر العظيم ، ولا نعرف شهرا يهتم فيه الناس باطعام المساكين والعناية بشؤون الفقراء مثل شهر رمضان .

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 11 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

اعترض علي احد الاخوان فقال انك لا تحافظ على الاصطلاحات العلمية ، فقلت له اذكر لي مثالا من ذلك فقال انه لا يحضره ولا مثال واحد . فقلت له ينبغي ان تعلم اني لم اقصد بهذه المقالات بيان المسائل العلمية ، لذاتها فحسب وانما اردت استخلاص العبرة والاستدلال على تدبير الخالق الحكيم ثم انني مترجم فمن اراد ان يعترض علي يجب عليه قبل ذلك ان يستحضر الاصل ويقابله بالترجمة ثم يعترض على ما يراه خطأ ، على اني لا احرص كثيرا على التدقيق في الترجمة بقدر ما احرص على سهولة العبارة وتيسير فهمها للقراء ، ثم ان الاصطلاحات العلمية الحديثة كلها الفاظ اجنبية لا يمكننا ان نخطىء فيها ولكن يمكن ان نفسرها ونشرحها .

ثم قال المؤلف : يظهر ان الحيوان له قدرة على تبادل الشعور تقوم مقام اللغات عند الانسان ، فمن ذا الذي لم يلاحظ ان جمعا من السمك المعروف بمنو يتحرك كله دفعة واحدة في وقت واحد ؟ ومن ذا الذي لم يراقب باعجاب الطائر المعروف بالطيطوى يطير ويحوم في الجو حتى تجتمع عليه سائر الطير ذوات الصدور البيض في اشعة الشمس فتجتمع كلها في وقت واحد ، فمتى اعطيت الاوامر وتلقيت لا يسمع صوت نقدر ان ندركه ، ومع ذلك يطيع السرب كله الاوامر كانه فرقة من جنود امرها ضابطها بامر فامتثلته ، بعضنا لا يصدق بوجود تبادل الشعور بين افراد الحيوان ، وبعضنا يصدق به ، ولكن لا احد منا يستطيع ان يفسر الاسلوب الذي يتفاهم به السرب .

متى حملت الريح فراشة انثى وادخلتها الى غرفتك من خلال النافذة ، ترسل في الحين باشارة خفية الى الفراشة الذكر وبينهما مسافة بعيدة جدا فتتلقى الفراشة الذكر تلك الرسالة وترد جوابها ، وان احدثت رائحة شديدة في معملك لتمنع تخاطبهما لم يجدك ذلك نفعا ، فهل يوجد لدينك المخلوقين الضعيفين جهاز ارسال اي محطة اذاعة يتحادثان بها ، او تراهما تهز الاثير فيتلقى هو الاهتزاز ويتفاهمان بذلك ؟ وماذا تقول في انثى الجنادب حين تحك ساقيها او جناحيها في ليلة هادئة فيسمع ذلك رفيقها على مسافة نصف ميل ، انها تهز ستمائة طن من الهواء لتنادي رفيقها ، والفراشة التي تعمل في عالم من عوالم الطبيعة تنادي رفيقها في سكوت تام ، وقبل ان يكتشف الراديو كان العلماء يظنون ان رائحة تنبعث من الفراشة الانثى فيشمها الذكر ويفهم منها مراد الانثى ولو كان هذا صحيحا ايضا لكان من خوارق العادة لان الرائحة اذا انبعثت في الهواء تنبعث في جميع الجهات بهبوب الريح او بدونه فيكون على الفراشة الذكر حين تصلها هباءة من الرائحة ان تميز من اي جهة جاءت فبقيت المشكلة بلا حل .

ونحن الآن نبذل جهدنا في توسيع علم الميكانيك لتتطور المواصلات وتتسع دائرتها ، وسياتي اليوم الذي يستطيع الشاب فيه ان ينادي محبوبته من مسافة بعيدة بدون استعمال وسائل ميكانيكية فترد له الجواب دون ان يحول بين تخاطبهما جدار ولا باب مغلق ، ان التليفون والراديو من الآلات العجيبة نستطيع بهما ان نتحادث من مسافات بعيدة ، ولكننا مقيدون بالسلك والمكان ، وعلى هذا نرى ان الفراشة لا تزال متفوقة علينا ، ولا يسعنا الا ان نغبطها على ذلك حتى تستطيع ادمغتنا ان تخترع الراديو الفردي وحينئذ نتمكن من تبادل الافكار على الوجه الاكمل ، والنبات يحتال في استخدام اشياء لاستمرار وجوده دون

رغبة من تلك الاشياء ، فمن ذلك الحشرات التي تحمل اللقاح من زهرة الى اخرى ، والرياح ، وكل شيء يطير او يمشي ليوزع اللقاح ، بل استطاع النبات ان يستخدم الانسان وهو سيد هذه المخلوقات فصار الانسان يحرث ويزرع ، ويشذب كل ذلك بفعله خدمة للنبات لينمو وتتحسن حاله وعلى الانسان ان يخزن الحب والثمار ويحفظها واذا لم يفعل عوقب بالمجاعة ، وانحطت المدنية ، وعادت الارض خرابا .

والطيور التي تؤخذ صغيرة من اعشاشها حين تكبر تصنع اعشاشا كاعشاش آبائها ، وامهاتها ، وللعادات المتوارثة اصول بعيدة في ظلمات القدم ، فهل هذه الاعمال نتيجة المصادفة ام نتيجة اعداد حكيم ، ان في هذا لكفاية لاظهار العادات الوراثية التي نسميها بالغرائز ، ولا نجد من بين انواع الحيوان التي جابت الارض طولا وعرضا مثل الانسان في قوة التعليل ، فهو وحده الذي نمى معرفته بالارقام ، فلو ان احدى الحشرات عرفت عدد ارجلها لما امكنها ان تعرف عدد ارجل اثنتين من نوعها لان ذلك يتطلب التفكير وقوة التعليل .

وكثير من الحيوانات هي مثل سرطان البحر ، الذي اذا فقد مخلبا ، عرف ان جزءا من جسمه قد ضاع ، بادر الى تعويضه باعادة تنشيط الخلايا وعوامل الوراثة ، ومتى تم ذلك كفت الخلايا عن العمل لانها تعرف بطريقة ما ان وقت الراحة قد جاء .

والحيوان المائي المعروف بكثير الارجل اذا قطع نصفين يقدر ان يصلح نفسه بواسطة احد النصفين ، واذا قطعت رأس دودة الطعم فانها تسارع الى صنع راس بدله ، ونحن نقدر ان نهيىء التئام الجروح ولكن متى يتمكن الجراحون اذا كانوا سيتمكنون ان يعرفوا كيف يحركون الخلايا لتصنع ذراعا جديدة او لحما او عظاما او اظفارا او اعصابا، وهناك حقيقة مدهشة تلقي بعض الضوء على سر هذا الخلق من جديد : فان الخلايا في المراحل الاولى من من تطورها ان تفرقت تستطيع كل واحدة منها ان توجد حيوانا كاملا ، لذلك اذا انقسمت الخلية الاصلية الى قسمين وتفرقا ، استطاع كل نصف ان يتطور الى حيوان كامل وربما يفسر ذلك التشابه الذي يكون بين التؤامين ، ولكن يدل على اكثر من ذلك فان كل خلية في البداية يمكن ان تكون حيوانا كاملا ، وهذا ما يدلنا بلا شك على ان احدنا موجود باكمله في كل خلية ونسيج من جسمه ، وهذه الطريقة العجيبة التي يمكن الاشارة اليها في سهولة وصدق في المزمور رقم 139 — 16/14 من مزامير داود .

يقول المزمور : (امجدك لاني خلقت بشكل رائع عجيب ، ان اعمالك عجيبة ، وان نفسي لتعلم ذلك حق العلم ، ان اصلي لا يخفى عليك حين خلقتني في الخفاء من ادنى اجزاء الارض خلقتني في احسن صورة ، وكانت عيناك تريان اصلي قبل ان يتم خلقي ، وفي كتابك كل اعضائي كانت مكتوبة واستمر تصويرها ان تتطور بها كل خلية الى كائن حي مستقل قد وقعت بعد ان لم يكن هناك واحد منها) .

ويمكننا ان نكتب صفحات في عجائب الشعور الذي لا يزال في الوقت الحاضر وراء ادراكنا ، ولكن هذه الامثلة كافية تماما لتدلنا على انه لا يزال امامنا كثير مما يجب ان نتعلمه .

وما دام الانسان لم تتكون له حواس جديدة او اختراع آلات ميكانيكية تساوي ما عند الحيوانات من القابلية فان امامه طريقا طويلا للتطور ، ان كل قابلية توجد عند الحيوان ولا توجد عندنا هي تحد لذكائنا ونحن لا نزال ناقصي العلم الى ان نجد جوابا لهذا التحدي اننا الى الآن لا نستطيع ان نفهم الغريزة فهما تاما ، ولذلك لا نستطيع ان نضع اسسا على معرفة ناقصة والى ان نملك كل حاسة ربحتها الكائنات الحية الاخرى ، فاننا سنبقى عاجزين عن ادراك الارتباط الحقيقي الذي بين قوانين الطبيعة ، وسنبقى باحثين فيما لا نهاية له بفهم جزئي ، ان التطور الروحي للانسان هو الآن في البداية ، والقبس الالهي قد بدأ يسيطر في بطء على عقله المادي ، واخطاء الانسان التي توصله الى هلاك نفسه بيده ، انما هي مآسي طفولته ، وزماننا اذا قيس بالازل الماضي والابد المستقبل ، لا يزيد على دقة الساعة ، لكن الروح التي فينا تتعلق بالازل والابد جميعا .

ونحن اذا فكرنا في الفضاء الذي لا يفتأ يمتد امامنا ، وفي الزمن الذي لا بداية له ولا نهاية ، وفي القوة المقيدة والمحبوسة في الذرة ، وفي الكون الذي لا حد له بعوالمه التي لا تحصى ونجومه التي لا تعد وفي الاهتزازات التي نسميها بالضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيسية ، وفي النشاط المستمر للنجوم ، وفي الجاذبية وسيطرة القوانين الطبيعية على العالم ، اذا فكرنا في ذلك كله ادركنا في الحقيقة اننا لا نعلم الا قليلا ، فكم يجب ان يتقدم الانسان قبل ان

يعلم حق العلم ويتيقن وجود الخالق الاعلى ، ويحاول ان يرتفع الى اعلى ما يستطيع بلوغه من الفهم ، دون ان يحاول تفسير حكمة الله ومقاصده او يحيط بكنه صفاته تعالى .

تعليقات

1) ان تحرك سرب من السمك دفعة واحدة في لحظة واحدة لامر عجيب فلو قدرنا ان جماعة من البشر ارادوا ان يفعلوا مثل ذلك لاحتاجوا الى مفاوضات طويلة واشارة واضحة يسمعها كل واحد منهم او يبصرها كاطلاق عيار ناري مثلا او ارسال ضوء قوي في الفضاء هذا اذا كانوا مستيقظين او كانت عندهم ساعات دقيقة لا تخطيء كساعة بكبن التي تذيع ضرباتها اذاعة لندن فربما يتوفقون مع هذه الوسائل الى التحرك دفعة واحدة في وقت واحد ومن المعلوم ان الحيتان ليست لها لغة كلغات البشر ولا آلات لضبط الوقت ولا اشارات ، فماذا يقول المتفلسف الذي ينكر ما لا علم له به وما لم يفكر فيه ولا درسه اخلادا منه الى الراحة وارضاء لسادته ذئاب الاستعمار . يجب عليه ان يفسر لنا هذه الاسرار ويعللها وليستعن بمن شاء من سادته ان كان صادقا ، وهيهات هيهات لن يستطيع ذلك حتى يلتقي سهيل والثريا ، وحتى يصير الباطل حقا والكذب صدقا .

2) الآية العظيمة في اعطاء قائد الطيطوى الامر لسائر افراد السرب دون ان يتكلم بلغة تفهمها ولا بلغة لا تفهمها ، فماذا يقول الجاحدون في خطاب نملة سليمان لسائر النمل ، هل يستطيعون بعد الاطلاع على هذه الحقائق ان يجحدوا تبادل الشعور بين افراد الحيوان ؟ لقد قال بعض الاوربيين المنصفين الاحرار ان اول كتاب ذكر فيه ما يدل على ان افراد الحيوان لها وسيلة تتفاهم بها هو القرآن اذ جاء فيه في سورة النمل (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فالى القرآن يرجع الفضل في اقبال العلماء على البحث في تفاهم افراد الحيوان ومعيشتهم الاجتماعية وانظمهم الدقيقة .

3) اما قصة الفراشتين والجنادب : فقد علق عليهما المؤلف بما لا مزيد عليه ، ان في ذلك لآيات للمؤمنين وقوارع مخجلة للجاحدين .

اتاكم رمضان

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال وقد حضر رمضان : اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله الى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته فاروا الله من انفسكم خيرا فان الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل .



لا ينكر منصف ان حسن السلوك والوازع النفساني لهما آثار جليلة النفع وانهما اذا وجدا يوفران من الاتعاب على الولاة والحكام وادارة الامن ورجال المال والاعمال ما لا توفره القوانين والاجراءات الادارية على الرغم مما تحتاجه من كثرة رجال ووفرة اموال لتطبيقها واجراءاتها ، لذلك كان تهذيب النفوس ليحسن سلوكها وتربية الضمائر وبعث الشعور الحي فيها من اهم ما يلزم الامم لتنعم بالحياة الطيبة والاطمئنان في الوجود الانساني ولا يكون المجتمع راقيا حقيقيا الا اذا كان اهله ذوي ضمائر حية وسلوك حسن ليؤدي كل فرد ما عليه من واجبات عن رغبة وطيب نفس وياخذ ماله من حقوق من المسؤولين وغير المسؤولين بسهولة ويسردون حاجة الى الحاح او اغتصاب او تذمر وشكوى .

وهذا ما يجعل توجيه المجتمع هذه الوجهة الصالحة التي تعود عليه بكل خير من المصالح العامة التي يتعين ان تنفق عليه الدولة قسطا مهما من الاموال والمجهودات وهذا ما تفعله الدول التي تهتم بالمصالح الحقيقية فلو عمت التربية الصالحة في الشعب لاستراحت محاكم القضاة من كثرة المشاغبين ومحاكمة من ياكلون اموال الناس بالباطل كما يقال لو انصف الناس لأستراح القاضي . كما ان ادارة الامن يهدأ بالها من كثرة المخالفات وتعقب اصحاب الجنايات وبحسن سلوك الموظفين في جميع الادارات فلا تكون حاجة الى مجالس تاديب الموظفين وتخف كذلك النزاعات بين العمال واصحاب المعامل الى اقل نسبة نظرا لتشبع النفوس بمعرفة الحقوق والواجبات والتعاون على البر والتقوى وان تعاليم الدين السامية تتكفل برفع المجتمع الى هذه الذروة العليا من الصفات الكاملة بتعاون اجزائه وتناصحهم في اداء مهماتها الاجتماعية على احسن الوجوه فقد صح عن النبي (ص) انه قال الدين النصيحة (3) قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فنصيحة المومن لله تظهر في توحيده واخلاص عبادته . وفي وصفه بما وصف به نفسه من اسمائه الحسنى وصفاته العليا ، ونصيحة كتابه تكون بالوقوف عند احكامه وحدوده والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والاعتبار بمواعظه ونشر علومه والدعاء اليه .

والنصيحة لرسوله تتطلب الايمان برسالته والعمل على طاعته ونصرة سنته والسعي في تعلمها وحفظها وتعليمها والذب عنها .

ونصيحة ائمة المسلمين تكون بطاعتهم في الحق ومعاونتهم عليه وتذكيرهم به واعلامهم بما غفلوا عنه وبما لم يبلغهم من أمور المسلمين .

والنصيحة لعامة المسلمين تكون بارشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الاذى ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتنشيط هممهم للطاعات واذا حملنا النصيحة على هذا التفسير ببيان جميع متعلقاتها تكون هي مجموع الدين بما فيه من عقائد واحكام وآداب فلا نحتاج الى اي تأويل في هذا الحمل على غرار تأويل « الحج عرفة » واشباهه من الجمل . واذا عمت النصيحة بين افراد المجتمع على هذا النمط لا شك انه يكون افضل المجتمعات لجمعه بين مصالح المعاش والمعاد والنبي (ص) لم يدخر وسعا في ترغيب المومنين في التمسك باهداب جميع الفضائل ليكون المجتمع

الاسلامي نموذجيا بين كافة البشر ومن ذلك الدعـوة الى الخير عن طريق البشارة الكبرى لصاحب العمـل الذي يعم نفعه ويعود بالخير على المجتمع مثل ذلـك الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبـه معلق بالمساجد اذا خرج منها حتى يعود اليها ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعتـه امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . فليـس المراد خصوص ان هؤلاء المتصفين بهذه الصفات يكونون في ظل الله وحمايته ورعايته آمنيـن من الخـوف والعذاب واهوال الموقف يوم القيامة لانهم قاومـوا شهوات النفوس وادوا حقوق الله وحقوق عباده بـل النبي (ص) يريد بهذه البشرى ايضا جذب المومنيـن للتخلق بهذه المحامد والفضائـل حتى يكون المجتمـع الاسلامي متكونا من هؤلاء جميعا فيكون مجتمعا راقيا فيه العدل والعبادة وعمارة المساجد والمحبة في اللـه والبغض فيه والعفة وترك الزنى والمواسـاة والاحسان بكثرة الصدقة واخفائها وفيه خشية الله التي تجمـع كل خير وتوصل الى كل سعادة ؛ فاول من قدم لـه الرسول هذه البشرى العظيمة رأس الامة وراعيهـا الامين الامام العادل الذي لا يحكم بالشهوة ولا تبلـغ ساحته الرشوة ولا يولـي في الوظائف على الرعيـة الا نزيها وكفؤا لاعماله شريفا في اخلاقه واحوالـه فينتشر العدل من الامام ونوابه في كل مكان وقد وهب الله للمغاربة وله الحمد ما وهب واولى اماما ضـرب المثل في الاخلاص والتضحية والعمل قاد السفينـة في وقت الاضطراب والاهوال الـى ميادين الحريـة والاستقلال نصـره الله وايـده .

الثاني الشاب الذي نشأ في عبادة الله حتى يكون قدوة في الخير لاخوانه وفي ذلك كل خير للمجتمع لان الشبان اذا نشأوا على العبادة والديـن اخلصـوا في التضحية وخدمة امتهـم فحـازت قصب السبـق في افضـل الميادين .

الثالث رجل تعلق قلبه بالمساجد لانه طاهـر الروح على قدم المصطفى يرى قرة عينه في الصـلاة وبكثرة امثاله يقوى الخير والبر في المجتمع لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهو وان تناول امور المعاش بالاخذ والعطاء من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عـن ذكـر اللـه .

الرابع المتحابان في الله بحيث تكون المبـادىء السامية هي التي تجمع بين قلبيهما وعلى هذا الاساس كانت مكانة بلال الحبشي ممتازة عند الصحابة اكثـر من قرابة خلت من اعتقاد الحق والعمل به كما قـال البوصيـري في وصف عمـر :

والذي تقرب الاباعد في الله اليه وتبعد القرباء .

وعلى هذا الاساس قال النبي عليه السلام : سلمان منا آل البيت .

الخامس رجـل استطـاع ان يقاوم الشهوات في ازهى صورها واقوى دواعيها من اجل مخافة اللـه التي غمرت قلبه وملكت مشاعره ولبه فاجاب المراة ذات المنصب والجمال التي دعته الى نفسها بقوله اني اخاف اللـه .

السادس الاخلاص في الاحسان واخفاؤه حتـى لا يشاب بحب فخر ولا رياء من حظـوظ النفـوس البشريـة .

السابع رجل غلبه الشوق الـى الله والتفكر في صنعه وملكوته وعظمته تفكرا يبعث على الخشـوع وتفيض من اجله الدمـوع ولا شـك ان المجتمـع اذا اشتمل على هذه الطوائف الطيبة النفوس الكريمـة المنبت والفروس يكون مجتمع اطهار تغمره السعادة وتتمتع نفوس اهله بالرضى والاطمئنان .

وقد مرت في مختلف العهود الاسلامية في المغرب والمشرق امثلة لامعة بلغت ذروة العلم والرياسـة فلازمها الزهد والورع كعمر بن عبد العزيز والحافظ بن حزم الذي تخلى عن الوزارة للاشتغال بالعلم فبلـغ فيه المكان الاسمى ويوسف بن تاشفين الذي كان يتعبد ويكثـر الصوم وقت جهاده ومؤسس دولة المرابطيـن عبد الله بن ياسين وحماس بن مروان الذي تولـى قضاء افريقيا فجمع الله عليه القلوب واظهر العـدل ولم ياخذ عن قضائه اجرا حتى اوصـى ابنـه وقت احتضاره ببيع كتبه لشراء كفنه ، فقد حكى عنه ابن فرحون في الديباج انه خرج ليلة من بيته وابنه سالم يتهجد في بيته والعجوز في بيتها تقـرأ وتركـع وتبكـي والخادم يصلي فوقف في الساحة وقال يا آل حمـاس الا هكذا فكونوا ويضيـق المقام عن كثرة الامثلة ومدار صلاح المجتمع على الايمان والتعاون على البر والتقوى وما عدا ذلك فهو كله من لهو الحياة وقد قال الله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر واللـه يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم .

منهاج محمد عبده فى الإصلاح الإسلامي

للأستاذ: عبد السلام الهراس

ان الحديث عن منهاج الامام محمد عبده فى الاصلاح يتطلب مجلدات . فالرجل كان امة وحده . وعندما يعيش الانسان معه ومع افكاره ونشاطه يظن ان الامام كان يستخرج من يومه اياما ويمطط وقته ليجعل منه اوقاتا ليستطيع ان يسع مجهوداته الجبارة .

وقد كنت احاول ان اتناول افكاره بكثير من التوسع ، خصوصا وهي ما تزال تحتفظ بقيمتها فى فى كثير من نواحيها فى عصرنا الحاضر ، وكأنه يتحدث عن مشاكلنا التي نعيشها فى المغرب وفى العالم الاسلامي، على الرغم من التغيرات الكبيرة التي طرات على حياتنا العامة والخاصة . كنت احاول وارجو ذلك الآن ، غير اني لضيق الوقت سأؤجل تلك المحاولة واحقق ذلك الرجاء فى فرصة اوسع من هذه ، ولكن هذا لا يمنعني من ان اتحدث عن منهاجه فى خطوطه العامة .

ان ظروف العالم الاسلامي التي كان يعيشها ايام محمد عبده كانت ظروفا قاتمة فى جميع جوانبها ، فقد كان المسلمون يؤدون عن يد وهم صاغرون جزية تلك السلسلة من الامراض الاجتماعية النفسية الكثيرة التي تحدرت اليهم من القرون السالفة . وكانت الدول الاستعمارية تتداعى فيما بينها لتقسيم تركة « الرجل المريض » كما كانوا يطلقون على الدولة العثمانية ، وتتخذ مختلف الوسائل لتتميم رسالة اجدادها الصليبيين الذين تركت مغامراتهم الوحشية اقدس الآثار فى نفوس اجيالهم الجدد .

وكانت مصر احد الاقطار الاسلامية التي نالت نصيبها الوافر من تلك التركة الاسلامية المسلولة ، وكانت تعيش كباقي الاقطار الاخرى كما يقول السيد رشيد رضى : فى ظلمات بحر من الظلم لجى ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض : ظلمة الجور والظلم ، وظلمة الفقر والفاقة وظلمة الشرور وفساد الاخلاق والآداب ، وظلمة تحكم الاجانب وسيطرتهم على الحكومة .

وفى هذه الاثناء التي كانت عوامل الهدم تعتور الكيان الاسلامي بقوة بالغة، والمؤامرات الاستعمارية، تمزق بانيابها الطويلة الحادة الوطن الاسلامي الكبير الذي تساقطت اجزاؤه فى قبضة الصليبيين الجدد ، فى هذه الاثناء ، انطلقت صرخة الانذار والبعث من جمال الدين الافغاني ، فكانت اشد ما تكون قوة وحماسة ، وكأنها استجمعت بقايا قوى الايمان المبعثرة هناك لتفجر فى نفوس المسلمين طاقاتهم التحررية من ربقة العبودية البشرية . انطلقت تلك الصرخة توقظ المسلمين من غطيطهم ، وتبصرهم بالاخطار التي شملت نواحي حياتهم ، وتهيب بهم أن يقاوموا الاستبداد والاستعمار . وكانت لهذه الصرخة اجنحة البرق ، فانتشرت فى العالم الاسلامي انتشار اضواء الشمس فى الظلام ، وازعجت الاستعمار الانجليزي ايما ازعاج ، وكان لها اقوى استجابة فى مصر . وكان محمد عبده عنوان تلك الاستجابة ، وحامل لواء الرسالة من اجل انتشال العالم الاسلامي من عهود العبودية والغرور . وقف جمال الدين الافغاني مشرفا على العالم الاسلامي وهو يصيح فى ابنائه " هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكوتكم ، انفضوا غبار الغباوة والخمول ، عيشوا كباقي الامم احرارا سعداء ، او موتوا مأجورين شهداء ، الى غير ذلك مما من شأنه — كما قال السيد رشيد رضى — ان يحرك

الماء فيجعله نارا ، ويثير نسيم الصبا فيغادرها اعصارا ... ولكن هذه الصيحة لا تعني الا الدعوة للثورة على الظلم والاستعباد ، وتمزق ذلك السكون الذليل الذي خيم على ارجاء العالم الاسلامي في الجملة ، وان كانت تحمل روحا جديدا منبعثا من اعماق شخص قد استشعرت اعماقه ءالام العالم الاسلامي على نحو فريد ، وادركت النكبة التي سيصير اليها . الا ان العالم الاسلامي ليس في حاجة الى من يثيره فقط ، لان ادوار البطولات الانفرادية لا تكفي في حل المشكلة الاجتماعية التي تتفرع عنها جميع المشاكل الاخرى ، بل انه في حاجة الى من يحدد له الاهداف بوضوح والوسائل الفعالة للوصول لتلك الاهداف ، وتمكينه من كيفية استخدام تلك الوسائل على نحو منتج . وفي رسم معالم الطريقة للاصلاح ، ادلى المصلحون المحدثون بآراء مختلفة ، وان اتفقوا على الغاية وهي تحرير العالم الاسلامي وانقاذه من الهاوية ، ووجوب عودته الى الاسلام . ولنتعرض هنا فقط لفكرة جمال الدين في عمومها باعتباره استاذا للامام محمد عبده .

ان جمال الدين يرى ان الوحدة الدينية هي الاساس الحق لكل نهضة سياسية ، بل هي بمثابة الروح في الجسد . ولا خير في تقدم لا يبنى على قرآننا وديننا . وبدون دين لا نستطيع ان نتخلص من السيطرة الاستعمارية . ويرى جمال الدين ان اوربا نهضت بسبب الحركة الدينية التي قامت على يد المصلح البروتستانتي لوثر ، وان كان استاذنا مالك يعزو اصل الحضارة الاوربية الى عهود المسيحية على ايام شرلمان الذي كان يناصر الدين المسيحي .

وما يصرح به جمال الدين هو الذي كان يدعو اليه غاندي بكل قوة والحاح ان الحضارة الغربية شر خبيث لانها تعبد المادة والآلة . انه يقول : ولكننا ايضا في حاجة الى الضوء الثابت المستقر ، ضوء الايمان الديني . ويرى طاغور نفس الراي ، وان كان قد عرف بمشايعته او بنوع من التفاهم مع الحضارة الغربية بعكس غاندي كما يشارك جمال الدين في رايه الامير شكيب ارسلان الذي يسفه آراء بعض الشباب الذين يظنون عن جهل وسطحية ان اوربا اسست مدنيتها على الالحاد . وقد ضعفت اوربا اليوم بسبب ضعف عقائدها الدينية . وهذا الراي هو الذي توصل اليه اخيرا العلامة الانجليزي المؤرخ توينبي ، فقد كان لا يعترف بقيمة الدين في تكوين الحضارات ، ولهذا لم يعره الاهتمام اللائق في كتاباته السابقة ، غير انه اصبح اليوم يعتقد ان للدين القيمة الاساسية في تكوين الحضارات ، وان الحضارة الاوربية ستنهار ان لم تعتمد على دين يمكنها من الوسائل لحل مشاكلها المتزايدة . ولكن الدين الذي يريده جمال الدين للمسلمين هو دين السلف الذي لم تلوثه وثنية المنحرفين ، ولم تفسده عقائد مثبطة بثها المفسدون وضعاف العقول في ثنايا الثقافة الاسلامية . فاذن لابد من تنقية هذه الثقافة مما علق بها من ميكروبات تنحرف بها عن اهدافها وتبث في طريقها العراقل وتقلل قيمتها في العلاقات الاجتماعية وفي العلاقات بين الارض والسماء . ويرى ان الاسباب الآتية كفيلة بحفظ الدولة : الاتحاد وعدم الركون الى الاجانب واسناد الوظائف لهم ، والتعاون والقيام بالواجب المفروض على كل فرد ، وعدم الاستبداد بالراي ، والاعداد المادي لمواجهة الاخطار ، واعطاء الحقوق لاهلها ، ووضع امور الدولة من وظائف مختلفة في يد كفء لها صالح للقيام بها . وما وصل المسلمون الى ما وصلوا اليه من انحطاطات الا بمخالفة تلك المبادىء وتغيير تلك القيم ، استجابة لشهوات في نفوسهم ، ولانحرافات في غرائزهم ، ضاربين بمصالح الامة العليا لجج البحر ، لا يهمهم الا الحصول على لذائذهم المادية الحاضرة ، وان اودت بمستقبل الامة واسلمتها الى الهلاك والفناء . ولسنا في حاجة الى لفت النظر الى ان تلك الاسباب كلها او بعضها ما تزال قائمة في بعض اطراف العالم الاسلامي : « ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ولكن تطبيق هذه المبادىء يحتاج الى مجهود كبير ، والى تعب متواصل ، لان الوصول الى القمم دونه العقبات والاخطار . ولكن على كل حال هناك في القمم توجد السلامة والراحة والرقي . (ومن يتهيب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر) .

فالشجاعة شرط اساسي لتندفع الامة غير مبالية بالاخطار نحو تحقيق اهدافها ومثلها .

يرى استاذنا الدكتور محمود قاسم ان جمال الدين كان يضع حلولا ساذجة لمشاكل ضخمة وان كان لم يوضح هذه الفكرة بحيث نقتنع بها . ونستطيع ان نلخص طريقة جمال الدين في الاصلاح بانه كان يريد تجديد الامة باصلاح الدولة ، باصلاح النظام السياسي ، ولذلك نراه يدعو الشعوب للثورة على الملوك المستبدين ويهددهم ويصارحهم ولو كانوا غرباء ، كما حدث له مع قيصر روسيا ، ويطالبهم بان يعطوا الحقوق السياسية

الشعب ليتاح له ان يشارك في حكم نفسه عن طريق الحكومة الديمقراطية . وهو وان كان يرى وجوب بث العقائد الصحيحة في النفوس ليتفهم الناس دينهم الصحيح ، الا انه كان يلح على الناحية السياسية والحكومة النيابية ، لانه يرى من الخطأ القول « كيفما تكونوا يولى عليكم » بل « كيفما يولى عليكم تكونوا » . واذن لا سبيل لاصلاح العالم الاسلامي الا عن طريق تغيير نظام الحكم . وكان يرى في الخليفة عبد الحميد العثماني مرضا خطيرا وسلا في رئة العالم الاسلامي ، لانه يمتنع عن تغيير نظام الحكم ويعتمد في عرشه على نظام جاسوسي وعلى دعايات فارغة يشيعها اعوانه بين المسلمين ، مما كان يساهم مساهمة فعالة في نومهم وقعودهم عن مواجهة الاخطار بانفسهم وبمسؤوليتهم ، ولعل ضخامة الوسائل في في تغيير الانفس وتبديل الافكار وايجاد امة جديدة مع الخطر المحدق بالعالم الاسلامي . كل ذلك كان يدفعه لاستعمال الاصلاح السريع عن طريق سياسي.

في الحقيقة ان مجرد تغيير اسماء لا يؤدي الى تغيير افكار وارواح ، وما نظن ان الهدف الرئيسي كان بتبديل نظام بنظام فقط ، بل كان هدفه ايجاد نظام ديمقراطي يساعد على بث الفكرة التي يريدها والاصلاح الذي يرجو القيام به ، لان الاصلاح لن يرى النور في ظل نظام دكتاتوري متعفن يسوده حكم فرد يدعي انه خليفة المسلمين ، في حين يعمل على عرقلة كل محاولة لاصلاح العالم الاسلامي ، خوفا من زلزلة مركزه الذي خسره بعد حين على يد الاجانب وجمعية الاتحاد والترقي الرجعية ايضا . فجمال الدين مع ذلك يرى وجوب نشر العقائد الصحيحة في النفوس ، ولكن هذا يحتاج بالطبع الى زمن طويل نسبيا . وجمال الدين يريد الانقاذ بسرعة فائقة ، لان الخطر داهم وفي حالة الانقضاض ، فهو كان يريد الانقاذ والاصلاح في آن واحد . وقد يكون لطبيعته الهائجة الثورية الحادة تأثير في استعجاله الاصلاح عن طريق قلب نظام الحكم في العالم الاسلامي ، وقد تكون هي السبب في عدم تخطيط جمال الدين لنظام اصلاحي دقيق ، غير اننا نظن ظنا قويا ان للظروف التي كان يعيشها العالم الاسلامي تأثيرا اكبر في موقفه ذاك ، اذ كانت تلك الظروف تنكر على نفسه شعوره بالمأساة التي آل اليها هذا العالم . انه كان يرى وجوب اجراء عملية لنظام الحكم بتغييره الى حكم نيابي ، ليصبح الشعب شاعرا بمسؤوليته ، مضطلعا باعبائه ، وليطلع على ما يحاك ضده من دسائس ، وليعيش المشكلة بذاته قبل ان يفوت الاوان ، وقبل ان تلقى الخلافة مصرعها على يد الاستعمار المتربص . ولقد حاول ان يدعو لفكرته في قلب العالم الاسلامي فلم يجد الا التنكر لمبادئه من الملوك واصحاب المطامع وبعض ذوي النيات الطيبة الذين نظروا اليه بعين ملونة بتلوين الدعايات المغرضة ومن وراء الجميع جهاز الاستعمار الموجه سرا وعلانية . وكان الطرد والتشريد والعنف جزاء وفاقا لافكاره الخطيرة . اذن فليذهب لباريس ، ليصدر مجلة « العروة الوثقى » بالتعاون مع تلميذه محمد عبده ، وقد اتخذها وسيلة لتهييج العالم الاسلامي على الاستعمار الانجليزي ، كما الف جمعية سماها باسم المجلة ، ووضع لها نظاما حسب تجربته التي خرج منها في كفاحه وفي اتصالاته مع الافراد والهيئات والجمعيات ، وبالاخص الجمعية الماسونية التي كان قد انتسب اليها في بعض الايام ، غير انه استقال منها بعد ذلك لاطلاعه على انحرافها ، ويأسه منها في تحقيق امنيته التي من اجلها انتسب اليها . وقد كافحت تلك المجلة وجاهدت وحثت المسلمين – وبالاخص المصريين – على العمل من اجل احباط المؤامرات الانجليزية . وعندما نتصفح عناوين المقالات المحررة في المجلة ، نرى اكثرها سياسيا عنيفا مثل : « حيلة انجليزية » ، « فرصة يجب ان لا تضيع » ، « نكاية الانجليز » ، « كيد الانجليز في مصر » ، « اخفاق سعي الانجليز » . وبجانب هذه الموضوعات ومثلها توجد بعض المقالات الاخرى التي تناقش « الطبيعيين » وتبحث في فكرة القضاء والقدر وفي اسباب رقي الامم وانحطاطها . وكان شعار المجلة تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا ، من تطاول الاجانب عليهم والافساد في بلادهم . وقد خص المسلمين بالذات ، لانهم العنصر الغالب الذي غدر به الاجانب واذلوا اهله اجمعين ، واستأثروا جميع خيراتهم . وكان الغرض من تأسيس جمعية العروة الوثقى اعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعدل والكمال في العصر الاول بتأسيس حكومة اسلامية على اساس الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في امور الدنيا .

ويبدو من كلام السيد رشيد رضى انه كـــان للجمعية مـبادىء سرية « وغرض بعيد » . وهــذه المبادىء القوية لم تكتب حينذاك ، وهنا يبدو تشابـه بين هذه الجمعية وبين جمعية الماصونية التي تعيـش فى عالم بين الغموض والتستر والتنكر والمكر والخديعة، ولكن مع ذلك فان جمعية جمال الدين ومجلتـه كانت تهدف الى ناحية انسانية ايضا كما يصـرح بذلـك فى المجلة ، اي الى تقوية الصلات العمومية بيـن الامم ، وتمكين الالفة فى افرادها، وهذه من دعوة الاسلام الذي يستهدف التعاون بين الشعوب والقبائـل . غيـر ان المجلة ــ كالجمعية ــ لم يكتب لها البقاء لخطرها على الاستعمار الانجليزي والعالمي . وقد عاب الدكتـــور محمود قاسم على جمال الدين مسالمته لفرنســة ، مع ان الاستعمار واحد . ولكن الذي بـدر لجمال الديـن ذلك هو انه كان يرى ان قيادة العالم الاسلامي قـــد وقعت فى يد الانجليز وتحت سيطرته ، وان الاستعمار الانجليزي يهدد سرا وعلانية الخلافـة الاسلاميـــة وينازعها مصر التـي كانت ــ وما تزال ــ مركز ثقـل الدعوة التحررية الاسلامية . وزيادة على ذلك فـــان الهدنة مع فرنســا لا تعني ان جمال الدين كان راضيــا عن مخازيها ، وانما اتخذ بلادها مركزا لمجابهة اعدائــه الآخريـن الذين ضيقوا عليه الخناق وطاردوه فى كـل بلد ؛ فلم يجد مقرا من الاقامة فى باريس التي سمحت له باصدار مجلته ولو الى حيـن .

وليتفق (الكواكبي) مع جمال الدين فى كثيـــر من تلك الافكار ، لكنه يلح على الناحية الاقتصاديـــة كتوزيع الثروة والانتاج والعمل ، غير ان ذلك كان فى شكل غير دقيق ولا عميق . اما محمد عبــده فكان ذا منهاج خاص يختلف عن منهاج استاذه ، وهو موضوع مقالنا فى العدد المقبل ان شاء الله ، فالى اللقــاء .

« يتبــع »

لا رهبانيــة فى الاســلام

عن انس رضي الله عنه ان نفرا من اصحاب النبي (ص) قال بعضهم لا اتزوج يعني ليتفرغ للعبادة ، وقال بعضهم اصلي ولا انام وقال بعضهم اصوم ولا افطر فبلغ ذلك النبي (ص) فقال ما بال قوم قالوا كذا وكذا لكني اصوم وافطر ، واصلي وانام ، واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منـــــي .

المغاربة أمة مسلمة واحدة

بحث

للاستاذ
ج محمد بن العربي بنونة

برقت لوامع الهداية تنير السبل للخيل والرجال، فانساب النور من الكعبة المشرفة ، والحجرة المنورة ، في امواج تلو امواج ، تمنح جميع ما في طبيعة الهداية من الايمان والرحمة ، والخير والقوة ، وتكتسح جميع ما في طبيعة الضلال من الشر والانخذال والكفر والقسوة حتى غسلت بزمزم ما يحيك في الصدور من ضغينة ، وما يرين على القلوب من آثام ، وطهرت بالقرءان مـا يهيمن على العقول من تقليد ، وما يسيطر على المجتمع من استعباد ، وما يتسلط على الارواح من اوهام .

وكانت هذه الامواج التي تتدفـق مـن البيت الحرام ومن البيت النبوي تعطي المثـال لتعاليمهـا السـماوية بامتثالها وبمثلها العليا باخلاقهـا .

وتسابق الصحابة وابناء الصحابة ، والتابعـون وابناء التابعين الى تبليغ الرسالة ، واداء الامانة فابلغوا الى سكان الارض جميع ما نزل من كلام السماء ، وقالوا للناس: ايها الناس ، ان الاله الواحد هو وحده فاعبدوه، وان الدين المقبول عند الله هو الاسلام وحده فاتبعوه، وان المسلمين هم : امة واحدة فاتحدوا ، انكـم متساوون في الحقوق والواجبات وشركاء في الخيـر والرحمة ، ولا فضل لاحد على احد ، وانما هي اخـوة وحب واعتصام وتعاون ، فلا يكمل ايمانكم حتـى تتآخوا ، ولا تدخلون الجنة حتى تتحابـوا ، ولا تعزوا في الدنيا حتى تعتصموا بحبل الله ، ولا تزدهر حضارتكم حتى تتعاونوا على البر والتقوى (ان اكرمكم عنـد الله اتقاكم) .

وسارت هذه الامواج تلو الامواج من بطاح مكة ، وسهول المدينة تتدفق بهذا الخير العميم ، حتى خيمت بارضنا ، واستقرت بربعنا ، ووقف قطب رحاهـا ، وقائد هداتها على شاطىء بحرنا .

وقف صاحب رسول الله (ص) .. وقف عقبة بن نافع على الشاطىء يدفع بفرسه حتى غاصت قوائمها في ماء الاطلسي — والامواج تلو الامواج تتكسر عليها — وهو يرقب الافاق الواسعة ما بين السماء والماء .. انه المحيط .. انه بحر الظلمات .. انه آخر الدنيا .. هذا مغرب الشمس ، فرفع كفيه ، وطمح بعينيه ، ودعا ربه باخلاص الصحابي ، وقال كلمة المجاهـد في سبيل الله ، المستميت لاجل اعلاء كلمة الله : (اللهم رب محمد لو اعلم ان وراء هذا البحر ارضا تغزى في سبيلك لغزوتهـا) .

وخشعت الاصوات لصوت عقبـة بن نافع ، لان فيض الايمان تسكن له القلوب ، وتدين له العقول وتهيج له السـواكن ، وتطمئن عنده الارواح ، فهـو كالغيث المنبجس ، كله بركة وكله رحمة ، اينما سقـى انبت واحيى ، انه صوت صاحب رسول الله (ص) ، واللـه ذو الفضل العظيـم .

فتح ارضنا للاسلام ، وللاسلام وحده وتدافعت الامواج تلو الامواج بالاناسي الذين اقتبسوا الانـوار من مصابيح الهدى ، من صحابة رسول الله ، واستقوا الاخلاق من منابع الاستقامة ، اتباع نبي الله ، فكان لهم في هذه البلاد الجميلة لون لا تضاهيه الالوان ، لانه لون الوحدة التـي ارادهـا اللـه للمومنيـن ، وبالتوحيـد والوحدة ابتدات قصة المغرب العظيم ، وردد التاريـخ كلمـة الله الخالدة :

(وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

وتدفقت الامواج تلو الامواج ، تدخل في دين الله بالافواج ، فقد جاء نصر الله والفتح ، وكتب المغاربـة بدمائهم على اراضيهم وعلى صحاريهم وفوق جبالهـم آيات اسلامهم ، ومعجزات ايمانهم ، فعبروا الزقـاق وانشاوا اندلسهم وولجوا في الصحراء وفتحوا سودانهم،

وأينما حلوا حلت الانوار ، واستنارت القلوب ، وتخلصت الارواح ، وراجت السوق ، وبنيت المدرسة ، وعبدت الطرق وتقعد الفن .

وتدفقت الاحداث تلو الاحداث على المشرق ، وعلى ما يتصل بالمشرق ، ففر منه الفارون واستشهد المجاهدون ، وعصفت العصبية الجامحة بآل البيت واحباب آل البيت فخضبت البقاع بدم من بكتهم الارض والسماء ، والى الله المشتكى .

وطلع النهار واشرقت الشمس على دنيانا ، وهبت نفحات النبوة تحمل الرحمة والنور !! واقبل راشد يقود راحلة ادريس .. بل مولانا ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (ص)

ان النفحات الرحمانية اذا خطرت على القلوب غسلتها ، واذا مرت على الاخلاق هذبتها ، واذا مست الارض اخصبتها ، واذا لمست البداوة مدنتها .

وكان المولى ادريس رضي الله عنه احدى نفحات الرحمة عطرت دنيانا ، وارجت ارضنا .. فاسس دولتنا ووحد قبائلنا .. واعلن استقلالنا ، وجعلنا — كما امر الله — امة واحدة تترعرع اشبالها وتزهر افنانها بعناية آل البيت المبارك ، فتجانست الافكار ، وانسجمت الطباع ، وتآخت الاقوام ، فانصرف همها الى الجهاد والفتح ، والبناء والتاسيس .

ولست بمتعرض للاحداث ففيها تفصيل ، وفي التفصيل تطويل ، وللتطويل قلم آخر ، واسلوب غير هذا ، اعاذنا الله من الجفاف واليبوسة ، وزج بنا في الليونة والطراوة ، وارانا بنو ارلبصيرة ما في النفحات الرحمانية من الاسرار ، وما في هذه الاسرار من الحقائق .

لقد انسجمت ارواح المغاربة مع روح المولى ادريس حفيد رسول الله (ص) فتكونت الدولة المغربية العظيمة وقالت للدنيا : الله ربي ، والقرآن دستوري ، وحفيد رسول الله امامي ، والتوحيد شعاري ، فاندكت العصبيات ، وتوحدت القبائل وانبعث الرجولة الممزوجة بالنبل ، وضاع شذاها فعطر سباسب الصحارى ، وادغال افريقيا فكان الصفاء والتصفية ، واذن الله ، فآمن الناس فأمنوا ، واسلم الناس فاستسلموا ، واخلصوا فعزوا ، واطمأنوا فسعدوا .

وتدافعت الامواج تلو الامواج ، والاحداث تتلون بتلون الاغراض : فمن مطمح الى دعوة ، ومن دعوة الى رأي ، ومن رأي الى مذهب ، ومن مذهب الى عقيدة ومن عقيدة الى سيف ، ونحن نحمد الله ، ونشكر نعمته بالمحافظة على ما به ميزنا ، من وحدة في الدين ، ووحدة في الرأي ووحدة في المذهب ، ووحدة في العقيدة ، فلم نغمس يدا فيما ابتلي به المشرق الحبيب من الاختلاف ولم نشارك فيما تأجج فيه من الحروب . .

فبينما (الخوارج) يريدون الباطل بكلمة الحق ، فيصولون بصوارم البداوة والصعلكة يقطعون الطرق ، فيجيرون المشركين ، ويقتلون الموحدين .

اذا بفدائيي (الشيعة) يتدرعون (بالتقية) في نور الشمس ، ويبرزون بخناجر الانتقام تحت احلاك الليل ، فيبعثون القلق والرعب في نفوس الناس اجمعين ، وبينما (محكمة العقل) يقولون قولهم في القدر والقرءان ويجعلون (الاعتزال) العدل والايمان ، فيسلطون على الفضلاء اسواط الامتحان .. اذا بالجبرية والمرجئة يتخذون التثبيط والتعطيل سلاحا للتسليم والتخذيل .. وهنالك ابتلي المسلمون بالتأول والتأويل ، والفتنة والتضليل .. حتى المذاهب التي قالت : انها هي (السنة) كان لها — وبالاسف — شأن في الاختلاف والقتال ، ومقام في المناظرة والجدال .

نقول : بينما المذاهب والنحل تتجاذب اطراف الحديث المر في معركة (الايمان والكفر ، والاجتهاد والتقليد ، والتشبيه والتنزيه ، والتفويض والتعطيل ، تارة بالقول الصارم ، وتارة بالسيف القاصم ، اذا في المغرب — كما قدمنا — عقيدة واحدة ، ومذهب واحد ، واتجاه واحد ، وامة واحدة .. بل .. وامام واحد ..

واستطاع المغرب ان يحافظ على الاستمتاع بميزته هذه طوال الدهور ، وان ينجو من فتنة السيف والجدل اثناء تعاقب الدول والعصور ، وما هبت لفحة من سموم جهنم الا وقالت وحدة الدين : انا لها ، وحتى في ايام المحنة الكبرى والابتلاء العظيم ، وتحكم الذين يكفرون بالقرءان والاسلام عندما اراد الاستعمار ان يبعث الجاهلية الاولى من مراقدها ، ويحيي العصبية الجنسية من مقابرها ، ويثير حرب (العربية والبربرية) وقف المغاربة صفا واحدا وقالوا قولتهم الشهيرة : لسنا بربرا ولسنا عربا ، وانما نحن مسلمون ، ديننا

الاسلام ودستورنا القرآن والسنة فلا قانون ولا (برزق) وانما هو فقه اسلامي وشريعة محمدية سمحاء ، وامة موحدة وثبت المومنون امام المآسي ، والسجون والمنافي وباء الاستعمار وعملاء الاستعمار بالخسران المبين ».. وتلك نعمة تغبطنا عليها دنيا الناس ، دنيا الذين ذاقوا ويلات الاختلافات الدينية والمذهبية وتدخلات الاجانب لحماية الاقليات .

وان هذه النعمة التي يمتاز بها المغرب ويحسده عليها كثير من الناس ان هي الا النفحة الرحمانية التي هبت علينا هبوب الصبا على المفوج يوم قدم المولى ادريس حفيد رسول الله (ص) فجعلتنا امة واحدة ، امة وسطا تمثل الخيرية بالايمان والحرية ، وعصفت بالانصاب والصلبان ، والاصنام والاوثان ، فلم تترك لنا اقلية مجوسية ولا نصرانية ، ولا طموثية ولا وثنية ، وانما هي امة مسلمة موحدة ، وانها لنعمة يجب شكر الله عليها بمراجعة بعض الانظمة التي وضعت اخيرا (المغربة) بعض الناس الذين استهواهم جمال بلادنا وروعة طقسنا ، وثراء ارضنا ، فقرروا العيش معنا .

ان حقوق الاجانب القاطنين بالمغرب مضمونة بالكتاب والسنة والذمة الاسلامية النقية الوفية ، قبل عقد المعاهدات ، وامضاء الاتفاقات ، اما منح الجنسية المغربية للاقليات التي تخالفنا في العقيدة واللغة والميول فانه سيخلق لنا ــ في المستقبل القريب او البعيد ــ مشاكل واية مشاكل .. لا مشاكل قد نجانا الله منها منذ هبت علينا نفحة الرحمان بورود المولى ادريس الفاتح .. ومنذ تدفقت الامواج تلو الامواج من خيرة المسلمين .

« الفرق بين الزاهد والعابد والعارف » عند ابن سينا

« المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد .
والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم العابد .

والمنصرف بفكرة الى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف ، والعبادة عند غير العارف معاملة ما فانه يعمل في الدنيا لاجرة ياخذها في الاخرة هي الاجر والثواب وعند العارف رياضة ما لهممه وقوى نفسه المتوهمة والمتخيلة ليجردها بالتعويد عن جناب الغرور ، الى جناب الحق » .

« الاشارات »

تحامل على الإسلام

للاستاذ
محمد المهدي الصقلي الحسيني

نشرت مجلة «لافرانس كاثوليك» بعددها الصادر في دجنبر 1959 مقالا بقلم اسقف دكار كبير النصرانية بافريقيا السوداء تحت عنوان : هل الدول النصرانية ستعمل على تسليم افريقيا السوداء للنجم الاحمر ؟ وقد استهل الاسقف مقاله بالتحدث عن اعتبار افريقيا السوداء في القديم بكونها قارة غير صحية وغير مسكونة وبلاد الاوبئة والامراض ، وبانها تجلت كاهم العوبة للدول العظمى ، وانها في ظرف بضع عشرات من السنين صارت اكبر بطل ، واسباب هذا التغيير ترجع الى عدة عوامل ، اهمها نمو المواصلات بها نموا عجيبا سواء منها :

1 – الطرق او سكة الحديد او الخطوط الجوية ،

2 – توسيع المدن الكبيرة توسيعا يدعو الى الاعجاب .

3 – تقدم الثقافة الذي قال عنه : ان الفضل فيه يرجع الى الدعاة النصارى وان عاقبته ستكون امكانية انسجام الاجيال الجديدة مع كل ما يروق الروح ان تعرفه . واضاف قائلا : الا انه واحسرتاه ، في ذلك من الجيد والقبيح اذ المعسكر مفتوح لكل الدعايات التي توتي اكلها .

وبعد هذه المقدمة تطرق لما يدخل افريقيا من الجرائد والمجلات المصورة ومن المبعوثين والدعاة من كل جهة وجانب ، والى تعدد الاحزاب السياسية وما تعد به كل منها من الحرية والمساواة والاموال ، والى ما يروج من جمل تدعو الى الثورة : كحق الشعوب في التصرف لنفسها بنفسها ، والحق في الاستقلال ، والى ان وخز الضمير اخذ يسري في القادة بفرنسا ، واستنتج من ذلك ان ثورة كثورة فرنسا سنة 1789 على الدين والقيم تحضر من جديد في افريقيا ، والى ان سكان افريقيا يعيشون المأساة الدامية وان قادة الحكومات يتساءلون الى اين يسير الناس ؟

ثم فحص الكاتب الاسقف بعض التاثيرات والاتجاهات التي ادت في نظره للخروج ببعض النتائج، فتكلم :

1 – عن السيطرة الشيوعية ووسائلها ومناهجها مستدلا بنجاح الشيوعيين في الانتخابات بتناناريف بمدغشكار وبكون الكامرون يستلم الاسلحة من غينيا ، ويمون الثورة والفتنة ، وبكون دول الوفاق تجتهد في منع الانتشار الشيوعي وبكون مالي مهددا اكثر من غيره (وكان مالي اذ ذاك ما زال موحدا على وشك الاستقلال بشطريه السودان والسنغال متحدين) .

2 – وعن الاسلام بقوله ما ياتي معربا عن النص الفرنسي المنشور من غير زيادة ولا نقصان :

« شيء غير منتظر بالنسبة لاولائك الذين يعرفون الاسلام معرفة غير جيدة ، **فالبلدان ذات الاغلبية الاسلامية هي التي تنشق باكبر سرعة عن الغرب ، وتتذرع بالمناهج الشيوعية الشبيهة في الجملة بمناهج الاسلام ، فالتعصب والجماعة واستعباد الضعفاء كل ذلك ضمن تقاليد الاسلام . وهكذا فغينيا والسودان والنيجريا والتشاد كانت وما انفكت الى الآن من هذا الاتجاه ، على ان السودان قد نظم نفسه داخليا طبق المناهج ذات الروح المركسية . واما نيجريا والتشاد فهما مدينان ببقائهما داخل الرابطة (الفرنسية) الى النشاط المزدوج لاحزاب الاقلية المقتدرة وللادارة الفرنسية** » .

« بينما البلدان ذات التأثير النصراني الراجح بها تقاوم الشيوعية وتلبث ملتحقة اشد التحاق بالغرب ومحاسنه الانسانية . من ذلك ان بلدان خليج غينيا والاكواتور قد اتجهت اتجاها تاما نحو الحلول التي ترمي الى الشركة مع البلدان الاوربية ولاسيما فرنسا منها . واما السينغال فانه يعرض نازلة ذات طابع خاص ومليئة بمبهم ، بيد انه جذاب . وتريد هذه المستعمرة الفرنسية العتيقة المدمجة سياسيا في فرنسا (اذ كان لها اعضاء بمجلس النواب الفرنسي منذ عشرات السنين) من باب العاطفة ان تبقى مرتبطة بفرنسا ، الا ان تأثير السودان وثقل الميول الاسلامية كل ذلك يدفعها الى الاستقلال . ولابد من اضافة مثل غينيا الى ما ذكر مع بعض عاطفة التعالي على البلدان الاخرى ، لعل الحكمة السينغالية ستنتصر ، والا ففي ظرف مدة وجيزة تملك الشيوعية من دكار الى كاور والحرب في الجزائر لن يسعها الا ان تستمر سنين عديدة (1) » .

ولما انتهى من الطعن في الاسلام تكلم عن الديموقراطية المحررة فقال انها تدفع الى مبادىء القانون الطبيعي ، وانها سبق ان كانت سبب شقاء الامم الغربية وانها قد تؤدي الى الاضرار بهذه الدول الفتية ، وان هذه الدول الفتية لن تستطيع ان تقاوم ممارسة هذه الحريات الغير الطبيعية التي تمنح نفس الحقوق في الخير والشر الى المواطن المحسن والى المواطن المسيء .

ثم ابدى مخاوفه قائلا " لقد آن الوقت لان نفهم ان هذه الدول يجب ان تكون لها سلطة قوية لتدافع عن الحرية الحقيقية وان تمنع مرتكبي الفوضى من ارتكابها مصرحا بما ياتي : « ان السلطة والحرية الحقيقة يتمم بعضها الآخر ، فنحن نرمي في احضان الشيوعية بهذه الحكومات الفتية اذا طالبناها بديمقراطية هي نفس مدلول الديماغوجية والفوضوية » .

« على ان البلدان النصرانية وبالاخص الكاثوليكية لها ان تظهر اتجاها خالصا مشجعا لجميع هذه الدول التي لها حكومات ذات نيات حسنة . وليس عليها ان تتبعها في اية مغامرة » . واستمر كاتبا ما ياتي تعريبه "

« ففي بلداننا الافريقية ، الناس يشعرون بالمثالية الدينية والروحية وبالمحبة بين الشعوب وبالعلائق الودية المحافظة على الكرامة اكثر من شعورهم بالمعونة المالية ، ذلك عمل البلدان المتعودة الاكتفاء بالقليل ، الا انها جد سريعة التأثر في ميدان الغضب وجد مفتوحة للحقائق الروحية ، فالبلدان النصرانية تكون غالطة اذا غفلت عن هذا المظهر الثقافي والديني الذي يكون احسن سفير يمثلها ، والمجيء الى هذه البلدان بالارصدة وحدها محض خطأ . ان المعونة التي يظهر ان حكامنا الجدد يتمنونها هي تعاون تقني يشمل جميع ميادين النشاط الوزاري » .

ثم اشار الى الخصال المعنوية التي يجب أن يتشبث بها لضمان النجاح .

الشيء الذي يلفت النظر في هذا المقال ، بقطع النظر عما جاء فيه من الحق والباطل والخطأ والصواب هو ان الاستعمار يجد دائما روادا ودعاة دجالين مساعدين من رجال الكهنوت ، يجوبون الدنيا ويعيشون في الفيافي والقفار ، وهم يتوفرون على ثقافة واسعة وشهادات جامعية عليا وتخصص في علمي النفس والاجتماع وطاقة من الصبر والايمان بعقائدهم الفاسدة، وكلهم طمع في ان يكونوا طائفة قليلة من البسطاء وان ينصروها وان يدمجوها وبلادها في حظيرة دولة نصرانية . ولقد كنا نمني انفسنا بانهم لن ينجحوا و اعتصمنا نحن بالتواكل والروية ، ملقين الحبل على الغارب ، غير مكترثين للنتائج التي لم نكن ــ نحن المسلمين ــ لنقيم لها الوزن .

ولئن كانت الدول الافريقية الحديثة الاستقلال المنخرطة في الرابطة الفرنسية وقفت موقفها الذي اتخذته في منظمة الامم بخصوص القضية الجزائرية ، فان درك هذا الموقف يرجع الى هؤلاء الدعاة النصارى الذين لا يكتفون بتلقين العقائد بل يتمالؤون وساسة الاستعمار على توحيد جهودهم وخط برامجهم وتنظيم دعايتهم ضد الاسلام تارة وطورا ضد كل المبادىء السياسية التي يشتمون منها خطر تفويت ما احرزت عليه الدولة المستعمرة النصرانية طيلة القرون الماضية

---

1) نشر هذا المقال قبل انفصال السنغال عن السودان وما جاء في هذه الفقرة من التنويه بالسينغال والاشارة الى ارادتها البقاء مرتبطة مع فرنسا يؤذن بان حركة انفصاله عن السودان كانت مؤامرة تدبر تحت طي الخفاء بواسطة رجال الكهنوت والساسة الاستعماريين . (ص. م.) .

اننا منذ وجدنا ونحن نسمع ان عددا من الافارقة الزنوج يعتنقون الاسلام على ايدي بعض المسلمين المخلصين الذين دفعهم ايمانهم الى القيام بالدعوة المحمدية فى افريقيا السوداء وان جل هؤلاء المومنين ينتسبون الى الطرق الصوفية ، وهم اذ كانوا يقومون بهذه الدعوة تلقائيا بصفة شخصية لوجه الله تعالى كانوا مراقبين من طرف السلطة الاستعمارية النصرانية ايما مراقبة ، فلم يكن فى وسعهم ان يشعروهم بالدعوة على حقيقتها اذ كانوا يضطرون الى ان يفرقوا بين الدين والسياسة ، يضاف الى ذلك ان هؤلاء الدعاة لم يكونوا اختصاصيين فى نشر الدعوة ، ولم يكونوا محرزين على المعلومات التي تؤهلهم لاشعار المومنين بان العـزة لا تكون الا لله ولرسوله وللمومنين ، على ان هؤلاء الدعاة المؤمنين جزاهم الله خيرا قد بثوا الروح الاستقلالية باعتراف اسقف دكار بان البلدان ذات الاغلبية الاسلامية بافريقيا هي التي تنشق باكبر سرعة عن الغرب حسبما سبق بيانه ، فاسقف دكار لم يستطع ان يكظم غيظه على الاسلام اذ فى الوقت الذي اعترف له بانه هو الذي دفع الناس الى المطالبة بالاستقلال اتهم مبادئه بانها تشبه مبادىء الشيوعية ، وابى عليه تعصبه وعداؤه للاسلام الا ان لا يعترف بالفضل للاسلام لدفعه المسلمين الى المطالبة بالحرية ، وان لا يعترف بان النظم التي يسعى المسلمون فى تطبيقها ببلادهم وهي شبيهة بالشيوعية لم يات بها الاسلام وانما اتى بها لهؤلاء المسلمين الشيوعيون الذين جيء بهم فى صور مختلفة وباسماء متباينة ليفسدوا على الناس دينهم . على ان الاسلام كما هو معروف من مبادئه لا يسير فى ركب الراسمالية الشرهة ولا يسير فى ركب الشيوعية المتطرفة وانما اخذ من كل المبادىء احسنها قبل ايجادها . والسر فى كون الافارقة الزنوج اقبلوا على اعتناق الاسلام ولم يقبلوا على اعتناق المسيحية بقدر ما اقبلوا عليه ؛ بالرغم من كون الدعاة النصارى توفرت لديهم الوسائل المالية والعلمية والاجتماعية ، بينما الدعاة المسلمون يقومون بالدعوة الى الله تلقائيا لا يرجون الا الجزاء من الله ، هو ان الاسلام دين بسيط يشتمل على نظام الحياة بجميع انواعها فهو عقيدة ونظام ودولة ، دراسته بكل نزاهة تتيح لمن هداه الله اليه والايمان به .

ولو ان المسلمين كانوا مسلمين حقا فى هذا العصر الذي طغت فيه المادة على الروح لاستطاعوا ان يضربوا المثل للعالم بنظام لاياتيه النقد من بين يديه ولا من خلفه ولعلموا كلا المعسكرين الاميركي والروسي ان العظمة هي لله وحده دون غيره ، وان العزة لله ولرسوله وللمومنين ، وان السعادة التي ينشدها او يدعيها كل منهما ليست الا خيالا لاحت لهما به السمادير ، وان السعادة فى الدنيا انما هي نسبية ، قال تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » وان السعادة التي يجب ان يعمل لها الانسان هي التي سيجدها فى الدار الآخرة ان كان من اهلها .

على كل حال قد اتضح للمسلمين مما سبق بيانه انهم تهاونوا فى الدعوة الى الله ، وانهم حادوا عن المحجة البيضاء ، وان رجال الكهنوت بالرغم من باطل دعوتهم يؤثرون فى السياسة العالمية فيوجهونها لاحقاق الباطل وازهاق الحق ، عاملين على استمرار الحروب الصليبية باسلوب جديد وقالب يتناسب وروح العصر ، بينما بعض علماء الاسلام وادعياء الاسلام قد قتل فيهم الاستعمار وحب الدنيا والاثرة والانانية والتقليد الاعمى كل فضيلة اسلامية فضلا عن ان يقوموا بالدعوة الى الله وبنشر محاسن الاسلام بين الاجانب ، بل ان بعضهم عمل على اطفاء نور الله بدعوى العمل على نشر السلفية والبعض الآخر قد استغل الطرقية فافسدها والحالة انها كانت فى الاصل متصدية لنشر الدعوة حتى ان دخول الافارقة من السودان فى الاسلام يرجع الفضل فيه الى رجال منتسبين فقراء كل زادهم هو الايمان . فعسى المسلمون ان يتعظوا بهذه الاهوال وان يرجعوا الى الله ليتاتى لهم اذ ذاك نصر دينه . ولينصرن الله من ينصره .

حظ القرويين في الدفاع عن السيادة المغربية

للاستاذ
محمد ابراهيم الكتاني

مقدمة

الدفاع عن السيادة الوطنية ضد الغزو الاجنبي اول واجب وطني على كل مواطن واشرفه واقدسه، وقيمة العقائد والمذاهب والمبادىء والافكار والدعوات رهينة بمقدار عملها على الدفاع عن هذه السيادة وحمايتها والمحافظة عليها، وكذلك قيمة الاشخاص – كيفما كانت حيثياتهم – والهيآت والجماعات والمؤسسات، تابعة لمقدار اخلاصها لهذه السيادة ومساهمتها في حمايتها والذب عنها والتضحية في سبيلها بالنفس فما دونها، كما ان خيانة السيادة الوطنية والتآمر عليها مع العدو او التهاون في القيام بواجب الدفاع عنها افظع جريمة وطنية واحقرها واخسها وارذلها، وهي السوأة التي لا تستتر، والجريمة التي لا تغتفر، والردة التي تبيح دم مرتكبها وماله، وتبطل جميع ما يمكن ان يكون له ازاء المجتمع من حقوق وواجبات، وتهدر جميع ما عساه يتصف به من صفات توجب الاحترام او التقدير، بهذا قضت الفطرة البشرية، وعلى اساسه قامت المجتمعات الانسانية، وبه جاء الاسلام الحنيف، وعلى هديه سار سلف المسلمين الصالح.

كيف حافظ الاسلام على السيادة الوطنية ؟

تكفل الاسلام بتنظيم المجتمع الاسلامي – الذي اقامه على اساس الرابطة الاسلامية – وجعل للمسلم رسالة في الحياة ذات مثل عليا، واتجاهات انسانية، وقيم خلقية، فدفع بذلك العرب الى الخروج من عزلتهم والانطلاق الى العالم لتحريره من الاستعمار والظلم والضلال والجهل، وحفظ لهم – بعد انتشارهم في اطراف الارض – تماسكهم، ولغتهم واخلاقهم، فكان – كما لاحظ الاستاذ ساطع الحصري بحق – قوة دافعة بالنسبة اليهم وقوة واقية كذلك.

ان ما يقارب سدس الآيات القرآنية كله خاص بالجهاد واحكامه وءادابه والتحريض عليه والتنويه باهله وتقريع المتخلفين والمثبطين عنه وعرض حوادث بعض غزوات الرسول وسراياه.

فلما اتجه المسلمون الى تدوين ثقافتهم كان لعلماء التفسير والحديث والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي بفروعه المختلفة، والفقه على اختلاف مذاهبه مجال فسيح في هذا الميدان، اغنى المكتبة الاسلامية بآلاف المجلدات التي شغلت المؤلفين والناسخين، والرواة والدارسين، والخطباء، والواعظين وانتقل صداها من حلقات الدرس ومجالس الوعظ ومنابر الخطابة الى مختلف الاوساط الشعبية بدوا وحضرا، نساء ورجالا، عربا ومستعربين فعمت المجتمع الاسلامي روح الكفاح والتضحية في سبيل الدفاع عن المجتمع ومثله العليا.

القرويين

وجاء المسلمون الى المغرب فحرروه من الاستعمار الاجنبي اولا، ثم اندفع ابناؤه شمالا وجنوبا – وشرقا ايضا – يحملون رسالة الاسلام ويدافعون عنها ويساهمون في الحضارة والثقافة الاسلاميتين بنصيبهم الملحوظ.

وكان تاسيس الدولة الادريسية بالمغرب، وما صاحبه من بناء مدينة فاس وجامعة القرويين حدثا

هاما له آثاره البعيدة فى تطور البلاد واتجاهها ، اذ ما لبثت ان اصبحت مركزا لنشر الثقافة الاسلامية ، والحضارة العربية ، بمن توافد عليها من عرب المشرق والمغرب ، ثم بمن استعرب على ايديهم من ابناء البلاد – بعد ان كانت من قبل مقاطعة تابعة للقيروان التي كانت هي ايضا تابعة لبغداد – وانتشرت مراكز الثقافة العربية فى طول البلاد وعرضها فى السهول والجبال ، والشواطىء والصحاري ، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، فى صورة كتاتيب ، ومساجد، ومدارس ورباطات ، وزوايا – وبيوت خصوصية ايضا – يتلقى فيها اللغة العربية والثقافة الاسلامية ذكور واناث ، اطفال ، وشبان ، وكهول وشيوخ ، من جميع الاعمار ، وعلى جميع المستويات الدراسية ، من دروس محاربة الامية والوعظ والارشاد ، الى الدراسات العالية ، فى جميع فروع المعرفة العربية ، كما تاسست الى جانب ذلك المكتبات العلمية ، ما بين خصوصية وعمومية .

وكان مركز جامعة القرويين فى هذا الجهاز الثقافى الضخم ، مركز الراس المفكر ، والعقل المدبر ، والرئيس الموجه ، فيها يتكون قادة الفكر ، وبين اساطينها يتربى زعماء الراي ، والى مدرسيها والمتخرجين منها – ومن فروعها – تلجا البلاد شعبا وملوكا ورؤساء ، اذا حزب امر او دهم خطب ، واليها يرجع الفضل – اخيرا – فى جلب كل نفع للبلاد ، ودفع كل خطر عنها .

فكل من تلقى العلم بفاس فهو من القرويين ، وكل عالم ورد على فاس من الاندلس او الشرق او بقية المراكز العلمية بالغرب الاسلامي على العموم او المغرب الاقصى على الخصوص عد من اهل القرويين ، وكل درس بالقرويين ثم انتقل الى مركز ءاخر داخل البلاد او خارجها ، ليتولى الملك او الوزارة او السفارة او الجهاد او القضاء او التعليم او الارشاد او غير ذلك فهو معدود من اهل القرويين اذ كانت المركز الرئيسي فى البلاد للثقافة الاسلامية العربية المغربية التي لم تعرف البلاد فى يوم من الايام ثقافة غيرها منذ دخلها الاسلام الى ان نكبت بالاستعمار ففرض عليها ثقافته الاجنبية الاستعمارية الالحادية الاباحية الهدامة .

ولسنا نحاول ادعاء ان جميع من انتسب للقرويين – منذ نشأتها الى الآن – قد قام بواجبه فى الدفاع عن السيادة الوطنية خير قيام ، وفق ما تقضي به التعاليم التي احتفظت بقداستها فى جميع المجتمعات الاسلامية منذ نشأة الاسلام الى الآن ، كلا ! ومعاذ الله ! فجامعة القرويين جزء من مجتمع واساتذتها وطلبتها من صميم هذا المجتمع ، خضعوا فى نشأتهم وتربيتهم وسلوكهم لكثير من العوامل المختلفة التي ليست الثقافة التي تلقوها فى هذه الجامعة الا جزءا منها، وقد تعاقبت على هذا المجتمع عوامل القوة والضعف والتماسك والانحلال ، والاستقامة والانحراف ، وقد نالت الجامعة ولاشك حظها من ذلك كله .

ولكن فضل القرويين انها نشرت فى المجتمع الاسلامي هذا الشعور العام بقدسية السيادة الوطنية قدسية دينية لا مجال للبشر فى تحريفها او تاويلها او التسامح فى شيء منها فاذا تهاون بعض الناس فى القيام بواجب الدفاع المحتوم عنها ، لجبن ، او طمع ، او عجز ، او نفاق ، اصدر المجتمع عليه حكمه الذي لا معقب له .

مظاهر مساهمة القرويين فى الدفاع عن السيادة الوطنية

تجلت مساهمة القرويين فى الدفاع عن السيادة الوطنية والدفاع عنها فى مظاهر مختلفة فهناك – اولا – هذه الشريعة الاسلامية التي لا تسمح للمسلم بان يخضع لسلطة غير اسلامية ولا تقبل منه اي عذر فى ذلك ، وتوجب على جميع المسلمين فى جميع انحاء الدنيا ان يعملوا لانقاذ المسلمين – حيثما كانوا – من كل سلطة غير مسلمة اخضعتهم بالقوة وعجزوا عن التخلص منها ، وكل من اختار من نفسه الرضوخ لسلطة غير اسلامية او استعان بها ضد المسلمين او اعانها عليهم او على انتزاع ارض من سلطتهم فهو مرتد عن الاسلام بفعله ذلك – وان صلى وصام وزكى وحج واعتمر وزعم انه مسلم – ويجب على جميع المسلمين مقاومته مقاومة الاعداء ومن تجسس للاعداء على المسلمين وجب على المسلمين قتله ولا تقبل منه توبة .

فهذه الاحكام – واشباهها تقرر فى مختلف دروس القرويين العادية فقها مسلما تؤيده ءايات القرآن واحاديث الرسول وحوادث السيرة النبوية والتاريخ وسير السلف الصالح ونصوص الفقهاء .

وهناك – ثانيا – الى جانب هذه الروح النظرية ، الوقائع الوقتية التي يطبق فيها عمليا بعض فقهاء القرويين هذه النظريات الفقهية على الحوادث الواقعية المتجددة .

فقد كان من فقهاء القرويين من يخوض المعارك الحربية بنفسه دفاعا عن السيادة الوطنية ، ومنهم من استشهد في سبيل الله .

ومنهم من عبأ الجيوش الى الثغور وشن الغارات على العدو وانتزع منه ما بيده من القلاع والحصون .

ومنهم من وقف نفسه على الرباط وحراسة الثغور استعدادا لرد العدوان المتوقع .

فيهم من فعل ذلك بتعاون مع السلطة القائمة او اتفاق معها ، وفيهم من فعل ذلك ضد هذه السلطة لاتهامها بالتهاون في القيام باول واجب عليها والذي ليس لاية سلطة اي عذر او مبرر للتهاون فيه ، فاذا تهاونت او اهملت فقدت مشروعيتها ووجب على الشعب العمل الايجابي المباشر بكل الوسائل الممكنة للدفاع عن سيادته وحمايتها .

ومنهم من تصدى للتحريض على الدفاع عن البلاد ورد العدوان عنها واسترجاع ما احتله العدو من اجزائها والاستعداد لذلك بكل قوة ممكنة .

وقد استعملت في هذا السبيل مجالس التدريس ومجالس الوعظ والتذكير ، وخطب الجمعة، والقصائد الشعرية ، والازجال ، والمؤلفات ، والرسائل، والفتاوي والاجوبة .

ومن ابرز المواقف الوطنية لبعض فقهاء القرويين :

1 ــ جوابهم لمحمد بن عبد الله السعدي عند استعانته بالبرتغاليين (القرن 10 هـ 16 م) .

2 ــ ومعارضتهم لمحمد الشيخ في تسليم العرائش للاسبانيين (ق 11 هـ 16 م) .

3 ــ وتاييدهم للمجاهد العياشي (ق 11 هـ 17 م)

4 ــ ومطالبتهم بتحرير بقية المناطق كسبتة ومليلية ــ بمناسبة تحرير العرائش ــ (ق 12 هـ 17)

5 ــ ودعوتهم لتاييد الجزائر تاييدا مسلحا عند الاعتداء الفرنسي عليها (ق 13 هـ 19 م) .

6 ــ ومطالبتهم بتنظيم الجيش المغربي على النظام الحديث ــ بعد هزيمة ايسلي (ق 13 هـ 19) .

7 ــ واستنكارهم احتماء المغاربة بالدول الاجنبية (ق 14 هـ 19) .

8 ــ ودعوتهم لتحرير وجدة والدار البيضاء ، وغيرهما مما احتله الفرنسيون والاسبان (ق 14 هـ 20 م) .

9 ــ ومقاومتهم للحماية المفروضة على البلاد ، مقاومة مسلحة احيانا وسلمية احيانا اخرى (ق 14 هـ 20 م) .

وقد جمعنا كتابا في هذا الموضوع يتضمن بعض الاسماء ، والاحداث والتواريخ وبعض المختارات الشعرية والنثرية وتلخيصا لبعض الفتاوي والاجوبة والمؤلفات وخطب الجمعة ونحو ذلك من الوثائق والمستندات ، معتمدين على كثير من المخطوطات التي لم يسبق نشرها ، او التي وقفت للظفر بها اثناء تنقيبي عن نوادر المخطوطات ، من غير ان نقف على الحديث عنها او الاحالة عليها في اي كتاب .

فعسى ان تتهيا الفرصة قريبا لظهوره مطبوعا بين ايدي القراء .

وكما وقف شاعر في القرن 7 هـ 13 م ينشد قصيدة في صحن القرويين يوم الجمعة بعد الصلاة لاستنفار المجاهدين ، فبكى الناس وانتدب كثير منهم للجهاد .

ونكست ــ في نفس القرن ــ راية الاعداء في أعلى منار القرويين احتفالا بالانتصار .

وطاف في القرن 11 هـ 16 م احد المومنين على مجالس العلم بفاس مناديا بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش .

كذلك كانت في هذا القرن تقع التجمعات في القرويين للاحتجاج على تصرفات السلطات الاجنبية واعمالها .

وفيها كان الخطباء من متخرجي القرويين وطلبتها يخطبون لاستنهاض همم المومنين وتحريضهم على

مقاومة العدو وتحديه ، فتخرج الجماهير للشوارع متظاهرة محتجة لتصطدم بقوة العدو ويموت افراد منها برصاصه ويساق الباقون الى مراكز الشرطة والمحاكمة والمنافي والسجون .

ومن طلبة القرويين ومتخرجيها كان الدعاة ينتشرون لبث الفكرة الوطنية والتبشير بها وتكوين الحلقات السرية في البوادي والجبال والصحاري والقرى النائية والمناطق المحرمة التي لا يستطيع غير ابنائها الدخول اليها ، متعرضين للسجن والضرب والاضطهاد والقضاء على مصالحهم ومستقبلهم .

رد الفعل

ومن الطبيعي — مع هذا التاريخ الطويل ، المتصل قديمه الحفيل ، بحديثه المجيد — ان يعرف العدو للقرويين وما تمثله وتحرسه من ثقافة اسلامية ولغة عربية ، هذا المقام المحمود ، فيبادلها عداء بعداء ، ومقاومة بمقاومة ، ويعمل بجميع ما لديه من امكانيات غير محدودة على تحطيم هذه القرويين وثقافتها ، والقضاء عليها ماديا وادبيا .

ومن الطبيعي — كذلك — ان يشتد الصراع بين من يدافعون عن سيادة المغرب وشخصيته وثقافته ، وبين اعداء البلاد حول هذا المعقل الشامخ وما يحمله من فكرة مقدسة حفظت للمجتمع تماسكه عبر القرون ، وحالت دون انهياره امام الغزو الاجنبي الماحق .

والمجال الضيق لا يسمح لنا الآن بالاشارة الى شيء من الكفاح العنيف المتواصل الذي قام به المستنيرون من ابناء جامعة القرويين طلبة ومتخرجين، واساتذة وموظفين سامين ، في الحفاظ على كيان هذه الجامعة وصيانتها من الاضمحلال .

ولكننا نشير — الى ما تضمنته من ذلك خطب صاحب الجلالة محمد الخامس — قائد معركة الكفاح في سبيل المحافظة على سيادة الامة ومقدساتهاومقومات كيانها — فان جلالته ما زال يشيد بفضل القرويين ومهمتها الاساسية في المجتمع ، والآمال العظيمة المعلقة عليها ، والعراقيل التي تعترض العمل لصالحها ، وقد اشار جلالته لذلك في خطبه بتاريخ جمادى الاولى 1360 هـ يونيه 1941 م و ج خ 1363 هـ يونيه 1943 م وذي القعدة 1365 هـ نوفمبر 1946 م ومحرم 1367 هـ نوفمبر 1947 م ومحرم 1369 هـ نوفمبر 1949 م وصفر 1371 هـ نوفمبر 1951 م وصفر 1372 هـ نوفمبر 1952 م .

ويكفي ان نورد هنا ما ورد في الاخير منها الذي هو ءاخر خطاب للعرش القاه جلالته قبيل الازمة التي بلغت اوجها بالاعتداء الشنيع على السيادة المغربية في شخص جلالته .

« وقد علمنا ما كان للمعاهد الدينية من اثر في حفظ الشريعة ودفع الشبهات عنها ، وبث الاخلاق الفاضلة ونشر العربية ، فوجهنا عنايتنا لجامعة القرويين التي كان لها الحظ الاوفر في المحافظة على كيان الحضارة الاسلامية ، وامداد البلاد بعلماء اعلام ، كانوا مفخرة في تاريخ الاسلام ، فما تركنا وسيلة ترد لها مجدها ؛ وتعيد اليها سمعتها الا اتخذناها فوضعنا لذلك نظاما توخينا فيه **ان يساير المعاهد الدينية الناهضة في البلاد الاسلامية** ، وطبقناه في جامعة ابن يوسف وفي معهدي مكناس وطنجة ، وكان املنا ان يزدهر هذا النظام ويعم تطبيقه سائر المعاهد في امد يسير ، **لولا ما يعترض هذا العمل من عراقيل** ، نحن جادون في تذليلها » .

وفق الله جلالته للمحافظة على هذه الجامعة الدينية والنهوض بها ، فانها مفخرة عظيمة للمسلمين اجمعين ، وهي أمانة الاجيال السابقة للاجيال اللاحقة، واعان جلالته على التغلب على ما لا يزال يعترضها من عراقيل .

حول ذكرى القرويين

للاستاذ

ج. احمد بن شقرون

شهد القرن الثالث للهجرة مولد جامع القرويين في قلب فاس عاصمة العلم والعرفان ، ذلك الجامع التاريخي العظيم الذي أسسته السيدة فاطمة الفهرية القيروانية في شهر رمضان عام 245 هـ الموافق سنة 859 م . فحظي بما لم يحظ به جامع سواه من عناية فائقة وحفاوة بالغة . حيث اتخذه العباد مركزا هاما لعباداتهم ، وخصه العلماء بالقاء دروسهم بين اساطينه وفوق كراسيه . فلم يلبث ان انفرد بدراسات متنوعة وعلوم متعددة من عقلية ونقلية منذ اقدم العصور

ولئن كان مركزا زاخرا بالعلوم الانسانية بما فيها من طب وموسيقى فقد امتاز — علاوة على ذلك — بالدراسات الاسلامية العليا ذات الطابع العميق في بحث اسرار الشريعة الاسلامية وفلسفة اللغة العربية .

لذلك امه الطلاب من جميع انحاء الدنيا قصد الاغتراف من معينه الفياض لانه كان الكلية الوحيدة التي ذاع صيتها اذ ذاك وقد اعترف لها بهذه الاولية حتى المؤرخون الاجانب فقد كتب عنها احد علماء الروس يقول :

ان اقدم كلية في العالم ليست في اوربا كما كان يظن بل في افريقيا في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب اذ يتحقق بالشواهد التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى كلية قيروان ... في الجيل التاسع للميلاد (الثالث للهجرة) وعليه فهي ليست فقط اقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كانت ملتقى طلبة العلوم السامية في تلك الازمنة حيث كان سكان باريز واوكسفورد وباردو وبولونيا لا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كان الطلبة يتواردون عليها من انحاء اوربا وانجلترا (وبلاد العرب) للانخراط في سلك طلابها وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم .

وهذه الارقام الحسابية التي تعلمها في القرويين سلفستر الثاني ونقلها الى اوربا لا تزال شاهدة بصحة ما نقول .

والحركة العلمية التي خاض غمارها في القرويين — اعلام الدين والفكر والادب منذ اوائل القرن الرابع للهجرة مثال ناطق بما كان لعلمائها من هيام بالمعرفة وانقطاع اليها حتى ان بعضهم — مثل ابو ميمونة دراس ابن اسماعيل المتوفى عام 357 هـ بني له مسجد بحي مصمودة بفاس ما زال يعرف الى الآن باسم مسجد سيدي الدراس لكثرة دراسته للعلم وانقطاعه اليه .

هذه الحركة العلمية النشيطة التي داب عليها العلماء في الماضي لفتت انظار الدول التي تعاقبت على المغرب فكان لذلك اثره البين في الاهتمام بالقرويين .

فهذه رحابهم تتسع وهذه مستودعاتهم تشهد وهذه ابوابها تكثر فباب للقضاة وآخر للموثقين وآخر وآخر للعميان وآخر للجنائز وآخر للكتبيين وآخر للنساء بازاء دار يتهيان فيها للصلاة ... الخ .

وهذه زاوية للقراء وهذه خزانة كبرى للتراث واخرى لحفظ المصاحف . وهذه مياه عذبة جلب اليها من بعيد وهذه غرفة الموقت ومقصورة المفتي ومقصورة الخطيب وهذه منجانات شمسية وغير شمسية للمحافظة على اوقات الصلاة . وهذه ثرياها الكبرى تحتفي

جوقها — ولا يملأ قوارير سرجها من الزيت الا خمس قلل — تفتق السنة الشعراء فيتفننون فى وصفها الى نقوش بديعة وآثار فنية رائعة ، الى جانب ما وقف على علمائها وطلبتها والقائمين عليها من محبسات ما فتئت تشهد بما كان لحكومات المغرب وشعبه من عناية فائقة بالقرويين لان الرسالة المقدسة التي استمرت قائمة بها منذ عدة قرون كانت تفرض هاته العناية .

ولئن كانت الاعاصير الزمنية اوشكت ان تعصف بها من وقت لآخر فانها كانت تصمد ضد تيارها فيكون النصر فى الاخير حليفها لان للبيت ربا يحميه .

ولكنها منذ ابتلاء المغرب بالحماية سنة 1912 اخذ ظلها يتقلص من جراء الضربات المتوالية الموجهة اليها .

وفى فترة وانية من فترات حياتها يابى صاحب الجلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس الا ان يراب صدعها ويلم شعثها ويضم شتاتها ويجمع من بقى من علمائها وطلبتها فيصدر ظهيرا شريفا بتاريخ ذي القعدة عام 1394 ه الموافق 29 مارس سنة 1931 م . فى شان تعيين مجلس اعلى للاشراف عليها و (سن ضابط كفيل بتحسين حالتها فيما يرجع لانتخاب العلماء المدرسين وتعيين الفنون التي تدرس فيها والتاليف التي تقرا بها والاوقات التي تلقى فيها الدروس وما يتعلق بذلك صونا لكيانها وحفظا لبهجتها ونظارتها وحرصا على دوام عمارتها وتعظيما لشانها) .

وعقب ذلك تكون مجلس تحسيني داخل القرويين للسهر على تنفيذ ما سنه المجلس الاعلى من قوانين وما وضعه من ضوابط وبرامج وبمقتضاه اصبح النظام فى القرويين منذ ذلك التاريخ مشتملا على طور اول يحتوي على ثلاث سنوات وطور ثان يحتوي على ست سنوات وطور عال يحتوي على قسم شرعي مكون من ثلاث سنوات وآخر ادبي مكون من ثلاث سنوات ايضا . ومن اجتاز المراحل كلها ونجح فى آخر امتحاناتها نال شهادة العالمية ، عوضا عن الاجازة القديمة التي كانت تعطى من طرف كبار العلماء لمن حصلت له ملكتهم . وهكذا بدا النظام فى القرويين وتخرج منه 334 عالم من بينهم خمس فتيات وهؤلاء هم القائمون فى التعليم الاصلي والعصري بتدريس المادة الاسلامية وعلوم اللغة العربية اوتفتيشها وعاملون فى الميدان القضائي والاداري والدبلوماسي فى بعض السفارات ويرجع الفضل فى ذلك لصاحب الجلالة الذي ما فتىء يرعى هاته المؤسسة واخواتها فى انحاء المملكة الشريفة بعناية الملحوظة فيزورها بنفسه الكريمة من آن لآخر ويتحدث عنها فى خطبه السنية كلما عنت مناسبة قال جلالته : (ان من حق هذه البلاد ان تعتز بتاريخ ثقافي عريق فمنذ العهود الاولى لانبثاق فجر الاسلام فى ربوعها ظهرت من بين المغاربة او الوافدين عليهم طائفة من العلماء الذين انصرفوا الى اماطة لثام الجهل عن العقول وغرس مبادىء الدين الحنيف فى النفوس وتبصير الناس بما فرض عليهم دينا ودنيا . ومن هذه الطائفة كانت النواة لاول مركز ثقافي عرفه المغرب وكان من بين المراكز الثقافية المعدودة على الاصابع آنئذ هذا المركز هو الذي عرف باسم القرويين والذي صار منذ ذلك الحين منهلا دفاقا بشتى انواع العلوم والآداب العربية يسعى اليه المغاربة وغيرهم من كل حدب وصوب ليكرعوا من حياضه ويرتووا من معينه ولعل ما نالته القرويين من عناية اسلافنا المقدسين بها واهتمامهم العظيم بشانها قد ضاعف عناية واهتمام جميع الذين سبقوهم ممن تداولوا الحكم بهذه البلاد اذ كانوا يرونها المنار الذي يشع ضياء المعرفة والايمان والحصن الذي تحتمي به لغة القرآن وآدابها فى هذه الديار ففي عهدهم ادخل عليها نظام اشبه بالنظام الجامعي) .

وهكذا قيض الله للقرويين من رجال الدولة العلوية من يسهر عليها ويداب فى العمل على ترقيتها . ولم يكن اهتمامهم بالمعهد القروي باقل من الاهتمام الذي كانوا يولونه لابن يوسف بمراكش وذلك جريا على مالوف عادتهم رحمهم الله من عدم ادخار اي وسع للنهوض بالمستوى الثقافي بهذه البلاد ولاشاعة العلوم والمعارف بين كافة الناس وقد لا نحتاج الى ان نذكركم بما تم على يدنا فى اوائل عهدنا باعتلاء العرش من تاسيس نظام بكليتي القرويين وابن يوسف كان له ابعد الاثر فى ترقية اساليب التعليم بهما وبما جددناه او احدثناه من معاهد وفروع تابعة لهما كمعهد تطوان ومعهد مكناس وطنجة ووجدة وتارودانت ومعهد الفتيات بفاس الملحق هو ايضا بالقرويين وذلك ما اذكى الروح العلمية فى مختلف نواحي البلاد) .

هكذا يابى صاحب الجلالة الا ان ينثر هذه الدرر الغالية تخليدا لتاريخ القرويين المجيدة وتاريخ اخواتها .

وقد توالى على كرسي الرئاسة بالقرويين عدد من كبار العلماء وشيوخ الاسلام الذين لا يتسع المقام للتحدث عنهم . وفى فترة حالكة من فترات حياتها اسند

صاحب الجلالة مديريتها للاستاذ السيد محمد الفاسي فازاح عن طريقها الاشواك وخطا بها خطوات موفقة الى الامام .

وقبيل استقلال المغرب كان مديرها وعدد من علمائها وطلبتها رهن المعتقلات والسجون والمنافي لمطالبتهم بعودة الملك الشرعي الى عرشه فاعتراها بسبب ذلك ضعف شديد وانحلال متزايد .

ولما بزغ فجر الاستقلال (2 مارس سنة 1956) واصبح التعليم الاسلامي العالي من مشمولات وزارة التربية الوطنية انشا السيد محمد الفاسي الوزير السابق قسما في الوزارة للعناية بهذا النوع من التعليم العريق في بلادنا لان السنوات العشر التي قضاها على راسه جعلته خبيرا بمشاكله ومطالبه ومنذ ذلك الحين اصبح المسؤولون عنه في القسم المختص ، امام عدة مشاكل شاملة لشؤون التجهيز والتاثيث والتسيير والتوظيف واماكن الدراسة وسكنى الطلبة واعاناتهم ومنحهم والبرامج والكتب المقررة والفنون المدروسة وغير ذلك من المشاكل المادية والمعنوية التي شغلت بال اولئك المسؤولين فذللوا الكثير منها بمعونة الوزارة في امد قريب سواء في ذلك ما يتعلق بالقرويين او غيرها من باقي المعاهد الاصلية .

فاذا علمنا ان القرويين اهملت من لدن الاستعمار طوال مكثه في بلادنا وعلمنا ان طلبة القرويين كانوا يتزايدون في عهد الاستقلال بنسبة مهمة علمنا مدى ما يتطلبه الامر من اهتمام وتيقظ وتبصر ومواصلة عمل حتى يتحقق للقرويين وغيرها جميع ما حرمت منه في العهد البائد .

ولاطلاع حضراتكم على ما تم في القرويين في عهد الاستقلال اسجل ان عدد تلاميذها وطلبتها ارتفع من سبعمائة الى اكثر من ستة آلاف . بينما ارتفع رجال التعليم فيها من نحو 50 الى 213 .

واماكن سكنى الطلبة حولت في معظمها الى مآوي صحية خصوصية في حي الشراردة. واصبحت لهم منح منتظمة من وزارة التربية الوطنية بدل الاعانة القديمة التي كانت خبزة قفارا من الاحباس بالنسبة للآفاقيين فقط ولا شيء لغيرهم من الحضريين ولهم اليوم داخلية مستوفية الشروط تضم ثمانيمائة تلميذ الى فصول دراسية منظمة بدل حلقات الدروس داخل المسجد ، ومستوصفين في كل من معهدي الزربطانة والشراردة ، وملاعب للرياضة ، وقاعة للمحاضرات ، وخزانة للكتب الدراسية وغيرها .

اما البرامج الدراسية فقد ادخلت عليها تحسينات عملا بمبدأ الوحدة الذي قررته اللجنة الملكية منذ سنة 1957 على اساس تدريس جميع المواد العربية ودراسة لغة اجنبية كمادة ثقافية . فكان في ذلك فرصة للقرويين استطاعت بسببها احياء مواد رياضية يعبر عنها اليوم بالمواد الحديثة وقد كانت تدرس في القرويين منذ القرن الرابع للهجرة . وبذلك صارت الدروس التي تلقى فيها حاليا تتوفر على جميع المواد الشرعية واللغوية والتاريخ والجغرافية والفلك والمنطق وتشتمل الى جانب ذلك العلوم والرياضيات والكيمياء واللغة الاجنبية والرياضة البدنية والتربية الخلقية والوطنية ... الخ .

ولتدريس هذه المواد باللغة العربية استقدمت وزارة التربية الوطنية عددا من الاساتذة الشرقيين . ولحل مشكلة الكتب التي ينبغي ان تدرس بها جميع مواد البرامج الجديدة ، اشعر قسم التعليم العالي جميع مدرسي المواد الاصلية او الحديثة بضرورة اعداد مذكرات بالدروس التي يلقونها على تلاميذهم قصد انتقاء الاصلاح منها بواسطة لجان فنية لطبعه وتقريره وقد شرعوا في اعداد هاته المذكرات منذ السنة الماضية ووصلت بعض النماذج بالفعل الى الوزارة والامل قوي في ان تحل هذه المشكلة العويصة في اقرب وقت ممكن بفضل مجهودات الاساتذة المختصين .

والجدير بالذكر ان القرويين استطاعت بحكم محيطها العريق في العربية ان تحقق ـ بسرعة ـ ما قررته اللجنة الملكية من ضرورة تدريس جميع المواد باللغة العربية والى جانبها لغة فرنسية . وابتداء من السنة الدراسية المقبلة ستضاف اليها اللغة الانجليزية بينما ستفتح في القرويين كلية للشريعة تشتمل على جميع المواد التي كانت تدرس في النهائي القديم من تفسير وحديث واصول وفقه وخلاف عال وتاريخ ونصوص ادبية ولغوية، وتزيد عليها بدراسة مواد اخرى كالفلسفة الاسلامية وتاريخ التشريع الاسلامي ونظام الحكم في الاسلام والفرق الاسلامية والملل والنحل وتاريخ العالم الاسلامي الى غير ذلك من الاقتصاد السياسي والقانون الدستوري والانظمة السياسية وعلم الاجتماع والقانون الدولي العام والخاص والتجاري والاداري والمالية العمومية ... الخ ولعلماء الشباب الحق في الحصول على شهادة الدكتورة في الشريعة الاسلامية بواسطة شهادة الدبلوم التي ستفتح امامهم المجال الاعداد اطروحة هذه نظرة عجلى عن ماضي القرويين وحاضرها نرجو ان تكون القت ضوءا على بعض جوانب هذه المؤسسة العظيمة .

سدد الله الخطى وحقق الامال في ظل عاهلنا المنصور المظفر والسلام .

علماؤنا والتبادل الفكري بين المغرب والمشرق

للأستاذ: عبد العزيز بنعبد الله

- 2 -

ومن المغاربة الذين استوطنوا بلد الخليل الشيخ زين الدين عبد الكريم بن علي بن عبد الرحمن المقدسي المتوفى عام 895 هـ (الانس ج 2 ص 549) وابن جبارة الشاعر وعبد الله السكري وخليفة الجابري (ص 583) وابراهيم بن منصور التلمساني (585) ومحمد بن علي الفلاح نائب قاضي القدس واحمد بن عبد الرحمن التلمساني الحريري قاضي المالكية بالقدس (586) وقاضي القضاة محمد بن سعيد المغراوي واحمد الرباحي (587) وابن المغربي ومحمد المطاوي وشهاب الدين المغربي قاضي الجماعة بالمغرب (ص 642) وعلي الجزولي نائب امام المالكية في المسجد الاقصى وكان يؤم بجامع المغاربة (ص 691) .

وعلي بن حنين الذي استوطن فاسا عام 503 ودرس بها ستا وستين سنة وتتلمذ للغزالي في الشرق (السلوة ج ص 349) وقا عاش عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص اخبار المغرب بالشرق حيث الف كتابه المذكور واقام بمصر عام 619 هـ (المعجب 161) كما رحل الى بغداد العالم الكبير ابو عمران الفاسي المتوفى عام 430 هـ (التشوف للتادلي ص 35 مخطوط المكتبة الزيدية بالرباط) والى الشام ابو محمد صالح ابن حرزهم تلميذ الغزالي (التشوف ص 38) وابو موسى عيسى ابن سليمان الرفروفي من تادلا اخذ عن الشاشي وعن الطرطوشي بالاسكندرية (ص 46) .

وذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ابن جعفون الازدي المتوفى بفاس عام 580 هـ وعبد الملك بن محمد ابن مروان بن زهر الذي اقام في الشرق طويلا وجلب دواوين من فنون العلم ، وعلي المحاربي وابن حنين الفاسي صاحب الغزالي جال في العراق والحجاز ومصر ، وعلي السلطيشي الطبيب دفين مراكش وعلي بن عتيق الطبيب الذي ضمن شيوخه المشارقة برنامجه الذي خرج به عن حد الفهارس الى كتب الامالي المفيدة .

وابو زكرياء يحيى الدكالي الحافظ قدم فاسا وسبتة صحب ابن دقيق العيد كثيرا (الدرة ص 489)

ومفضل العذرى الذي ولاه ابو يوسف بن عبد الحق قضاء الجماعة بفاس وجعل له النظر على صاحبي الشرطة والحسبة ، تتلمذ لعز الدين ابن عبد السلام وبن عساكر وابن خلكان وهو اول من سن بناء المدارس بفاس اذ على يديه اسست المدرسة القديمة بالحلفاويين بفاس (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 220) .

وابو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني سمع على الطبري صحيح مسلم ، ومروان بن عبد الملك الطنجي اللواتي الذي سمع بمصر من ابن نفيس وابن منير (الذيل والتكملة) .

ومحمد بن عمر بن نصر الفزاري السلاوي قدم الاندلس ورحل الى الشرق وروى عن اعلامه سنة 630 هـ (الذيل والتكملة) .

وابن الحداد محمد الصنهاجي الشاعر المحدث الصوفي المكناسي انتقل للمشرق لامر قام عليه فيه الطلبة بخطبة قال فيها بان الله خلق ءادم على صورته (درة الحجال ص 208) .

ومحمد ابن الخضار الكتامي التلمساني السبتي سمع علوم الحديث لابن الصلاح عليه بدمشق عام 634 (درة الحجال ص 282) .

والحافظ يوسف بن موسى السبتي ثم الفاسي روى البخاري عن الزبيدي والحديث عن ابن الفلاح توفى ءاخر المائة السابعة (الدرة ص 496) .

وابن المواق احمد التجيبي استظهر بمصر الموطا فضرب شيوخ المالكية الطبول على راسه اشادة وتنويها توفي بفاس عام 725 هـ (السلوة ج 3 ص 244) .

والشيخ التاودي بن سودة الفاسي الذي قال عنه الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه للقاموس (مادة سود) « شيخنا المحدث الفقيه المغربي ورد علينا حاجا وسمعنا منه وسمع منه ايضا بالمدينة المنورة ومصر خلق كثير » (السلوة ج 1 ص 114) .

وابن زكري الفاسي دخل لمصر وناقش فقهاءها في مسألة شرب الدخان وعقد علماؤها مجلسا لمناظرته في جامع الازهر (السلوة ج 1 ص 83) .

واثير الدين ابو حيان البربري النفزي المتوفى بمصر عام 745 هـ السلوة ج 3 ص 278) .

ومحمد بن سعيد الرعيني الفاسي المسند رحل الى المشرق واخذ عن اعلام مشارقة توفى عام 787 هـ (السلوة 3 ص 278) .

ومن الحفاظ عبد الرحمن سقين الذي ارتحل الى المشرق عام 909 هـ واخذ الحديث عن القلقشنـــــــدي وزكرياء الانصاري والسخاوي بمصر وعن ابن فهد بمكة وكلهم عن ابن حجر (السلوة ج 2 ص 160) .

وكذلك الكمال ابن ابي البركات المكناسي الذي روى عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني وكان لادريـــس العراقي فضل على محدثي مصر حيث استدرك احاديث كثيرة على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة ءالاف وكان سيدي عمر الفاسي يقول انه احفظ من ابن حجر (السلوة ج 1 ص 142) .

ومحمد بن عبد الله الزقاق الفاسي اخذ بمصر عن ناصر الدين اللقاني توفى عام 968 هـ (السلوة ج 3 ص 282) .

والسفير محمد بن محمد الجزولي الدرعي اخذ في مصر عن نجم الدين الغيطي ومحمد بن ابي بكر العلقمي وعن ابي فهد بمكة توفي بفاس عام 988 (284) .

ومحمد بن علي الدادسي ليس من اهل العلم ولكن له سند صحيح اخذ عن الصفوي المقدسي عن زكرياء عن ابي حجر وعن زين الدين المرصفي عن ابي حجر وعن موسى الشنائي عن يوسف الشريف عن الجلال السيوطي توفى عام 999 هـ (درة الحجال ص 226) .

واحمد بن محمد بناصر الدرعي قرا في مصر على ابي الحسن الزعتري رسالة ابي الفتح في العمل بنصف الدائرة ورسالة في علم الاسطرلاب ورسالة في علم كرة العالم توفي عام 1129 هـ (الاعلام ج 2 ص 161 .

والعالم محمد المجيدري اليعقوبي قيل انه اخذ اربعة لم يبلغ في عصره (عصر سيدي محمد بن عبد الله) مبلغهم وقد رحل الى الشرق واكرمه امير مصر (الاعلام ج 5 ص 88) وقد خلف لنا كثير من هؤلاء العلماء ومن بينهم العياشي صاحب الرحلة مصنفات قيمة ضمنوها مشيختهم في الشرق ومنهم من ترك وصفا رائعا للحركة الفكرية في الشرق الاسلامي وللتبادل الثقافي مع المغرب وقد صنف حازم صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتي « الدرة المضية في تاريخ الاسكندرية في مجلدات» والمستفاد من شيوخ بغداد (درة الحجال ص 173) .

والملحوظ هو ان معظم العلماء المغاربة الراحلين الى الشرق من مراكش او فاس ، وهذا يدلنا على ان فاسا كانت حقا « حاضرة المغرب » اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة حيث رحل من كلتيهما العلماء ، فنزل اكثرهم مدينة فاس (المعجب ص 220) وقد انتقد احمد القباب الفاسي علماء افريقية مثل ابن عرفة فرجع اليه (نيل الابتهاج ص 53) وابن عرفة هذا تلميذ لابن شـــارة الزمـــــوري (ص 329) .

ولا بدع فقد ذكروا ان عبد الرحمان بن عفـــان الجزولي المتوفى عام 741 كان يحضر مجلسه اكثر من الف فقيه معظمهم يستظهر المدونة (الجذوة لابن القاضي ص 258) وكان في مجلس عبد المومن الجاناتي بفاس 400 من حفاظ المدونة (ص 274) .

وقد تعرض المقري لوجود المصنفات المغربيـــة والاندلسية في الشرق فلاحظ أن « اكثرها في المشرق كعنقاء مغرب » (النفح ج 1 ص 40)

وكان الحكم المستنصر الاموي يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار بالاموال الطائلة حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وجلب كتاب الاغاني من

مؤلفه قبل ان يصدر في العراق وكذلك فعل مع القاضي ابي بكر الابهري في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وقد بيعت او نهبت عند حصار البربر (النفح عن ابن خلدون ج 1 ص 182) وحدث ابن حزم ان عدة فهارس خزانة المستنصر اربع واربعون في كل فهرسة عشرون ورقة باسماء الدواوين فقط وكان في الخزانة المستنصرية اربعمائة الف مجلد (ص 186) .

ورغم ما ذكره المقري من ان لاهل الاندلس السبق على اهل المشرق في ميدان العلوم (النفح ج 1 ص 58) .

فقد لاحظ ابن بسام في الذخيرة انهم « ابوا الا متابعة اهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافاق غراب ، اوطن باقصى الشام والعراق ذباب لحنوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما . واخبارهم الباهرة .

واشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ المرية لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد (عن النفح ج 1 ص 581) .

وقد اشار المقري الى بعض خواص علماء الاندلس — وهي منطبقة على علماء المغرب ايضا — فلاحظ انهم يعتنون بالحديث والفقه ويحفظ خواصهم — وان كانوا مالكيين — من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم ، وسمة الفقيه عندهم جليلة سموه الامير الاعظم تنويها له بالفقيه وهي بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وان كانت تطلق على الكاتب والنحوي وهم متوسطون في الاصول اما في النحو فانهم في نهاية من علو الطبقة حتى انهم في هذا العصر كاصحاب عصر الخليل وسيبويه مع ان كلامهم منحرف عن أوضاع العربية ومن أعرب استثقلوه في غير المخاطبات (النفح ج 1 ص 104) .

ولاحظ المقري كذلك ان « لاهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان في شفاء عياض أحاديث لم يعرف اهل المشرق النقاد مخرجها » (النفح ج 1 ص 332) .

والملحوظ ان التجانس كان أوثق بين اهل الشام واهل المغرب فالفاتحون للاندلس هم اهل الشام وغالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستأنفا وحضرة جديدة وقد نزل اهل دمشق بغرناطة وسموها باسمها (النفح ج 1 ص 62) بينما سميت تدمير بمصر لشبه مادي بينهما حيث يسيح بارضها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر (ص 80) ولا يجهل احد حملات العبدري وابن جبير وحتى ابن سعيد على اهل مصر ولعل الوحشية التي لوحظت بين المغاربة والمصريين في بعض العصور ترجع لسوء معاملة المسؤولين للمهاجرين والحجاج المغاربة فقد ذكر ابن سعيد ان المصريين يتعرضون لفقراء المغاربة بالقبض للاسطول وان ذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين ان كان المغربي غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول . (النفح ج 1 ص 498) .

وقد راينا ابن سعيد يبكي المغرب وهو في مصر قائلا :

هذه مصر فاين المغرب   مذ نای عني فعيني تسكب

في حين يلاحظ ارتياح كثير من علماء المغرب الراحلين للشرق الى الشام بصورة خاصة .

وقد قال المقري (النفح 12 ص 34) :

محاسن الشام اجلى
من ان تحاط بحد
لولا حمى الشرع قلنا
ولم نقف عند حد
كانها معجزات
مقرونة بالتحدي

ولعل الاحتكاك الواقع في الحدود بين مصر ومغرب الموحدين كان له اثره بالاضافة الى شراسة رجال الجمارك وقد سرى هذا الشعور في الحاشية بالبلاط المغربي حتى راينا ابا العباس بن عبد السلام يخاطب ابا يعقوب :

ستملك ارض مصر والعراقا
وتجري نحوك الامم استباقا

(البيان المغرب ج 4 ص 49) .

وخاطب ابو العباس الجراوي يعقوب بقوله :

سينظم السعد مصرا في ممالكه حتى يدوخ منها خيلة حلبا الى العراق الى أقصى الحجاز الى اقصى خراسان يتلو جيشه الرعبا .

ونظرا لطابع الاستمرار الذي يتسم به تاريخ المغرب ولخضوع الاندلس وافريقية وحتى طرابلس لملوكه اتيح لبلادنا ان تكون صلة وصل قارة بين الشرق والمغرب ولا بدع في ذلك فالمغرب جناح ايمن للاندلس كما وصفه علي بن يوسف اللمتوني (النفح ج 1 ص 90) كما انه جناح ايسر للشرق العربي فاكتمل فيه الجناحان ولعل الراحلين الى المشرق من المغرب كانوا أوفر نظـــرا لاستمرار الوجود المغربي منذ ازيد من الف عام وان كان من الصعب الموازنة لان « حصر الارتحال لايمكن بوجه ولا بحال » (النفح ج 1 ص 331) فالمقري نفسه لـــم يزد في احصائه لعدد الاندلسيين الراحلين الى المشرق على ثلاثمائه واربعة رجال (راجع الجزئين الاول والثاني من ص 331 الى ص 687) بينما ترجم لواحد وسبعين من المشارقة القادمين الى الاندلس (ج 2 من ص 691 الى ص 762) فهؤلاء المشارقة « قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها (ارض الاندلس) وطنا . . ومنهم من عاد الى المشرق (ص 691) هذا بينما نلاحظ ان المشارقة الوافدين على المغرب كانوا قليلين جدا نسبيا منهم علاوة على من ذكرنا جملة اشار اليها المقري منهم الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين البغدادي وصل الى سلا ومراكش (ص 760) .

والمحدث الرحالة ابراهيم بن خلف بن منصـــور الغساني السنهوري المصري من شيوخ ابن القطان قدم مراكش (ص 751) .

والامير شعبان بن كوحيا من غز الموصل وفد على يعقوب المنصور فقدمه على امارة بسطة من الاندلـــس (ص 755) .

وهبة الله بن الحسين المصري الاصولي المحدث الذي قدم الاندلس خوفا من صلاح الدين الايوبي في قوم من شيعة العبيدي ملك مصر ووقد معه ابو الوفـــاء المصري واستصحبه امير المومنين يعقوب المنصور معه في غزوة قفصة الثانية وولاه قضاء تونس وكان قد ولي قضاء فاس توفي وهو متولي قضاء تونس عام 586 هـ (ص 722) .

ولدى حديثه عن تاج الدين بن حمويه السرخسي المولود عام 573 اكد ان له رحلة فيها عجائب شاهدها بالمغرب ولقي بمراكش ابا العباس السبتي كما ذكر في رحلته انه شامي له خؤولة في المغرب دخل مراكش ايـام يعقوب المنصور فاتصل بخدمته وشرح احوال سيرته وما جرى في ايام دولته في تاريخه المسمى « عطف الذيل » وذكر جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم في هـــذه الرحلة توفي بدمشق (ص 737) .

ومن جملة الاندلسيين الذين ذكرهم المقري فيمن ارتحل الى الشرق :

يحيى الغزال شاعر الاندلس وسفير عبد الرحمن ابن الحكم الى الروم اقذع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب فنفاه الامير ودخل الى العراق توفـي في حدود 250 هـ (ص 452) .

وأبو الصلت امية بن عبد العزيز الاشبيلي الذي اقام عشرين سنة في مصر محبوسا في خزانة الكتب بعد ما وجهه صاحب المهدية الى ملك الكنانة فخرج في فنون العلم اماما لا سيما في الفلسفة والطب وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذي لحن الاغاني الافريقية واليه تنسب حسب ابن سعيد وله كتاب الحديقة على اسلوب يتيمة الثعالبي (ص 378) .

والحافظ الحميدي تلميذ ابن حزم والذي الف كتابه « جذوة المقتبس في اخبار علماء الاندلس » ببغداد (ص 381) .

وابن البيطار النباتي الطبيب الذي خدم الكامل ابن العادل فعينه رئيسا على سائر العشابين في الديار المصرية (ص 683) .

واليسع بن عيسى صاحب « المغرب في محاسن اهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين الايوبي بمصر بعد ان رحل اليها عام 560 هـ وبها توفي عـام 575 هـ (ص 514) .

والامام الشاطبي المقرىء الحافظ الذي كان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلـــوم وكان استاذا بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وقد ملا الشام والعراق بأوابده (ص 340) .

ومحمد بن لب الذي تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة 642 هـ وبقي بها الى ان توفي بالقاهرة عام 663 هـ (ص 358)

وابو حيان الذي قال ابن مرزوق في حقه شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية وذكر الصفدي في اعيان العصر انه امير المومنين في النحو (النفح ج 1 ص 599) وسبب ارتحاله الى المشرق الرد على استاذه ابي جعفر الطباع وتكذيب روايته في كتابه « الالماع في افساد اجازة الطباع » فرفع هذا امره للسلطان فنفذ الامر بتنكيله فاختفى ثم اجاز البحر الى الشرق (النفح عن ابن الخطيب ص 625) .

وعلي بن موسى بن سعيد متمم كتاب « المغرب في اخبار المغرب » رحل الى الموصل وبغداد وحضر مجلس خلوة السلطان المعظم بدمشق وكان ارتحاله لبغداد عقب 648 هـ ثم عاد الى المغرب وصنف « النفحة المسكية في الرحلة المكية » « واختبر في رحلته الفضلاء من البحر المحيط الى القاهرة وقد ولي للموحدين بمراكش وسلا (ص 453 هـ الى 492) .

وابو مروان عبد الملك بن زهر الذي تولى رياسة الطب ببغداد ومصر والقيروان (النفح ج 1 ص 445)

والطبيب عبد الله المالقي رئيس العشابين بالديار المصرية (ص 683) وابو الحكم عبيد الله الباهلي طبيب السلطان السلجوقي محمود بن شاه في مارستان العسكر (ص 655) وحكيم الزمان الطبيب الماهر محمد الغساني الذي اعتنى به صلاح الدين الايوبي ومحمد بن عبدون القرطبي رئيس مارستان مصر (ص 444) وغيرهم .

والمقري نفسه هو احمد بن محمد التلمساني نزيل « فاس الباهرة ثم مصر القاهرة (النفح ج 1 ص 8) رحل الى الشرق عام 1027 هـ وزار الحجاز وبيت المقدس والشام ودرس بالازهر (ص 33) وقد الف كتابه النفح بعد رجوعه من دمشق الى القاهرة استجابة لرغبة المولى احمد الشاهيني رغم « عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام » (ص 39 ـ 40) .

اما المشارقة الوافدين على الاندلس فقليل منهم من هاجر للعلم في اللائحة التي رسمها المقري امثال ابي علي القالي وصاعد بن الحسين البغدادي ومحمد بن موسى الرازي وزرياب المغني .

وهكذا نرى ان رسل الفكر بين المغرب والشرق كانوا اهم عنصر في ترصيص الوصلة الروحية بين جناحي العروبة والاسلام : المغرب والشرق .

سل التاريخ ... ؟

سل التاريخ عن رحمة العرب وعدلهم وروح التسامح التي كانت تسودهم ...

سله ينبئك ان العرب لم يستذلوا شعوب العالم ابان قوتهم وبأسهم ولكنهم نشروا رسالة المحبة والتعاون والاخاء ، وقضوا على التفرقة العنصرية ، والاستبداد الطبقي ، وحققوا الديمقراطية الصحيحة .

فالعرب ـ بحق ـ هم الذين ضربوا للعالم المثل في كيفية سياسة الشعوب والامم عن طريق المواساة ، وكفالة الحريات وسيادة العدل وتأكيد الطمأنينة والامن ، وتحكيم الاشتراكية العادلة .

عباس محمود العقاد



فن أبي تمام

للدكتور عبدالكريم اليافي

الدكتور عبد الكريم اليافي احد اساتذة جامعة دمشق البارزين ، له مؤلفات قيمة في علم الاجتماع ، والسكان والفلسفة والمنطق ، تدرس بكلية الاداب ، وتمتاز كلها بالدقة والعمق واشراف العبارة ، وقد استطاع بفضل ثقافته العلمية والادبية الواسعة ان يكتب ويحاضر في كثير من مجالات المعرفة الانسانية وان يثير اعجاب طلابه والدارسين عليه .

وقد طلبت اليه مجلة دعوة الحق ان يبعث اليها ببعض بحوثه ومقالاته الشائقة فتفضل وخص المجلة بهذا البحث القيم عن فن ابي تمام ، والمجلة اذ تتوجه له ـ باسمها وباسم قرائها ـ بالتحية والشكر الخالصين تتمنى ان يظل اتصاله بها دائما ومستمرا .

« دعوة الحق »

عندما نتناول بالدراسة جانبا من الشعر العربي ، ينبغي ان ننتبه دائما الى صفتين فيه متلازمتين وهما : انه اولا ذو خصائص ذاتية تحتاج الى ايضاح ، لا يشاركه فيها ادب من الآداب العالمية الاخرى ، وانما يمتاز بها ويتفوق بحيازتها على سائر الآداب العالمية .

وانه ثانيا فن انساني عالمي ، وهو من اجل ذلك لابد من ان يشبه الفنون العالمية الانسانية الكبرى ، وتشبهه من حيث خطوط النمو والتطور الرئيسية .

اما الوصف الاول ، وهو ان الشعر العربي ذو خصائص ذاتية يمتاز بها ، فيأتي في طليعتها استمراره وبقاؤه الطويل الخالد ، مع احتفاظه الدائم بالجدة والنشاط والمرونة الكبيرة . ولم يتح هذا الاستمرار والبقاء لادب من الآداب الاجنبية المعروفة .

فنحن اليوم في سنة 1961 نحتفل بشاعر عاش قبل اثنى عشر قرنا ، ونتفهمه بيسر وسهولة ، على رغم صعوبته هو وتعقيده . وذلك اننا ما زلنا نستعمل اللغة التي غنى فيها ، ونتداول الالفاظ التي برع في طرافة تركيبها وملائمة بعضها لبعض ، كما تتفهم بنفس اليسر والسهولة من اتى قبله من الشعراء منذ اكتمال اللغة العربية واشتهارها القديمين ، على حين ان الامم الاخرى ذات الآداب العالمية ، لم يكن لها آداب ولا لغة قبل بضعة قرون . نحن اذن امام خاصة يمتاز بها الشعر العربي والادب العربي واللغة العربية ، وهي الاستمرار والبقاء بل الخلود . وبرغم هذا التقادم الطويل تستمتع في لغتنا وادبنا واشعارنا بمرونة عجيبة وحيوية طافحة ودقة لا تتناهى ، وخصب وغنى استأثرت هذه اللغة واستأثر ادبها بهما دون سائر اللغات .

واما الوصف الآخر ، فهو ان الشعر العربي لما كان فنا من اعلى الفنون الانسانية واغلاها ، لزم ان يكون قد مر بمراحل من التطور كبيرة ومهمة . ذلك هو منطق التاريخ المبرم . ولكن التطور الواسع الذي اصاب الشعر العربي كان تطورا خاصا ، كان افضل انواع التطور . ذلك ان الشعر العربي قد تطور في غضون الاحقاب المتطاولة الماضية ما شاء ان يتطور ، ولكنه استطاع ان يحافظ مع ذلك على ذاته وجوهره دون ان يلحق به التطور خروجا عن طبيعته الاصلية ، وانما زاده غنى ومرونة وخصبا .

واذا بدا لنا اقتران هذين الوصفين غريبا ، فنحن تجاه شاعر لابد حين ندرس خصائص شعره الفنية من ان نشير تباعا الى ذينكم الوصفين العامين . سيبدو

لنا فى فن ابي تمام عناصر التطور الضخم الذي اتسع له افق الشعر العربي من جهة اولى ، وذلك ان ابا تمام اكبر مجدد فى الشعر العربي ، كما سوف تبدو عناصر الفكر الفنية العالمية فى شعر ابي تمام نفسه من جهة ثانية ، وذلك كله من خلال بيانه العربي الاصيل المتصل بمرحلته التاريخية .

هذا البيان فى عصره جمع رقة بردى ، وعظمة النيل ، وتدفق الفرات ، وغطرسة دجلة ، وزركشة بلاد سيحون وجيحون ، وتهاويل وادي سيحان وجيحان (1) .

وقد اضاف الى بياض النهار ونصوعه سواد الليل وغموضه ، والى متوع الضحى وتالقه تامل الاصيل وسحره ، والى روعة العشيات وشجونها انبلاج الاسحار وفتونها .

ضم الى كثرة صور الارض لالاء القمر ، وبهاء الشمس ، وكبرياء المشترى ، وباس المريخ ، وظرف عطارد ، وخصائص بقية السيارات والنجوم، كما جاءت اسماء هذه الكواكب جميعها فى شعره .

وقد ورث كنوز اللفظ ، ولؤلؤ الكلم ، وابريز الحرف ، وحلي القريض ، وماس القافية ، وزمرد الظلال ، ووهج الالوان ، وركب ذلك كله وصقله وحلاه فى صنعة جديدة مبتكرة .

هذا فضلا عن كثرة الحركات ، وبراعة الاشارات، وخفاء التلميحات، وندرة اللهجات ، وتنافر المتناقضات ورجع الاصداء القديمة والحديثة .

كان الشعر العربي قد مر نحو ثلاثة قرون على اتساعه واكتماله وتنوع أغراضه وتفنن التعابير فيه . وقد نبغ الشعراء الجاهليين والمخضرمين والامويين وشعراء صدر الدولة العباسية من نبغ ، وغنى منهم من غنىفى أجواز البلاد العربية المترامية ، وكانما كان الشعر ينتظر تطورا جديدا فى التعبير وطريقة الصوغ بعد اذ عرف ارهاصات جديدة على لسان مسلم بن الوليد وبشار بن برد . ولكن رسالة الشعر الجديدة اذ ذاك ، انما قدر ان ينهض بها ويؤديها ، ذلك الفتى الناشىء الاسمر اللون ، الطويل القامة ، الاجش الصوت ، ذو التمتمة اليسيرة ، من قرية جاسم على طرف الطريق الذاهب من دمشق الى طبرية .

وكانت البلاد العربية اذ ذاك أغنى بلاد العالم قاطبة وأكثرها عمرانا ، واشدها تقدما وآلقها حضارة. كانت كنوز الدنيا تحمل اليها وتجبى لها . وكان عصر ابي تمام عصر خلافة الرشيد والامين والمامون والمعتصم والواثق ، بلغ العلم والثقافة والفكر فيه أوج الاتساع والرقي والقوة . ويهمنا فى الحين بعد الحين أن نربط بعض الشيء بين خصائص فن أبي تمام وبين صفات العصر العامة الذي عاش فيه ، اما غنى ذلك العصر فربما يكفي ايراد مثل واحد بارز معروف لتذكير ابهة الحضارة وترف المعيشة وتفنن الوان الحياة . ففي عصر ابي تمام ، فى سنة 210 هجرية ، حصل عرس المامون على بوران بنت الحسن بن سهل . ويذكر المؤرخون كيف فرش له يوم العرس حصير من ذهب ، ونثر عليه الف حبة من الجوهر ، واشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل ، ونثر على القواد رقاع باسماء ضياع ، فمن وقعت بيده رقعة أشهد له الحسن بالضيعة . وكان أبو تمام متصلا بامراء عصره ورجال الدولة ، وهو الفقير الذي بدا حياته حائكا بدمشق ثم صار بمصر يسقي الماء فى جامع عمرو ، فاطلع على الوان تلك الحياة المترفة وافانينها . ومن جملة من اتصل بهم ونال جوائزهم الحسن بن سهل هذا ، حمو المامون ، والخليفة المامون نفسه ، وكذلك المعتصم من بعده ، ثم الواثق وطائفة من قادة الثغور وامراء البلاد . واذا كان الامر كذلك فلا بد من ان يكون شعره محلى بانواع الزينة تحلية تلك الحياة التي يحياها اولئك الرجال ، مزخرفا بالوان البديع والصناعة زخرفة مجالي العيش الذي يعيشونه . ولا عجب اذا انتبه الشاعر الى تلك المحسنات البديعية فى صنعة متعمدة تظهر فيها أحيانا آثار الداب والجهد .

فهو القائل فى المديح :

يمدون من أيد عواص عواصم
تصول باسياف قواض قواضب

مجانسا بين عواص وعواصم وقواض وقواضب جناسا مذيلا .

---

1) حيث مدينة المصيصة التي انشد ابو تمام المعتصم مديحة فيها بعد معركة عمورية .

وكذلك يقول فى النسيب :

وانجدتم من بعد اتهام داركم
فيا دمع انجدني على ساكني نجد

معتمدا على جناس الاشتقاق بين انجاد الاحباء وانجاد الدمع ومكان نجد ، وعلى الطباق بين الانجاد والاتهام .

وكذلك يقول فى هديل الحمام :

لا تشجين لها فان بكاءها
ضحك وان بكاءك استغرام

هن الحمام فان كسرت عيافة
من حائهن فانهن حمام

معولا على الطباق بين البكاء والضحك وعلى الجناس المحرف بين الحمام والحمام .

واما العلم والثقافة والفكر النير فى ذلك العصر، فلقد كانت العبقريات تتفتح كالنجوم فى كل افق وكانت البلاد كلها تعج بالائمة فى كل ميدان من ميادين المعرفة ، كالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والادب والشعر والتاريخ والرياضة والفلك والموسيقى والفلسفة وامثالها . ولا شك ان ابا تمام قد صادف فريقا من اولئك الائمة فى دمشق ومصر وبغداد وبقية ارجاء الدولة العربية ، واستمع اليهم وانشدهم من شعره . ويضيق المجال هنا عن الاشادة باولئك الائمة الاعلام .

ذلك عصر عجيب فى ثقافته وحضارته وتقدم جميع انواع المعرفة ابانه . ولذلك لا غرو اذا حمل شعر ابي تمام ثمرات تلك المعرفة الواسعة ، والتفت فى مونق قوافيه ظلال تلك الثقافة المتفننة ، وانعكست فى مشرق حروفه اشعة تلك الحضارة الوهاجة ، واضطر مطالع شعره الى ثقافة كبيرة تتصل بجوانب تلك الحضارة . فشعره يمس ذلك جميعا فى الموضوع بعد الموضع والحين تلو الحين . وهو مما يسهل العثور عليه وتبينه عند المطالعة ، وان كان يبدو هذا الشعر معقدا وعرا صعبا ، ولكنه لا يلبث ان ينجلي لدى الادمان واعمال الفكر .

ويجوز لنا ان نمضي فى هذا النحو من الكلام ، ونذكر الامثلة المتعددة على ذلك الغنى الفكري ، وعلى الوان المعرفة والثقافة فى شعر ابي تمام . وهذا النحو من البحث سهل ويسير . ولكننا نؤثر ان ندع ذلك ونبين بايجاز جوانب الابتكار وعناصر الطرافة والتجديد فى شعر اكبر مجدد فى تاريخ الشعر العربي . فمن المعلوم ان ابا تمام كان راس مدرسة شعرية تركت اكبر الآثار . يقول عنه الصولي الذي جمع اخباره : « راس الشعر مبتدىء المذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه ، حتى قيل مذهب الطائي وكل حاذق بعده ينتسب اليه ويقص اثره » .

وما ذكره الصولي اصبح منذ القديم متداولا متعارفا مجمعا عليه . ونحن نريد هنا أن نبين ملامح هذا المذهب الجديد فى ضوء من المعرفة جديد .

فمن اولى خصائص هذا التجديد ، تحميل الالفاظ اكثر من مجرد دلالاتها ، وذلك باعتماد المجاز والاستعارات وامثالها . واذا كان المجاز والاستعارة معروفين متداولين عند العرب القدماء ، فان شدة اعتمادهما عند ابي تمام من شانها أن تخرج اللفظ عن دقيق دلالته ومضبوط معناه ، لتوحي من ورائه بمعنى آخر لمجرد علاقة من العلاقات .

ولايضاح ما اقصده اضرب مثلا بفن التصوير . فبدلا من ان يعمد المصور اذا اراد ان يصور اسرة سعيدة الى تصوير جميع افراد الاسرة فى بهو بيت بابتساماتهم واشكالهم وسحنتهم الدقيقة، اصبح يرسم بعض الخطوط التي تدل على البيت ، ويسبغ عليه جوا من ايحاء السعادة ، تشعر به من خلال النور المتلالىء الخارج من النافذة فى الظلام ، والدخان المنطلق من الموقد . او هو ياخذ على طريقة بيكاسو الحديثة مثلا فردا من افراد الاسرة ، ويجعله يمثل الاسرة جميعها بادخال خطوط والوان جديدة مغايرة للمالوف، ولكن بينها فى حد ذاتها تلاؤما ، كما ان بينها وبين ما تدل عليه من المعاني علاقات ينبغي ان يجدها المتامل ويكشف عنها بالتدريج ، فيجد لذة وخصبا فى هذا التامل والكشف .

وهذا هو الذي صنعه ابو تمام فى ميدان الشعر بالنسبة الى دلالات الالفاظ والكلمات . اصبحت الالفاظ والكلمات لا تؤدي دلالاتها ومعانيها بالضبط بل هي تطمح الى شيء آخر . انها اصبحت لا تستعمل لمعانيها الموضوعة لها بالتدقيق ، بل لتناسبها ومراعاة نظائرها واضدادها . المعنى الشعري العام لا يحصل كما فى الرسم الدقيق من اتصال هذه الدلالات الجزئية بعضها ببعض بدقة ولطف واستمرار ، بل من تقاطع

هذه الدلالات تقاطعا عنيفا متضادا في كثير من الاحيان ، هنا لا يهتم المصور بالرسم والخط ، وانما يهتم بلطخات الالوان وتعادلها ، وبما تحمله من ايحاء ، وبما يشتمل عليه من ايقاع وتناسب .

لناخذ قصيدة مشهورة من قصائد حبيب ، وهي التي قالها في موقعة عمورية . وهي كلها جديرة ان يستشهد بها هنا ، ولكنا نجتزىء منها ببعض الابيات :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

نجد منذ الاستهلال ان التعبير اختلف تماما عما الفناه عند الشعراء الجاهليين والمخضرمين والذين عاشوا في فجر الاسلام . الالفاظ تحمل اكثر من معانيها وكل لفظ ليس مستقلا في حد ذاته ، وانما جاء به ما بينه وبين غيره من تناسب وتجانس وتضاد . فالسيف استعمل هنا رمزا الى القوة والحرب . والكتب وردت رمزا الى التنجيم . والحد الثاني ومعناه الفصل بين الشيئين انما أتت به مجانسته للحد الاول حد السيف والحد الاول انما أتى به جناس التصحيف مع الجد ، ولفظ الجد هذا استدعى اللفظ المضاد وهو اللعب .

والبيت الثاني توكيد للبيت الاول بشكل مزخرف متألق خطابي جاء بألفاظه الطباق بين البيض والسود ، وتجنيس القلب في الصفائح والصحائف .

والبيت الثالث توكيد جديد للفكرة نفسها ، فهو يقول فيه : صحيح العلم في الحرب لا ما استند للتم عليه بالنجوم . ولكنه يختار للدلالة على النجوم لفظ الشهب التي هي اخص منها ، ويستعير اللفظ نفسه لاسنة الرماح زخرفة وتزويقا ومجانسة . وهكذا نرى ان الفاظ هذه الابيات مختارة اختيارا خاصا يخرجها في كثير من الاحيان عن دلالاتها الدقيقة ليقصد الى ما بينها من تناسب وتجانس وتضاد ، وما تستطيع ان تضفيه من ايحاءات قوية .

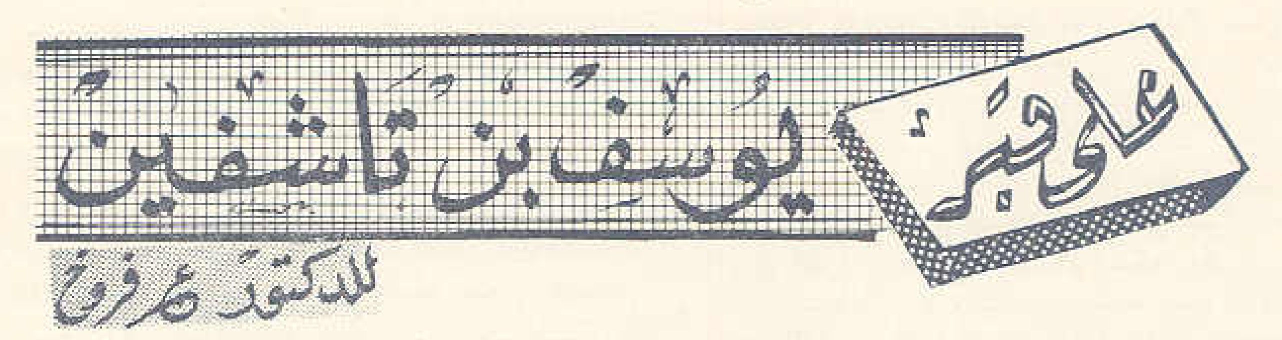
ولتحميل اللفظ اكثر من معناه ، عول ابو تمام ايضا في قصائده على التلميح والاشارة الى ايام العرب وحوادث التاريخ والقصص المأثورة وضرب الامثال . وفي ذلك ما فيه من ايحاء وتذكرة وارضاء للثقافة الواسعة . واشعاره حافلة بذلك حفولا واضحا لا يحتاج الى تفصيل ، ووضوحه يغنينا عن ذكر الامثلة .

(يتبع)

نصيحة

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : ما رايت كاليوم ، ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بها رجل عند هشام ابن عبد الملك ، دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني اربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، قال : ما هي :

قال : لاتعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها ، ولا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب وان للامور بغتات فكن على حذر .



في صباح الخامس من ايلول (سبتمبر) من عام 1957 ، وكان يوم خميس ، غادرنا الدار البيضاء في سيارة السيد محمد قباج وسلكنا طريقا واسعا حسن التعبيد يمتد مائتين وخمسين كيلومترا ووجهتنا مدينة مراكش ، مراكش عاصمة يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين ، ثم عاصمة دولة الموحدين من بعد والعاصمة الشتوية للاسر المغربية المتعاقبة منذ العصور الوسطى الى العصر الحديث ، والى ان اختار الفرنسيون مركزا ادنى الى البحر واقرب الى مرامي مدافعهم وايسر وصولا على جنودهم فاتخذوا الرباط وجعلوا منها العاصمة الوحيدة . ومع ان الرباط اقرب بمركزها الجغرافي الى ان تكون عاصمة حديثة ، فان الافرنسيين لم يقصدوا من اختيارها ما قصد رجال الحكم الوطني من الاستمرار فيها عاصمة وحيدة للمغرب .

كان ابرز ما لفت نظري في اثناء الطريق احدى القواعد الامريكية ، وكانت ارضا واسعة محصونة باسلاك شائكة كما كانت تمتد على جانب الطريق العام، الى يميننا ، كيلومترات عديدة ثم تذهب عرضا حتى تكاد تتصل بالافق الغربي . وكان الجانب المحاذي للطريق ، من تلك القاعدة ، مخصوصا ببيوت سكنى عادية ، يتوزع فيها وفي جنائنها اشخاص في اللباس المدني ؛ ولا يبعد ان ترى هنا وهنالك أطفالا يلعبون وراء الاسلاك الشائكة او يتأرجحون على حبال منصوبة بالعراء او تحت السقوف القائمة على الاعمدة. ان الغاية من الاسلاك الشائكة ان تمنع الذين تحيط بهم تلك الاسلاك من الخروج الى العالم الطليق ؛ اما هذه الاسلاك حول القواعد الامريكية فالغاية منها ان تحول بين اهل العالم الطليق وبين الساكنين فيها .

ليس بامكاني ، ولا احسب ان بامكان احد مثلي ، ان ينفذ ببصره او بعمله الى ما في داخل تلك القاعدة العسكرية . ولكن الذي نعلمه ونبصره أن الامريكيين متمسكون بتلك القواعد اكثر من الافرنسيين . ولولا ذلك لما استاجرها اولئك من هؤلاء ، ولما اجرها هؤلاء الى اولئك . ولقد حرص المغرب ، منذ انتزاع استقلاله من الافرنسيين ، في الثاني من آذار من عام 1956 ، على استرداد تلك القواعد فكان الامريكيون يحتجون بانهم استاجروها من الافرنسيين . اما الافرنسيون فكانوا يحتجون بانهم استبقوا السلطة الاسمية على هذه القواعد ثمنا لقبولهم بالجلاء عن المغرب . ولكن لما قام الرئيس الامريكي ايزنهاور بزيارة للمغرب ، فيما زار من بلاد آسية واوروبة وافريقية ، في اعقاب عام 1959 ، وافق على جلاء القوات الاميركية عن تلك القواعد ؛ الا انه اجل موعد ذلك الجلاء الى عام 1963 . ويبدو ان مفاوضات لاحقة عادت فقدمت هذا الموعد الى عام 1961 .

ثم لاحت لنا قاعدة امريكية ثانية بعد المغيب : ونحن موغلون جنوبا في شرق متجهين نحو مدينة مراكش ، فراينا القاعدة في الليل شعلة من الاضواء الكشافة في كل اتجاه . وفي المغرب قاعدتان اخريان لم تكونا في طريقنا الذي كنا نتبعه .

مدينة مراكش واحة في صحراء . انها حجارة جافة . ولقد اتفق ان شهدت ، في الايام الثلاثة التي قضيتها فيها ، حرا شديدا ومطرا غزيرا وعاصفة حمراء صبغت الجو كله بلون الدم وكانت تذري الرمال في الوجوه ثم تسد الافق وتظل الارض حتى لا يكاد الرجل يرى صاحبه على بضع خطوات منه .

ومع ان مدينة مراكش تبعد عن أقرب نقطة تواجهها من جبال الاطلس اربعين كيلومترا في خط مستقيم ، او اكثر قليلا ، فانها توصف بانها قائمة في سفح جبال الاطلس . ونحن الذين تعودنا ، في لبنان ، رؤية الجمال نماذج مصغرة : نرى البحر المنبسط والبر الافيح والرمل المترامي الاطراف والجبل الشاهق والغابة الكثيفة والارض القفر والحديقة الغناء ، جنبا الى جنب ، في رقعة لا تزيد مساحتها على عشرة كيلومترات في مثلها ، تستغرب ان يقال في مدينة انها في سفح جبل تبعد عنه اربعين كيلومترا او تزيد ، اي ثلثي المسافة ، في خط مستقيم ايضا ، بين عاصمة الجمهورية اللبنانية وعاصمة الجمهورية السورية بالامس . على أن دهشتك واستغرابك سيتلاشيان اذا صعدت مئذنة جامع الكتبية .

يرجع بناء هذا الجامع ، كما يرجع بناء مدينة مراكش ، الى ايام امير المسلمين يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين . ولكن الهياكل العظيمة لا يستقل ببنائها الفرد ولا الاسرة، بل هي من عمل الاسر المتعاقبة في الملك الواحد . ولقد تم تزيين مدينة مراكش ، كما تم بناء جامعها ومئذنته في ايام الموحدين الذين خلفوا المرابطين ، في ايام ابي يوسف يعقوب المنصور اعظم ملوك الموحدين واحد عظماء ملوك المسلمين .

ليس لمئذنة الكتبية — والمئذنة تسمى في المغرب منارة وصومعة ايضا — درج يرقى بها ، ولكن لها سطوحا مائلة على شكل شبه حلزوني لان المئذنة مربعة وليست مستديرة .

ويبدو ان السير على سطح مائل ميلا معتدلا اهون من التصعيد في سلم طويل . وضلع منارة الكتبية اثنتا عشر مترا ونصف ، واما ارتفاعها فسبعة وستون مترا ونصف المتر . فاذا وصلت الى سطحها الاعلى انبسطت مدينة مراكش تحتك على مثل الكف ، ولا غرو فهذه المدينة قائمة في صحراء . وبعد أن تجتاز ببصرك البيوت والجنائن والنخيل من كل جانب تبصر الرمال تحيط بتلك الجنة الفيحاء . ثم تدور ببصرك الى الجهة الجنوبية الشرقية فترى الطرف الغربي من الاطلس الكبير يقوم سدا مرصوصا في الافق القصي .

وبعد ان تستجلي هذا المنظر الواسع الرائع لمدينة مراكش ، كما يراها الطائر من حالق يحسن ان تتقرى عددا من معالمها . فهنالك دار سي سعيد (السيد سعيد) وقصر الباهية وانقاض قصر البديع وقبور الاشراف السعديين . ولكن قد يتفق للزائر احيانا ما يتفق للساكن . قد يقضي الساكن عمره كله ثم لا يرى كثيرا من معالم البلد الذي يسكنه وهو يمر بها صباح مساء ، او تكون منه على مسافة يسيرة : في غير الحي الذي يسكنه او في غير الشارع الذي يرتاده فاذا كانت هذه حال الساكن في البلد احيانا ثم عذرناه اذا حالت العوائق المختلفة بينه وبين مشاهدة الآثار في مسقط راسه ، فالزائر الطارىء احق بالعذر اذا لم يستطع ان يرى كل ما في ذلك البلد في يومين أو ثلاثة ايام .

مررنا بقصر الباهية وبانقاض قصر البديع مرور الكرام ، وقصدنا الى قبور الاشراف السعديين فوجدناها في ذلك الحين مغلقة في وجه الزائرين . ولكن اذا كان قد ضاع علي شيء من زيارة عدد من المشاهد الجليلة في مدينة مراكش ، فلا يجوز أن تضيع علي زيارة قبر يوسف بن تاشفين بحال : قبر ذلك الرجل الذي بنى مدينة مراكش واقام الاسس الاولى لعظمة المغرب . ان الوقوف على الخطوط المتناسقة والنقوش المفوفة ياخذ بالبصر ويملأ النفس روعة وجمالا ، ولكنه كثيرا ما يوحي باجلال اكبر من ذلك الذي يستحقه اولئك الذين خلقوا لنا هذه الخطوط والنقوش . لما كنت في باريس ، قبل خمسة وعشرين عاما ، زرت قصر الانفاليد لاقف بضع دقائق على قبر نابليون بونابرت . الم يحاول بونابرت هذا ان يغزو وطني ثم يرتد خائبا ؟ الم يحاول ، فيما بعد وبعد ان تتوج امبرطورا باسم نابليون الاول ، ان يبدل خارطة اوروبة الم يكن نابليون مصلحا على الرغم من كل مساوئه الشخصية واعتداءاته على الشعوب ؟ فيحسن ان اقف اذن لحظات على قبره التفاتا الى تلك الذكرى التاريخية وحدها بخيرها وشرها . لقد راعني مدخل الانفاليد ، وراعني السلم الذي يصل بالخطى الى قبر ذلك الامبراطور الذي ملأ الدنيا على معاصريه ظلما وحربا ثم زينها بشيء من العظمة الزائلة وبشيء من القوانين الباقية . ولقد راعتني ايضا القبة التي تعلو القبر والرخام الذي صنع به القبر . ولا ريب في ان الذي بنى ذلك القبر قد خطر له كل ذلك ، كما خطر له ايضا ما يمكن ان يشعر به

كثيرون من الزائرين اذا هم ذكروا انهم يقفون على قبر مستعمر غاشم ، فجعل القبر فى منخفض يطيف به جدار مرتفع **حتى يضطر كل من يقف على قبر نابليون أن يحني رأسه :** فان لم يحنه احتراما حناه ليرى حجارة القبر .

اما شان يوسف بن تاشفين وشان قبره فمختلفان من شان نابليون ومن قبر نابليون ! ان قبر يوسف بن تاشفين بنية مستطيلة ضيقة لا ترتفع فوق الارض اكثر من اربعين سنتيمترا . ثم ان هذه البنية تفترش ارض مسجد بسيط يتالف من جدران عارية وسقف مطمئن يعلو كثيرا عن مثل قامة الرجل(1) لقد ادركتني صلاة العصر فى ذلك المسجد فاديتها ثم وقفت اقرأ الفاتحة حيال القبر . ان بناء القبر لم يشغل شيئا من حواسي ، اذ ليس فى ذلك البناء ما يشغل حواس احد ، ولكن شغلتني ذكرى النازل فى بطن ذلك القبر . من اجل ذلك لا يجوز ان نمر بهذه الذكرى العظيمة مرا خفيفا ، بل يجب علينا جميعا ان نتريث حتى نستمع الى صوت التاريخ من وراء هذه الحجارة الصم .

فى مطلع القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) كان الاضطراب واقعا فى المغرب كله ، من القيروان الى المحيط الاطلنطي . كان القاطميون الذين حكموا المغرب الادنى (القطر التونسي) ثم مدوا سلطانهم غربا قد انتقلوا الى مصر بعد ان تركوا حكم الرقعة التي امتد عليها سلطانهم الاول فى المغرب فى يد اسرة وطنية اسست الدولة الصنهاجية . ولكن ملوك هذه الاسرة سرعان ما اتبعوا سياسة مخالفة لسياسة الفاطميين وقتلوا انصار الفاطميين (435 هـ — 1043 م) وخطبوا على المنابر للخلفاء العباسيين . وغيظ الفاطميون فسرحوا الى المغرب جماعات من قبائل بني هلال وبني سليم ممن كانوا يومذاك فى صعيد مصر . هذه القبائل انقضت على المغرب الادنى تعمل فيه تخريبا وتدميرا . وحينما يذكر ابن خلدون العرب فى مقدمته القيمة ويذكر الخراب الذي تم على ايديهم فانما يعني بذلك كله بني هلال وبني سليم البدو ولا يعني بذلك الجنس العربي . اما المغرب الاقصى فكان فيه دولة مغراوة وبني يفرن . ولم تكن حال المغرب الاقصى احسن من حال المغرب الادنى حتى فى ايام مؤسسي دولته : زيري بن عطية (368 — 391 هـ) وابنه المعز وحفيده حمامة (417 — 440 هـ) ومع هذا كله فان ملك بني صنهاجة فى المغرب الادنى وملك بني مغراوة وبني يفرن فى المغرب الاقصى لم يسودا الا على الشواطىء ، اما الداخل فكان فيه كثير من الفوضى وكثير من الجهل وكثير من النزاع العصبي بين قبائل البربر المختلفة .

اما الاندلس فكانت فى ذلك الحين فى درك اسفل من الضعف والتنازع والتشتت ، مقسمة بين حكام ضعاف تسموا ملوكا ولكن لم يكن لهم من الملك الا القابهم وشيء من الترف جاءوا به على اعين الناس فى بلاطاتهم . ولم تكن كل دويلة من تلك الدويلات تحكم الا رقعة صغيرة من الارض : مدينة او مدينتين وما حولهما من الارباض . واذا زاد ملك دويلة على ملك اخرى فانما كانت تلك الزيادة تجيء من اعتداء دولة على اختها . وكان الاسبان الذين سموا اصحاب هذه الدويلات « ملوك الطوائف » قد استعبدوا اولئك الملوك وفرضوا عليهم الجزية ياخذونها منهم فى كل عام . وفى ملوك الطوائف هؤلاء قال الشاعر الاندلسي :

مما يزهدني فى ارض اندلس
القاب معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد .

فى ذلك الحين كانت العصبية فى داخل المغرب لقبيلة صنهاجة ، وكانت الرئاسة فيها لمحمد بن تيفاوت المعروف باسم تاسرت اللمتوني من قبيلة لمتونة فلما توفي محمد بن تيفاوت خلفه فى الرئاسة على صنهاجة كلها يحيى بن ابراهيم الكدالي من قبيلة كدالة — ولمتونة وكدالة شعبان يجتمعان فى صنهاجة كما تجتمع عبس وذبيان فى غطفان .

فى سنة 430 هـ (1039 م) استطاع يحيى بن ابراهيم الكدالي ان يظفر بفقيه اسمه عبد الله بن ياسين الجزولي (الكزولي) فعهد اليه بان يفقه بربر صنهاجة فى الدين . ولم تكن مهمة عبد الله بن ياسين يسيرة ، فلم يجتمع حوله فى مدى اربع سنوات سوى بضعة آلاف سماهم المرابطين . وسرعان ما ادرك عبد الله بن ياسين ان الدعوة الصالحة لا تكفي فى تقويم الناس ، وانه لابد لها فى سبيل انجاحها من عصبية وقوة . ففي صفر من سنة 434 هـ (1042 م) بدا عبد الله بن ياسين بغزو قبيلة كدالة ، ثم غزا قبيلة لمتونة وقبيلة مسوقة وظفر بهما .

---

1) التحرير : نظرا لمكانة هذا البطل العظيم ، وبأمر من صاحب الجلالة محمد الخامس قامت وزارة عموم الاوقاف فى سنة 1960 باعادة بناء ضريحه بما يتلاءم وذكره التاريخي المجيد .

فسارعت عندئذ قبائل صنهاجة الى الانضواء تحت لوائه والدخول فى دعوته .

ولما قويت حركة المرابطين عمد عبد الله بن ياسين الى تنظيمها ، فخص نفسه بالرئاسة وبالادارة السياسية والمالية وعهد بقيادة الجيش الى احد اتباعه يحيى بن عمر بن تكلاكين . وهكذا اصبح للمرابطين دولة . ثم توفي يحيى بن عمر فى اواخر سنة 447 هـ (اوائل 1056 م) على الاغلب فخلفه اخوه ابو بكر وفتح بلاد السوس (فى الجنوب الغربي من المغرب) وتغلب على منطقة اغمات (منطقة مراكش اليوم) وقتل ملكها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي ، فى حديث طويل وتزوج امراته زينب بنت اسحق النفزاوية ، وكانت امراة اصيلة الراي بارعة الجمال ، وقد لعبت فيما بعد دورا كبيرا فى ارساء قواعد الدولة المرابطية .

وفى معركة بين المرابطين وبين قبائل برغواطة ، على الشواطىء الشمالية من المغرب ، جرح عبد الله بن ياسين جرحا بليغا (451 هـ ــ 1059 م . وقبل ان يتوفى عين مكانه شخصا اسمه ابن عدو (بفتح العين وتشديد الدال) . فى هذه الاثناء بلغ ابا بكر بن عمر ان عددا من بطون صنهاجة فى الصحراء الغربية جعلوا يتنازعون ، فعزم على ان يذهب اليهم ويصلح ذات البين بينهم . وخشي ابو بكر ان تطول غيبته فطلق امراته زينب وعين لقيادة جيوش المرابطين ابن عم له اسمه يوسف بن تاشفين .

وقام يوسف بن تاشفين بامر المرابطين خير قيام وتابع الغزو حتى اذعن له المغرب كله . وفى سنة 453 هـ (1061 م) تزوج يوسف زينب بنت اسحق ثم بدا ، بتشجيع منها ، يعمل على الاستبداد بحكم المرابطين . ولما رجع ابو بكر بن عمر ووجد الامر على هذه الصورة، وان يوسف بن تاشفين اهل للحكم ، آثر اعتزال الحكم لئلا يختصما فينقسم المرابطون بينهما معسكرين ثم لا يكون لهذا الانقسام نتيجة الا الضعف وذهاب ريح الدولة . عندئذ عاد ابو بكر بن عمر الى بلاد السودان على الاغلب ، وهنالك توفى سنة 480 هـ (1087 م) . وكان يوسف بن تاشفين قد بنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة .

فى هذه الاثناء كان امر ملوك الطوائف يزداد ضعفا، وكان الفونس السادس ملك ليون وقشتالة يلح على المدن الاسلامية ويستولي عليها واحدة بعد واحدة .

ويبدو ان ملوك الطوائف تناسوا فى تلك الحال خلافاتهم وسموا فوق انانياتهم ومنافساتهم الشخصية فجاءوا الى المعتمد بن عباد ، وهو يومذاك اقوى ملوك الطوائف واوسعهم رقعة ، ورغبوا اليه فى ان يستنجد بيوسف بن تاشفين . ولم يجد يوسف بن تاشفين وجها لرفض الطلب الذي تقدم به ملوك الطوائف اليه ، ولكنه لم يجد بدا ايضا من استمهالهم حينا حتى يعد حملة تستطيع انقاذ المسلمين فى الاندلس مما كانوا فيه .

واستمر الفونس السادس فى الاستيلاء على المدن الاسلامية وفى اذلال ملوك الطوائف حتى لم يبق للمسلمين فى الاندلس ملك صحيح ولا كرامة موفورة . وكان يوسف بن تاشفين فى تلك الاثناء قد أتم استعداده وحشد جنوده فى الجزيرة الخضراء ، من جنوبي الاندلس . وفى مطلع رجب من سنة 479 هـ (1086 م) سار الزحف بقيادة يوسف بن تاشفين شمالا .

وعلم الفونس السادس بمسير يوسف ، وكان يحاصر مدينة سرقسطة ، فرفع الحصار عنها وانحدر ليصد الزحف الصاعد . وكان مع يوسف بن تاشفين جنود من قومه المرابطين وجنود من عرب الاندلس وحرسه الخاص من السودانيين . اما الفونس السادس فقد كان معه عدد لا يحصى من نصارى الاندلس وسائر اوروبة .

وتراءى الجمعان يوم الخميس فى الحادي عشر من شهر رجب (22 تشرين الاول) . فارسل الفونس يقول ليوسف : غدا الجمعة عيدكم ، وبعد غد السبت وهو عيد لليهود ، ثم بعده الاحد وهو عيدنا . فلتكن الحرب بيننا يوم الاثنين . فقبل يوسف بذلك ، ولكنه كان يعرف غدر الفونس فاعد عدته ورتب المعركة كما لو ان الحرب ستقع فى يوم الخميس نفسه .

اختار يوسف بن تاشفين ميدان المعركة فى مكان يعرف باسم الزلاقة، على اثنى عشر كيلومترا من مدينة بطليوس شمالا فى شرق (على تخوم البرتغال اليوم) . ثم جعل جنود الاندلس فى المقدمة واخر جنود البربر قليلا . وقد كادت تحدث فتنة من اجل ذلك ، ظن العرب ان يوسف بن تاشفين اراد ان يجعلهم وقودا للمعركة ودريئة لجنوده المرابطين . ولكن يوسف ردهم الى المنطق والاطمئنان بقوله ان الاندلسيين جعلوا فى المقدمة لانهم اعرف باساليب الاسبان واعرف بطبيعة الارض . . . وكان يوسف قد جعل نخبة جيشه من المرابطين وراء أكمة قريبة ، ولم يكن قد اعلم احدا بذلك .

وتحققت ظنون يوسف وشكوكه كلها : لقد هاجم الفونس المسلمين يوم الجمعة . وكذلك تحقق تقديره فى عرب الاندلس : فانهم سرعان ما انهزموا امام الاسبان ، ولكن البربر كانوا وراءهم ، فأبى العرب الدنية وتشجعوا فعادوا الى الهجوم يدعمهم اخوانهم البربر . وطالت المصارعة ، وخارت قوى الاسبان والمسلمين . عندئذ امر يوسف بن تاشفين الجنود الذين كانوا وراء الاكمة ان ينزلوا الى الميدان ، وكانوا مستجمين مستريحين ، فمالوا على الاسبان ميلة واحدة وهزموهم هزيمة منكرة . وتعلق جندي سوداني بفرس الفونس ثم طعن الفونس بخنجره .

وتقطعت جموع الافرنج فى معركة الزلاقة ونجت الاندلس من الخطر المحدق المطل ، ومدت تلك المعركة عمر الحكم الاسلامي مائة عام جديدة . اما يوسف بن تاشفين فانه ترك جميع الغنائم لعرب الاندلس يتقوون بها على الدفاع عن انفسهم ، ثم ترك لهم اربعة الاف جندي من جنوده يساعدونهم فى ذلك الدفاع . على ان نفرا من المؤرخين ، ومن مؤرخي الادب خاصة ، يرون ان الجنود الاربعة الالاف الذين تركهم يوسف بن تاشفين فى الاندلس لم يكونوا كافين للقيام بالعبء الثقيل . ولما عاد يوسف بن تاشفين الى عاصمته مراكش اتخذ لقب « امير المسلمين » ، ولم يتسم بامير المؤمنين اعترافا للعباسيين بسبقهم فى الخلافة وبمقامهم فى الاسلام وحرصا على الا يثير انصارهم فى الاندلس وفى المغرب نفسه .

غير ان عرب الاندلس عادوا الى التنازع والى استنجاد بعضهم بملوك الاسبان على بعض ، ثم بان ليوسف بن تاشفين ان الاسبان سيستولون ـ اذا استمر العرب فى تنازعهم هذا ـ على البلاد كلها ، فجاز مرة ثانية للدفاع عن الاندلس ، ولكنه راى ان بعض القوم اعداء بعض واعداء له واعداء لانفسهم ايضا . فرجع عن الاندلس وقد اضمر فى نفسه امرا .

ثم عاد يوسف بن تاشفين الى الاندلس مرة ثالثة ، فى سنة 483 هـ (1090 م) ، ليستولي على البلاد الاسلامية من ايدي اصحابها ملوك الطوائف لئلا تكون لقمة سائغة لملوك الاسبان . وفى رجب من سنة 484 هـ استولى المرابطون على اشبيلية عاصمة المعتمد بن عباد وحملوا المعتمد بن عباد نفسه مع اهل بيته اسرى واعتقلوهم فى حصن اغمات، على مقربة من مدينة مراكش . وتوفى المعتمد بن عباد اسيرا مهموما فى اغمات ، فى سنة 488 هـ ، ولكن الاندلس رات بعد اسره عزة مستأنفة ومجدا جديدا .

واستمر المرابطون فى الاستيلاء على البلدان الاندلسية ، فلم تأت سنة 493 هـ (1098 م) حتى كانوا قد استولوا على جميع ما كان للمسلمين فى الاندلس واخذوا ينازلون الاسبان فى بلادهم وديارهم .

وكانت البابوية التي كانت تدفع الاسبان الى مقاتلة المسلمين فى الاندلس قد ادركت أن لا سبيل الى التغلب على المسلمين فى مغرب الارض ما دام فيهم يوسف بن تاشفين وما دام المرابطون اقوياء ، فوجهوا وجوههم نحو قتال المسلمين فى المشرق . ففي سنة 488 هـ (1095 م) ، بعد معركة الزلاقة بتسعة اعوام فقط ، عقد البابا اوربان الثاني مجمعا فى مدينة كلارمونت فران فى فرنسة ودعا فيه الى حرب صليبية على الشرق . وبعد ثلاثة اعوام كانت جحافل الافرنج الصليبيين تتوالى على الشرق موجات متلاحقة وتعمل فيه تقتيلا وتخريبا .

وكان من حظ العرب والاسلام ان عاش يوسف ابن تاشفين فى الحكم خمسين سنة ، فقد توفى فى الثالث من المحرم من سنة 500 (4 ايلول 1106) وترك ملكا واسعا مكينا زاهيا .

ولكن خلف من بعده خلف ضعاف اضاعوا ذلك الملك فورثه منهم الموحدون .

ذلك هو يوسف بن تاشفين صلاح الدين المغرب واحد أعاظم ملوك المسلمين .

ثم افقت من وقفتي هذه بذكرى الموحدين ، فان لي وقفة غدا ، فى السابع من ايلول عام 1957، فى تينمل على قبر العبقري الشاب الذي اسس دولة الموحدين : المهدي بن تومرت .

التوفيق بين الشريعة والفلسفة

للأستاذ عبد اللطيف ملين

موازنة بين ابن رشد وسابقيه

- 2 -

والآن ما هي الامور التي اثرت في تكوين هـذه النظرية التي تمتاز بها الفلسـفة العربية على غيرها من الفلسـفات .

لاشك ان كل فلسفة وكل شيء من الاشياء تعمل على تكوينه عوامل متعددة ، اهمها عوامل المحيـط الاقرب اليه ، اي عوامل البيئة التي يوجد فيها ، على الا ننسى عمله هو ايضا بعد تكونه في البيئة نفسهـا ، وعلى هذا ، لا شك ان الفلسفة اليونانية قد اثـرت في تكوينها عوامل البيئة اليونانية السـابقة لعصر الفلسـفة، الى جانب تاثير المذاهب الفلسـفية اليونانية الاولـى نفسها على ما سياتي بعدها من مذاهب ، واذا كانـت الفلسـفة اليونانية تتسم بطابع ما او تتصف باحـدى الصفات المميزة كالوضعية او التجريبية مثلا فهذا يمكن بكل تاكيد ارجاع اسبابه الى البيئة الخاصة التـي نشا فيها التفكير اليوناني ، فاذا اخذنا نظرية الانسان والبرابرة عند اليونان مثلا ـ اذ كانوا يعتبرون كل ما عدا اليونانيين برابرة متوحشين ـ فسنجد سبب هذه النظرة في احـاسيهم بتفوقهم ابان ازدهار دولتهـم واشعاع حضارتهم ، ثم اذا اخذنا النظرية المقابلة التي تسوي بين جميع الناس والتي نجدها عند متاخريهـم كالرواقيين ، فيمكن ان نجد اسباب هذا الانقـلاب في الانحطاط السـياسي ـ والفكري الى حد ما ـ الذي اصاب بلادهم على اثر ظهور امبراطورية روما وافول نجم الحضارة اليونانية .

وهكذا فيما يخص طابع هذه الفلسـفة العربية في التوفيق ، لا يصعب ارجاعه الى اسباب تتعلق بالبيئة الاسلامية التي كان يعيش فيها اولئك الفلاسـفة ، والتي في محيطها نمت الفلسـفة العربية .

يكاد يجمع مؤرخو الفلسـفة العربية علـى ان الظروف التي عاشتها الفلسـفة المدرسية العربية احقابا طويلة ، لم تكن ظروفا ملائمة لازدهار التفكير الفلسـفي، فالفترات التي عرفت فيها الفلسـفة العربية الاستقرار والازدهار ، قليلة وقصيرة بالنسبة الى الحقبة التي دامت فيها الحضارة العربية الاسلامية ، والاوقات التي كانت تزدهر فيها هذه الفلسـفة هي الاوقات التي كان يتولى الحكم فيها ملوك متـسامحون ذوو ذهنية حرة ومتفتحة للعلوم العقلية . وقد اجمع هؤلاء المؤرخون ـ وكل ملاحظاتهم صحيحة على وجه الاجمال في هـذا الصدد ـ على ان الفلسفة كان يهددها دائما في المملكة الاسلامية عدوان لدودان ، لم يفترا عن الايقاع بها كلما وجدا سبيلا الى ذلك : الجمهور المتعصب من جهة ، والمتعصبون من رجال الدين والمتكلمين من جهـة اخرى (1) وهؤلاء كثيرا ماكانوا يحرضـون الشـعب على الانتقام من الفلاسـفة بوصفهم زنادقة ملحدين ، مارقين من الدين . هذا بالرغم من ان جميع الفلاسـفـة المعروفين لم يصب منهم احد باذى في روحه ولكنهم جميعا ما عدا الفارابي وابن طفيل ـ قد اصيبوا باذى ، اما في سمعتهم ومركزهم الاجتماعي وخصوصا مركزهم القريب من الخليفة دائما او الملك ، او نفوا او سلبت

---

1) ليون غوتييه ابن رشد « الفصل الثالث »

منهم مكانيهم (كما وقع للكندي) . ويلاحظ ليون غوتييه ان الملك أو الخليفة كان عندما يحس بسلطان التعصب يهدده في ملكه يرخي العنان للشعب ويرفع حمايته عن الفيلسوف – اذ كان من عادة الملوك ان يقربوا اليهم الفلاسفة ويتخذوهم جلساء لهم وكان يستجيب للدساسين ويوقع بهم نكالا ، بان ينفيهم او يحرق كتبهم كما وقع لابن رشد مع الخليفة المنصور الموحدي ، ولكن ما ان يمر وقت قليل وتهدا العاصفة حتى يعود الملك ويعفو عن صفيه الفيلسوف ويعيد اليه اعتباره السابق – . ففي العصر الذي يوجد فيه ملك متسامح ، قوي حتى لا يعبأ بالجماهير الا عندما تشتد وطأة التعصب ، وصاحب امبراطورية او امير منشق عن الخلافة تحيط به دول اسلامية متعددة ، حتى يلقى الفيلسوف منفذا للهروب في وقت الشدة ، في مثل هذه العصور والاوضاع كانت تزدهر الفلسفة كما قدمنا .

هذه العصور القليلة في تاريخ الفلسفة العربية معدودة يمكن حصرها في العصر العباسي الاول الذي يحوي الخلفاء العشرة الاولين من المنصور الى المتوكل، وفيه نبغ الكندي وترجمت الكتب اليونانية وغيرها ؛ وعصر سيف الدولة في حلب وفيه نبغ الفارابي ؛ وعصر الدول الاسلامية في ايران وفيه نشأ ابن سينا ، هذا في الشرق ، اما في المغرب فان عصر دولة الموحدين يكاد يكون الوحيد الذي كان في ايامه للفلسفة ذكر ورجال ، ففيه نبغ الفلاسفة المغاربة الثلاثة : ابن باجة وابن طفيل وابن رشد ، وبعد ذلك انطفأت شعلة تلك الومضات التي كانت تومض كالبرق الخاطف في بعض اوقات من تاريخ الحضارة الاسلامية الحافل ، انطفأت تلك الشعلة ، لتومض من جديد ومضتها النهائية في شخص ابن خلدون بعد ذلك بفاصل من الزمن كبير ، يصل الى القرنين .

فاذن والعالم الاسلامي هذا وضعه في ذلك الحين كان على من يريد ان يشتغل بالفلسفة والعلوم العقلية ان يتخذ سلاحا ضد الاخطار المحيقة به ، وكان عليه – كما ذكر ليون غوتييه – ان يكون حذرا والا عرض ولي نعمته الملك او الخليفة لسخط العامة والمتعصبين من رجال الدين والمتكلمين ، واستجلب بذلك على نفسه العقاب .

وكان السلاح الذي وجده الفلاسفة العرب ناجعا في اتقاء اخطار هذه الرجعية والتعصب هو نظريتهم التي اتفقوا جميعا في خطوطها الاساسية أعني نظريتهم في التوفيق بين الدين والفلسفة التي يمارسون البحث فيها .

هذه النظرية التي يرى فيها ليون غوتييه أصالة الفلسفة العربية ، ويرد سبب منشئها الى تلك الاخطار التي تحيق بالفيلسوف المحتمي بحمى ملك او خليفة في غالب الامر ، اخطار من جانب الشعب ، واخطار من جانب المتعصبين من المتكلمين والفقهاء .

ولكن هذا السبب اذا اقتصرنا عليه قد يوحي بان هؤلاء الفلاسفة العرب لم يكونوا معتقدين لمبادىء الدين اي انهم كانوا يؤمنون بحقيقة واحدة هي الحقيقة العقلية او الفلسفية . وانهم كانوا يعتبرون الدين وهما او خرافة او حيلة لاستدراج الناس الى ما ينفعهم في حياتهم الاجتماعية فحسب او ما شاكل ذلك ؛ مما يجعل الدين بعيدا عن الحقيقة الفلسفية بعيدا عن التعبير عن حقيقة واقعة . ونحن اذا استعرضنا حياة هؤلاء الفلاسفة – وخصوصا نظريتهم في التوفيق – نجد انهم كانوا مخلصين في موقفهم من الدين واعتبارهم اياه يعبر عن حقيقة واقعة . هو – كما سنرى عند الكلام على نظرية ابن رشد – وجه الحقيقة المطلقة الظاهرة ، الى جانب الوجه الباطن وهو الحقيقة الفلسفية التي يطلع عليها الفيلسوف عند اتصال عقله بالعقل الفعال ، اي عند مزاولته التفكير العقلي .

وليون غوتييه لا يخالف هذه النتيجة – اي اخلاص الفلاسفة الديني – ولكن مقدمته لا تتضمنها بل قد توحي بعكسها . . يجب اذن ان نقول : ان سبب نشوء فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفلاسفة العرب ، راجع الى عدم استقرار الاوضاع بالنسبة لهم وعدم خلو الجو المحيط بهم دائما من المؤامرات والاختلاقات في حقهم ، وان لايفهم من هذا انهم كانوا منكرين للدين ، بل كانوا مخلصين مؤمنين بالحقيقة الدينية الى جانب الحقيقة الفلسفية ، فكان عليهم لذلك ان يسوغوا موقفهم (مزاولة البحث في الفلسفة) ويدافعوا عن انفسهم ، فاضطرهم الامر الى التعمق في الكشف عن الصلات التي تربط الدين والفلسفة وبيان توافقهما ، حتى وصلوا في ذلك الى شأو جعل من نظريتهم هذه شيئا فريدا وطابعا اصيلا لهذه الفلسفة العربية خصوصا ؛ كما تكامل مذهب التوفيق عند ابن رشد ووصل على يديه الى ذروته ، وبلغ غاية تطوره .

هذه هي اسباب منشأ هذه الفكرة الاساسية في الفلسفة العربية . ولكن ابن رشد قد تفوق على غيره في عرض هذه الفكرة واعطاها اطارا مستقلا داخل بنائه المذهبي ، اي انه اهتم بها اكثر من غيره ودرسها تلك الدراسة الدقيقة ، وتعمق فيها ذلك التعمق الذي جعل منها – كما هي معروضة بشكلها النظري في كتاب « فصل المقال » ، ومطبقة على اوامر الدين في كتاب « الكشف من مناهج الادلة » – جعل منها احدى مفاخر هذه الفلسفة العربية وروائعة من روائعها ، بالرغم من بقاء عمل ابن رشد هذا طي النسيان وضحية الاهمال مددا طويلة ، حتى بدأ يبعث ويلاقي بعض الاهتمام في هذه الايام .

فما اسباب هذا التفوق ؟ ان ليون غوتييه يرى في شان هذا التفوق ، ان المدرسة الفلسفية المغربية التي تجمع ابن طفيل وابن باجة وابن رشد ، قد دفعت بهذه البحوث في التوفيق الى الامام اكثر مما فعل الفلاسفة المشارقة الكندي والفارابي وابن سينا ، وان ابن رشد قد تفوق على زميليه ومواطنيه ابن باجة وابن طفيل . فهو الذي استطاع ان يعطيها الشكل الملائم اي الاطار والعرض العلميين في مؤلف مستقل فما هي اسباب التفوق من جانب فلاسفة المغرب على زملائهم فلاسفة المشرق من جهة وما هي اسباب تفوق ابن رشد على مواطنيه ابن باجة وابن طفيل وبالتالي على جميع الفلاسفة العرب بالمعنى الصرف في هذا الميدان ايضا ؟ فيما يخص تفوق المدرسة المغربية هذه الاسباب يردها غوتييه الى كون الشرق الاسلامي كان في تلك الايام اقرب الى عدم الانسجام والى التمايز في العقائد والاجناس والطوائف الدينية المذهبية . وكذلك فقدان التجانس في السلطة الحاكمة ، اي ان الشرق الاسلامي كان منقسما الى دول صغيرة بمعنى عدم وجود وحدة سياسية ، فالاديان المختلفة – وان كان الدين الاسلامي هو الغالب – والطوائف المختلفة ، سواء منها الخاصة بالمذاهب الفقهية البحث ، ام الطوائف الدينية الكلامية التي كانت منتشرة في الشرق كالمعتزلة والمرجئة والحشوية وغيرها ، والاجناس والعروق المختلفة ، والسلطان السياسي المنقسم – اي وجود دويلات عديدة – كل ذلك كان له اثره البعيد في خلق جو من التسامح في الشرق لانجده في الغرب الاسلامي ، سهل هذا التسامح على الفلاسفة المشارقة الظهور بما يحبون ان يظهروا به في غالب الاوقات ، اي سهل مزاولتهم البحث الفلسفي . ولما كانت الاخطار المحيطة بهم خفيفة نسبيا للاسباب السابقة وخصوصا لفقدان سلطة قوية تسيطر على العالم الاسلامي الشرقي في الغالب ، فقد وضع الفلاسفة المشارقة خطوط هذه النظرية التوفيقية ولم يتعدوا ذلك الى التفاصيل . كذلك لم يحاولوا ان يكتبوا عنها مباشرة كتابا مستقلا كما سنرى ابن رشد يصنع فيما بعد . فهم لم يكونوا – والامر كما ذكرنا – في حاجة الى ان يدخلوا في التفاصيل الدقيقة لهذا الموضوع او ان يدفعوا البحث فيه الى مستوى عال من العلمية والتقنية كما فعل ابن رشد مكملا عمل ابن طفيل ..

اما الفلاسفة الذين عاشوا في المغرب فقد كان الجو المحيط بهم اكثر تجانسا : دين واحد في الغالب ، وعرق او عرقان في اكثر الاحيان – عربي وبربري – ، ومذهب واحد فيما يخص الناحية الفقهية هو مذهب مالك . ولا مجال للاختلافات الدينية والمذهبية المتصلة بفرق علم الكلام كما هو الامر في المشرق . وكذلك السلطان السياسي واحد ممتد على القارتين (اي افريقيا او الاندلس) ، خاصة في العصر الذي عاش فيه هؤلاء الفلاسفة المغاربة وهو عصر دولة الموحدين .

فابن طفيل هو اول من وضع كتابا فكرته الاساسية تدور حول التوفيق بين الدين والفلسفة ، وهو كتاب حي بن يقظان . هذا الكتاب كان تمهيدا لابن رشد . ويمكن تبعا لغوتييه ان نستنتج ان ابن طفيل شعر اكثر من سابقيه الفلاسفة العرب ، بالضغط الذي كان يمارسه الشعب بتعصبه ، والمتعصبون من رجال الدين بمقتهم للفلاسفة وتآمرهم . وكذلك تقول في ابن رشد .

ونتساءل الآن لماذا كان على ابن رشد بالذات ان يقوم بمهمة وضع هذا التوفيق في قالب خاص وجعله واضحا للعيان ، بابرازه في كتاب واحد مهمته الوحيدة الكشف عن الصلات العديدة التي تربط الدين بالفلسفة ، ومعالجة هذا الموضوع بدقة علمية فائقة ، مكونا مذهبا خاصا كامل الاطر والعناصر ، وكأنه جمع بذلك تجارب الفلاسفة العرب جميعا الى تجاربه في مؤلف واحد .

من المعلوم ان ابن باجة (قد اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبث خفايا حكمته) . ويجزم ليون غوتييه انه ما كان ليشذ عن سابقيه في محاولة التوفيق (1) .

وابن طفيل بالرغم من ان الفكرة الاساسية في كتابه حي بن يقظان هي محاولة التوفيق فانه لم يتعرض للتفاصيل ايضا وانما عرض النظرية في خطوطها الاساسية . ذلك ان كتابه هو قصة قبل كل شيء ، كتبت بعبارة رشيقة سهلة واسلوب لطيف ، ولا شك انه زاد على الفلاسفة سابقيه بهذا العرض المستقل . غير انه جعل – وذلك قصد اليه قصدا – الافكار في كتابه مختفية وراء ستار خفيف من الرموز ولذلك لم يكن كتابه ليعد كتابا علميا بمعنى الكلمة – كما هو كتاب فصل المقال مثلا ؛ اعني كتابا يتعرض بطريقة علمية وتقنية الى ابعد الحدود – بالحجج والبراهين العقلية وبصورة مباشرة واضحة كل الوضوح المطلوب ، لموضوع التوفيق بين الشريعة والحكمة والفلسفة ، بالرغم من ان عمل ابن طفيل هو ولا شك تمهيد لعمل ابن رشد .

فاذن – يجب ان نفتش عن اسباب اخرى مكملة دفعت بابن رشد بالذات ان يحاول محاولته الجبارة هذه ويتفوق فيها تفوقا واضحا على سابقيه من الفلاسفة العرب ، مضيفا الى التراث الانساني عملا فنيا وعلميا خالدا .

وفي رايي اننا يمكن ان نجد تلك الاسباب المكملة في ما تحلى به ابن رشد – اولا – من حب للفلسفة وغيرة عليها فقد كان – ويجب ان نتذكر ذلك – قد وصل بالفلسفة العربية الى مرحلة المدرسية الدقيقة اي التفاصيل التقنية والتحليل المستقصي . ويجب الا ننسى انه كان الشارح الرئيسي لارسطو في القرون الوسطى ، والممثل ذا التأثير الاكبر للثقافة المدرسية الشرقية . وقد غدت الميتافيزياء – على يد ابن رشد – دراسة دقيقة جدا بالرغم من احترامها الشديد لارسطو ، وابن رشد هو الذي ارجع الفلسفة الى المدرسة ولا عجب من كانت هذه صفاته حبا وتعلقا بالفلسفة ، واختصاصا : ان صح القول ؛ لا يترك متابعة ادق التفصيلات ، ان تكون غيرته على الفلسفة والنظر العقلي اكثر من غيره . وقد كانت التهجمات والتشنيعات على الفلسفة قد بلغت ذروتها في العالم الاسلامي على يد الامام الغزالي . كان تعصب المدارس الكلامية على الفلسفة المدرسية قد وصل اوجه ، وكانه تبلور في كتاب الغزالي «تهافت الفلاسفة»

اكتسى هذا الكتاب صبغة انذار للمشتغلين بالفلسفة وكان تحديا لهم ، اما ان يجيبوا على ما جاء فيه ويردوا التهم الموجهة اليهم ، والا فلتعلن الفلسفة نهايتها في بلاد الاسلام ، وتسلم امرها لاصحاب علم الكلام . ولما كان هذا الصراع قد تبلور على هذا الشكل ولم يعد هناك مجال للتكاسل ، فاما عمل حاسم واما الهلاك ، فقد اقدم ابن رشد على خطوته الكبرى – التي تضاف الى امجاده المتعددة – وهي رده الرد المشهور « تهافت التهافت » على كتاب الغزالي الآنف الذكر ردا علميا يتميز هو الآخر بالروح العلمية ، اي بدخول في التفاصيل ومحاسبة دقيقة مستندة الى الحجج والبراهين .

وهذا العمل الذي يستحق كل اعجاب ، والذي لا يزال يثير شعورنا بالفخر الى هذه الايام ، هو بالاضافة الى عمل الغزالي ، من مفاخر هذه الفلسفة العربية بلا جدال .

دافع ابن رشد عن الفلسفة في كتابه وحاول جاهدا ان يرد اليها اعتبارها ، وان يبين عدم مخالفتها للدين . ولا حاجة للتذكير بان الفلسفة التي يدافع عنها ابن رشد ، هي الفلسفة المدرسية التي كان يعتنق آراءها . وكان صاحبنا ابن رشد الذي كان آخر ممثل لهذه المدرسة من الفلاسفة ، قد قدر له ان يكون اعظم مدافع عن هذه الفلسفة . وقد جره ذلك – ولا ينبغي ان ننسى عقيدته الدينية – الى وضع بذور النظرية التي سيقوم بعرضها مفصلة في كتابه « فصل المقال » ، و « الكشف عن مناهج الادلة » ، في كتابه السابق « تهافت التهافت » .

ونفس السبب الذي قاده الى انتصاره للفلسفة، عندما رد على الغزالي ، قاده الى مواصلة دفاعه وتعزيز موقف الفلسفة ببيان واضح صريح ، يرد الامور الى نصابها ويبدي الصلات المتعددة التي تربط الدين بالفلسفة، ويكشف القضايا الكثيرة التي تنتج عن هذا الارتباط . وذلك الى جانب عرض آخر – كان يستهدف به ابن رشد الناحية العملية اذ كان يريد ان يبين مبلغ ما اصاب الاسلام من هذه الفرق التي تدعي كل واحدة لنفسها معرفة حقيقة الدين ، وتنطلق بذلك فيما بينها وضد

1) انظر كارا دو فو المرجع السابق ص 29 فما فوق

الفلسفة ، في حرب عوان لا تبقي ولا تذر ، تاركة الاسلام والمسلمين في اسوأ حالات التفرقة والبغضا والشنآن .

وكان من الدواعي المعززة لتلك الاسباب ، والتي من شانها ان تكون ساعدت فيما اكتساه عمل ابن رشد من طابع الدقة والوضوح ، منشا الفيلسوف الذي كان على العلوم الفقهية ، فهو من الذين تفقهوا في احكام الدين ووصلوا من ذلك الى مرتبة عالية في الاجتهاد ومما يجدر ذكره بهذا الصدد انه تولى القضاء ، ووصل الى رتبة قاضي القضاة وهذه الثقافة الفقهية التي كان يتمتع بها مكنته من القيام بهذا التوفيق بنجاح واضح ، واننا لنجد صدى لثقافته الفقهية في كتبه كلها سواء منها الخاص بالتوفيق ام شروحه على ارسطو ويمكن ملاحظة ذلك سواء في تفريعه المسائل على الطريقة الفقهية ام في ذكره للنص كاملا في شرح ارسطو واتباعه بالشرح والتفسير وذلك كما يفعل مفسرو القرآن الكريم .

هذه هي على ما ارى الاسباب والعوامل التي حدت بابن رشد لان يقوم بعمله العظيم في بناء مذهب متماسك ، يحاول اقامة صلة ثابتة ، او الكشف عن هذه الصلة بين الشريعة والحكمة على حد تعبير ابن رشد ، وبيان هذه الصلة باوضح عبارة واسلم دليل .

وسنرى في فرصة اخرى عندعرض نظرية ابن رشد في التوفيق بين الشريعة والفلسفة مبلغ غناها وتماسكها، وسيظهر لنا مقدار ما بذله من الجهد كي تجيء على هذه الصورة الرائعة ، ولا شك اننا لن نحاول الادعاء اننا وفينا حق هذا العمل العظيم وابرزنا كل جوانبه وكشفنا عن جميع خباياه .

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

في نهج البلاغة : الناس عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا الى ركن ، وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو مع الانفاق .

العلم دين يدان به ، يكسب الانسان الخير في حياته ، وجميل الا حدوثه بعد وفاته .



لعل اهول ما يواجهه المرء في هذه الدنيا من المكاره هو الموت ، فيبعث منظره رعشة في الجسم ، ويقلق تصوره راحة النفس ، ويكدر لذات العيش ، وقد قابل الموت وجها لوجه كثير من افراد الانسانية ممن قضى عليهم بالاعدام بحق او بظلم ، فاستقبلوه بحالات نفسية مختلفة ، منهم من سيق الى المشنقة وهو ذاهب اللب خوفا من شبح الموت الذي يحدق اليه من امام ، ومنهم من رقي الى المقصلة واجما كئيب القلب اما حزنا على النعيم الماضي واما حسرة على الامل الضائع ، ولكن العظماء من افراد البشر ، كما كانوا عظماء في ميادين الحياة المختلفة ، كانوا كذلك عظماء في ساحة الموت ، وقد خلد التاريخ منهم رجالا صافحوا الموت بالقلب الجريء ، والنفس الرضية ، والثغر المبتسم ، وان الدراسة لهذا السلوك الانساني عند لقاء الاجل ، قد ضمنت من الروعة والعبرة ما حمل بعض الباحثين على ان يقيدوا من احداثه ما عظم في عينهم وجل ، فباللغة العربية من ذلك كتابان لفقيد الادب الاستاذ كامل كيلاني يمثلان للقارىء مصارع المشهورين من الرجال ، وكتب المؤلف في مقدمة احدهما يبين الغرض منه : « لانه ليس اروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع اليهم في ساعاتهم الاخيرة ، وتعرف ما قالوه وقت حلول الاجل ، وآخر ما تفوهوا به من الكلم قبل ان يفارقوا هذا العالم ـ خيره وشره ـ فراقا ابديا لا عودة لهم بعده » وباللغة الاردية الف المغفور له الشيخ ابو الكلام الدهلوي ـ الذي مات قبل بضع سنوات وهو وزير المعارف في الهند ـ كتابا سماه: (الانسانية على عتبة الموت) . وكان مراده بالانسانية عظماء الرجال ممن كان لهم عند مقابلة الموت مواقف مشهودة .

على ان المرء اذا استعرض احوال الشهداء والاولياء من اهل الايمان بالله والكتب والرسل واطلع على مواقفهم الجريئة في وجه الموت ، فانه وان اخذته الدهشة عليها يعللها بقوة ايمان اولئك بالله وبالحياة الاخرى بعد هذه الدنيا ، وذلك ان المرء اذا وضع امامه اسوة الانبياء والمصلحين ممن ابتلوا في حياتهم الدنيا بصنوف العذاب حتى نشر بعضهم بالمناشير ، وكان مؤمنا بالله خالق هذا الكون ، وموقنا بان هذه الحياة الدنيا عارضة ان لم تنقض اليوم فقد تنقضي غدا ، وستتبعها حياة اخرى ، حياة الخلد والدوام ، ثم كان اودع في صدره قلبا رابطا ، ونفسا ابية ، فانه خليق بان يلقى الموت كلقاء الند للند ، ويجتاز القنطرة الى الحياة الابدية بنفس هادئة ، ووجه بشاش ، ولكن العجب حين يفعل مثل فعله، ويقف هذا الموقف العظيم رجل ليس من اتباع الرسل ، ولا من متبعي الدين ، ولا من حملة الكتب السماوية ، وانما هو رجل فكر وفلسفة ، نشأ بين قوم يؤمنون بآلهة متعددة ، وليس ايمانهم بالآخرة كايمان اهل العقيدة والدين من امم الانبياء .

من منا لا يعرف سقراط ، ابا الفلسفة اليونانية، ولد في اليونان بسبعين واربعمائة سنة قبل المسيح ، وقضى حياته في ازهر ادوار التاريخ الاثيني الذي قد امتاز بنبوغ عبقريات متعددة في الادب والفن والسياسة والحكم والخطابة ، اتهم في آخر ايامه بجريمتين ، وحوكم في محكمة الشعب ، فقضت عليه الاكثرية الضئيلة من اعضاء المحكمة بالموت، فعوقب به بكاس من السم سقيها في السجن ، وفي اليوم الذي انفذت عليه هذه العقوبة اجتمع به في السجن نفر من اتباعه واصدقائه من الشباب الاثيني يعرف فيهم كريتو

وافلاطون ، فجرى بينهم وبين سقراط حوار طويل فى خلود النفس قدر فيه سقراط ان العوامل الطبيعية والجسدية عملها ضئيل جدا فى الوظيفة الحقيقية للحياة الانسانية ، وان الحواس عرضة للانخداع ، والحقائق الثابتة لا يدركها الا الذهن وحده ، وجعل الحياة الانسانية سفرا من عالم الفناء الى عالم الحي القدوس ، وقرر ان الحياة الروحية فى اليوم الاخر – يوم الجزاء والعقاب – هي الحجة الخلقية لوجوب حياة التقوى والصلاح على وجه الارض ؛ هذا الحوار الفلسفي الممتع دونه افلاطون مفصلا فى كتابه (المحاورات) تحت عنوان : فيلد ، واختتمه بذكر ما شهده هو ومن معه من امر سقراط فى ساعاته الاخيرة التي تناول فيها كاس السم ، فشربها كالماء الزلال ، وورد حياض المنية بكل طمانينة ورضى ؛ هذا البيان الساذج المعجب لسلوك سقراط فى آخر لحاته فى هذه الدنيا هو الذي نريد عرضه على القارىء فى هذه الكلمة .

ولكن قبل ان ننقل عن افلاطون هذا الفصل الرائع الذي هو بعد بحق قطعة من الادب العالمي الخالد ، لعله يحسن بنا ان نقف برهة عند حقيقة الجريمتين اللتين اتهم بهما هذا الفلسفي العظيم ، وعند دفاعه عن نفسه فيهما ، ونستدرج من ذلك الى المشهد الاخير من حياة هذا العبقري .

كانت الجريمتان (1) اللتان اتهم بهما سقراط ثم حوكم فيهما فى المحكمة الشعبية الاثينية انه – اولا – لا يومن بآلهة اليونان ، ولا يدين بالضابطة الخلقية التي اساسها الفزع والخوف من تلك الآلهة المتعددة ، وانه – ثانيا – قد افسد واضل الشباب الاثيني بافكاره وآرائه المبتدعة ، واتصلت هاتان الجريمتان اوثق الصلة بمسالتين هامتين كانتا تواجهان الامة الاثينية آنذاك :

اولا هما ان كان الفلاسفة السوفسطائيون – قبل سقراط – زلزلوا ايمان الشبيبة الاثينية بآلهة اليونان لما بذروا فى قلوبهم بذور الشك والارتياب من كل ما هو فوق الطبيعة ومن وراء حدود التجربة والحس ، ولما علموهم التساؤل عن حقيقة كل شيء قبل ان يومنوا به او يصدقوه ، ولما تزلزل فى قلوب الشباب الاثيني ذاك الايمان بالالهة ، كانوا حريا بان يفعلوا ما تشاء أهواؤهم وانفسهم وان لا يخافوا او يتلجلجوا عند الاقدام على عمل او التفوه بقول ، وكل ذلك معناه ان تنشأ فيهم الفردية المشتتة التي تضعف كيان الامة وتجعل المدينة Polis لقمة سائغة لاعدائها من اهل سبرطة المتخشنين ، فنسال السؤال حينئذ : ما هو البر ؟ وما الصلاح الحقيقي ؟ واي ضابطة خلقية يجب ان تتفق عليها الامة الاثينية حتى يلتئم كيانها ويتماسك بنيانها ؟ .

والمسالة الاخرى كان مبعثها النظام الديمقراطي القائم فى اثينا عندئذ ، وكان هذا النظام قد اصبح عند اهل البصيرة والفكر اضحوكة لسوء تاليفه وتركيبه ، واي شيء اعبث فى الدنيا من الديمقراطية التي تسيطر عليها الدهماء من الناس، ويكون السلطان فيها للعواطف لا للعقول ، وتكون الحكومة لعبة بيد جماعة من المتناظرين المتباحثين ، يغلب على اعمالها واحكامها طابع العجلة والتسرع، ويتعجل فيها حتى بمهام الامور كانتخاب القواد وتعطيلهم وضرب رقابهم ؛ وتكون المحكمة العليا متالفة من الزراع والتجار السذج ممن ينتخبون لعضوية المحكمة بالنوبة حسب الترتيب الهجائي لاسمائهم . فعن السؤال : كيف تصان الدول من الانحلال ؟ واي نظام للحكومة هو خير النظم واصلحها لامة اثينا ؟ .

وكان جواب سقراط لهاتين المسالتين هو الذي جر عليه الموت والبسه حلة الخلود .

فلو انه جدد فى الناس الايمان بآلهة اليونان المتعددة ورجع بالنفوس المتحررة المجتمعة حوله الى تلك المعابد والاضرحة القديمة ، ليقدموا بين يدي آلهة آبائهم القرابين ، لاحترمه شيوخ اثينا وعظمه المجتمع ، ولكنه لم يشا سقراط ان يقود الناس الى ما يعتقد انه خطة رجعية وعدول عن القصد .

كان لسقراط عقائده الخاصة ، فكان يؤمن بآله واحد ، وكان يومن – على اسلوبه الخاص – بأن الموت لن يفنيه ، بل سيكون لروحه خلود فى الحياة الاخرى ، ولكنه كان يرى مع ذلك ان هذه العقائد غير اليقينية لا تصلح لان تكون قوام ضابطة خلقية مستقلة تبقى على الدهر ولا تتغير . فكان من رايه انه

1) اقتبسنا اعظم ما يتلو من البيان من كتاب « قمة الفلسفة » للكاتب الكبير « ول دوران » .

لو امكن ان توضح ضابطة خلقية بانفصال تام عن العقائد الدينية ، حرية بان يلتزمها المومن والملحد على السواء ، لكان خيرا للامة ، لان العقائد عرضة ابدا للتغير والتطور ، ولكن الضابطة الخلقية يجب ان تكون ثابتة لا تتغير ، حتى لا يضطرب كيان الامة في حال من الاحوال .

اما نظام الدولة فكان من رأي سقراط انه اذا كانت الدولة بنفسها عنوان الفوضى والعبث ، تأمر الناس ولا تأخذ بايديهم ، وتسوقهم ولا تهديهم ، فلا يمكنها ان تحث آحادها على ان يتبعوا قوانينها ، وان يخضعوا طموحهم الذاتي للخير العام ، كان يقول سقراط : انه حيثما انعدم الفكر والتأمل كانت الفوضى وعدم النظام ، وان المجموع من الناس يستعجل ابدا في الحكم ، واكثر ما يحكم بالجهل ، ويعود بعد ذلك نادما على ما فرط منه ، وكان يسأل : اليس من الوهم المحض ان يرجى ان اجتماع عدد من الناس تنبعث منه الحكمة والتعقل ؟ اليس من الحق ان الناس مجتمعين يكونون ادنى الى الحمق واشد واظلم في حكمهم منهم منفردين

ولك ان تتصور ما كان لتعاليم سقراط هذه من رد فعل عند الحزب العمومي القائم بالحكم والامر، في وقت كانت اقلية من اهل الثروة والثقافة في اثينا تدبر فيه ثورة على النظام القائم ، ثم انه وقعت الثورة بالفعل ، وقاتل فيها الناس ، هذا بحقها وهذا بخلافها ، ولكنه كانت الغلبة فيها للديمقراطيين مرة اخرى ، ولما كان سقراط في رأيهم هو المرشد الروحي لتلك الاقلية الاستقراطية الثائرة ، على كونه بقي منعزلا عن الحرب ، رفعت عليه القضية في المحكمة الشعبية العليا . فحضر المحكمة سقراط ودافع عن نفسه في القضية ، وكان من حضور المحكمة يومئذ افلاطون ايضا ، فاستمع لدفاع سقراط ودونه فيما بعد في كتابه (المحاورات) تحت عنوان (الاعتداء) وهو فصل يشتمل على ثلاثة خطب للفيلسوف في الدفاع عن نفسه . ومن المعلوم ان اتهام سقراط بما ذكر آنفا من الجريمتين انما كان خداعا اتخذوه لاخفاء عداوتهم له وحنقهم عليه ، وفي هذا الدفاع لم يعن سقراط بان يرد عن نفسه التهم مثل ما عني بان يفضح ارباب الامر عليه ، وكيف انه اصبح قذى في اعينهم بما انه حض العامة على اصلاح النفس ، وبما انه شهر بجهل المتعالمين من القوم في اثناء بحثه عن الحكمة .

وفي هذه المحاكمة ثبتت ادانة سقراط ، وقيل له على عادة الاثينين ان يقترح بنفسه العقوبة التي يرى انه يستحقها . فاجاب ساخرا متهزئا : انني ارى ان تثيبني الدولة بجائزة لاني ظللت ناصحا لها ووفيا بها طول حياتي . ولا شك في انه لو احسن الدفاع عن نفسه لبرئ ، ولو لم يسخر من القضاة ولم يتهكم بهم في وجوههم على مرأى من الناس لما حكم عليه الا بغرامة يسيرة كان في وسعه ان يؤديها ويتخلص ، ولكن موقفه ذلك زاد في سخط اهل المحكمة وحنقهم . وبهذا اجبر هذا الفيلسوف قضاته في المحكمة على ان يرفعوه الى مقام الشهادة ، وكانوا لا يريدون الا ان يرعبوه ويلزموه بالصمت .

فقضي الامر بان يسقى سقراط كأس السم ، وجاءه بعض اصدقائه في السجن وعرضوا عليه الفرار ، لانهم قد رشوا كل من كان حائلا بينه وبين تحرره ، ولكنه ابى ، وكان قد بلغ من عمره السبعين ، فلعله رأى انه قد حان الوقت الذي ينبغي له ان يموت فيه ، وان موته لن يكون انفع واجدى من موته في ذلك الوقت ، ففي آخر يومه في السجن قال سقراط لاتباعه واصدقائه عند خاتمة حواره معهم : هونوا عليهم يا اخواني ! واذا دفنتموني بعد ان مت فايقنوا انكم انما تدفنون جسدي وحده ، لا روحي ، لان الروح لن يلحقها الفناء .

قال افلاطون في حواره (فيدو) وهذا هو الفصل الذي عنيناه في صدر المقال :

« لما ان قال سقراط هذه الكلمات ، نهض الى الحمام ليغتسل ، وتبعه كريتو ، واوعز الينا ان ننتظر ، فتخلفنا من ورائهما واخذنا نتكلم ونفكر في موضوع الحوار الرائع وفي عظم المصاب الذي قد اوشك ان يحل بنا ، فكان سقراط عندنا بمنزلة الوالد الذي كنا سنفقده بعد حين ، ونقضي حياتنا الباقية يتامى ، فلما فرغ سقراط من امره ، جيء بولديه ونساء من عشيرته ، فتحدث معهم مليا واوصاهم امورا بمشهد من كريتو ، ثم ارسلهم عنه ورجع الينا .

وقد دنا المغيب الآن ، لانه غاب عنا وقتا غير قليل ، فلما خرج الينا جلس معنا مرة اخرى ، ولكنه لم يجر بيننا وبينه كلام ، وعندئذ دخل السجان ووقف بجانب سقراط وخاطبه : انك يا سقراط خير من دخل هذا السجن واشرفهم طينة والينهم جانبا ، فلن اتوقع

ان اجد فيك السخط والغضب الذي عهدته فيمن سواك ممن كانوا يثورون علي غاضبين ويدعون علي بالويل والثبور كلما تقدمت اليهم — بحكم وظيفتي — بكاس السم ، واني واثق انك لن تغضب علي ، لان اللوم في هذا الامر على غيري لا علي ، فودع نفسك وداعا يا سقراط واجمل الصبر على الامر الذي لا مهرب منه ، ولعلك قد فهمت ما جئت الآن لآمرك به ، ثم اجهش باكيا وانصرف .

وارسل النظر من ورائه سقراط وقال : انني ابادلك اللطف والمودة يا اخي ! وسامتثل امرك ، ثم التفت الينا قائلا : ما اطيب هذا الرجل قلبا وما ادمثه خلقا ، انه لم يزل يختلف الي في السجن منذ دخلته ، وكان يتكلمني في الاحايين ويعاملني باحسن ما في وسعه من المعاملة ، وانظر اليه الآن كيف يحزن لاجلي ؛ انه يحسن بنا — اي كريتو — ان نفعل كما يامر ، فليؤت الي بالكاس ان كان السم قد اعد ، وان يكن ، فقل لخادم السجن ان يعد لي شيئا منه .

قال كريتو : مهلا يا سقراط ! فان الشمس لا تزال فوق ذرى الاكام بعد ، واني لاعلم ان كثيرا من المعاقبين في هذا السجن قد اجلوا تناول المشروب الى ما بعد مغيب الشمس ، وانهم بعد ان امروا بالشراب قد اكلوا وشربوا ومتعوا انفسهم بصحبة العشيرة والاصدقاء ما شاؤوا ، وقد بقي دون المغيب وقت غير قليل .

قال سقراط : نعم يا كريتو ! ان الذين تذكرهم احقاء بان يفعلوا مثل ذلك لانهم يظنون انهم انما ينتفعون بالتاخير ، ولكني حقيق بان لا اتبعهم ولا احذو حذوهم ، لاني اعتقد اني ان اجلت تناول السم فلن يغني عني ذلك شيئا . وساكون اضحوكة عند نفسي اذا حاولت ان اطيل او اوفر حياة قد صودرت فعلا ، فتفضل يا اخي بامتثال ما اقول ولا تردني .

فاشار كريتو الى الخادم الذي كان واقفا من قريب . فخرج وبعد غياب قصير عاد مع السجان حاملا بيده كاس السم . قال سقراط : ارجوك يا صديقي الابر ان ترشدني كيف اتقدم في الامر ، لانك مجرب في هذه الامور ، فقال الرجل : ليس عليك ، يا سيدي ، اذا شربت من هذه الكاس الا ان تمشي على قدميك حتى تثاقلا ، فاذا احسست بالثقل في قدميك فاضطجع على السرير ليعمل السم عمله . قال هذا وناول الكاس سقراط ، وتناولها سقراط بكل سهولة وارتياح ، بدون ان يعتريه الخوف او يمتقع لونه او تتغير ملامحه ، ونظر الى الرجل بملء عينيه كعادته ثم قال : ماذا ترى في ان اقدم الى الهي من هذا الشراب ، هل انا في حل من ذلك ؟ فقال الرجل : انا نعد من هذا الشراب — يا سقراط — المقدار الذي نحسبه كافيا لشربة واحدة فقط ، قال سقراط : قد فهمت . ولكن يجوز لي ، بل يجب علي ان اسال الالهة ان يباركوا في سفري من هذه الدنيا الى الاخرى ، آمين .

ثم رفع سقراط كاسه الى شفتيه وشرب السم بكل رضى وبدون تلعثم . الى هذا الوقت كان كلنا قد استطاع ان يملك حزنه ، ولكن الآن وقد رايناه يشرب من الكاس ، حتى رشف آخر قطرة منها ، لم نتمالك انفسنا ، ففاضت دموعنا على الرغم منا ، فغطيت على وجهي بيدي وبكيت ، لا لمصاب سقراط ، بل لمصابي انا في هذا الصديق العظيم ، ولم اكن اول من خانه الصبر ، فان كريتو لما راى انه لا يستطيع ان يمنع سوابق عبراته قام من هناك ، وقمت انا من ورائه واذا صديقنا ابولودورس الذي كانت عيناه تدمعان في اثناء ذلك كله رفع صوته بالبكاء ، ولم يبق الا سقراط على هدوء النفس وسكونها ، فقال لنا زاجرا : ما هذا الصياح العجيب ؟ انما ارسلت النسوة عني لكيلا يفعلن مثل هذا الفعل الذي لا يليق ، لانهم قد قالوا : ان المرء ينبغي ان يموت في هدوء وسكون . دعوا انفسكم من هذا يا احبتي والزموا الصمت والصبر ، ولما سمعنا عنه هذا خجلنا في انفسنا ومنعنا دموعنا ، ومشى سقراط في السجن ، حتى اخذت قدماه — كما قال — تثاقلان ، فاضطجع على السرير مستلقيا كما قيل له ، والرجل الذي ناوله السم اخذ ينظر الى رجليه وساقيه ، وبعد هنيهة ضغط على رجله وسال : هل تحس ؟ قال : لا . ثم فعل مثل ذلك بما فوق الرجل من الساق الى الفخذ ، واشار الينا ان اسفله قد برد وتصلب ، واحس ذلك سقراط نفسه وقال : اذا بلغ السم القلب فذلك هو النهاية .

وكان جسمه قد اخذ يبرد عند السرة اذا هو حسر عن وجهه — وكان قد غطاه بنفسه من قبل — وقال : اي كريتو ! اني مدين لاسليبس في ديك اخذته منه ، فهل لك ان تؤدي هذا الدين عني ولا تنسى . قال كريتو : لاسددن عنك دينك يا صديقي . وهل لك حاجة اخرى ؟ ولكنه لم يات منه الجواب على هذا السؤال الاخير . وبعد دقيقتين او ثلاث كانت حركة تحت الثوب ، فاماط الخادم عنه اللثام ، فاذا عينا سقراط قد جمدت ، فقام كريتو واغمض جفنيه واطبق فاه .

وتلك — يا إيشيقراط — كانت نهاية صديقنا الذي اقول فيه بصدق : انه كان خير من عرفت من اهل زمانه واكيسهم واعدلهم . »

المحامون الانجليز

بقلم الاستاذ محمد بن تاويت

المحامون والمحاميات في انجلترا نوعان ، نوع يسمى بالوكلاء Solicitors ونوع يسمى بالمحامين – لدى المحاكم العليا – Barristers فالوكلاء يفرض فيهم بادىء ذي بدء ان يكونوا من الاشخاص المجربين ، العالمين بشؤون الدنيا ، اما المحامون المذكورون ، فالمفروض فيهم قبل كل شيء انهم علماء ضليعون في القانون .

اعمال الوكلاء SOLICITORS

حينما يقع انجليزي في مشكلة قانونية من اي نوع ، او يحتاج الى من يرشده في قضية قانونية ، من نحو تفسير لمضمون وصية ، او تحويل عقد ايجار ، فانه يلجأ الى وكيل يستفتيه في ذلك .

وربما لا يكون محتاجا الى هذه الاستشارة ، فهو يستطيع ان يتصرف وحده في القضية ان اراد ، ولكنه اعتاد ان يرى من الحكمة استشارة الوكيل في مثل هذه القضايا .

ويوجد نحو من 500 17 وكيل في المملكة المتحدة ، بما فيها اسكتلندا .

ولكي يصير الشخص وكيلا ، لابد له من ان يجتاز امتحانات : التحضيري Preliminary والمتوسط Intermediate والنهائي Final ، ولكنه قبل ان يتقدم الى الامتحانين ، المتوسط والنهائي ، عليه ان يشتغل كاتبا في مكتب وكيل من الوكلاء ، فيكون بذلك كاتبا تلميذا يدعى الكاتب المشارط articled clerk ووجه كونه مشارطا انه مرتبط بشروط التعليم bound by articles of apprentice ship التي عقدت بينه وبين معلمه الوكيل المعين : لا شركة من الشركات وعادة ان هذا التلميذ يشتغل لمدة خمس سنوات ، كاتبا مشارطا ، قبل ان ترشحه الجمعية القانونية the Law Society ليزاول عمله كوكيل .

والامتحان التحضيري الذي لا بد ان يجتازه قبل ان يصبح كاتبا مشارطا ، يحتوي على ما ياتي : امتحان عام في اللغة الانجليزية والانشاء ، واللغة اللاتينية ، وتاريخ بريطانيا المعظمى ، ثم ثلاثة موضوعات من المواد الآتية : مبادىء العلوم الرياضية ، الترجمة من لغة اجنبية حديثة الى الانجليزية ، ومنها الى لغة اجنبية حديثة ، والجغرافية ، والرياضة العليا ، والطبيعة او الكيمياء .

والتلميذ الذي ادى بعض الامتحانات العامة بالمدارس ، او بالجامعات يعفى من الامتحان التحضيري

اما الامتحان ، المتوسط والنهائي ، فيكونان في الموضوعات الخاصة بالقانون وحده ، ويؤديها الكاتب المشارط خلال مدة تمرينه .

وبعد ما يؤدي الكاتب المذكور عمله ويجتاز امتحاناته المذكورة ، فانه يصبح مؤهلا لمزاولة مهنته كوكيل .

وهذا الوكيل يستطيع ان يمارس كل قضايا القانون البسيطة ، ويترافع كمحام Advcate لدى الجلسات الصغرى ، او في المحكمة الاقليمية ولكنه لا يستطيع ان يترافع كمحام لدى المحاكم الفصلية ، والمحاكم العليا (بما فيها المحاكم الدورية) ، ومحكمة الاستيناف او مجلس اللوردات the House of Lords

فاذا تناول الوكيل بعض القضايا الصعبة ، فانه يستشير فيها المحامي Barrister ، وهذا الاخير يتولى المرافعة لدى المحاكم التي لا تقبل مرافعة الوكلاء بها ، ولا يمكن اي شخص ان يتصل بالمحامي الا عن طريق الوكيل ، اللهم الا في الاحوال التي لا تتصل بالدعاوي .

والوكلاء الذين يسيئون بتصرفاتهم الى القانون المصادق عليه من قبل جماعتهم ، يمحى اسمهم من

سجل الوكلاء (struck off the rolls of the solicitors) ولا يمكن ان يعودوا لمزاولة مهنتهم ، وهذا القانون قد وضع بواسطة مجلس الجمعية القانونية the Council of the Law Society الذي انتخبه جميع افراد الوكلاء .

اعمال المحامين Barristers

لكي يصبح الشخص محاميا Barrister فان عليه ان يلتحق باحدى المؤسسات الاربع التي تدعى قصور المحكمة the Inns of Court وهذه الاربع هي قصر لينكولن Lincoln's Inn — (1) وقصر كراي Gray's Inn (2) وقصر المعبد الداخلي Inner Temple وقصر المعبد المتوسط Middle Temple

وهذه المجموعة قد اسست في لندن ومضى على تأسيسها ست مائة سنة ، وكانت الى عهد مائة سنة خلت ، كليات للقانون ، ولكن حياة الكليات لهذه القصور تعرضت لتدهور منذ ذلك التاريخ .

ولهذه القصور جميعا عمارات من البنايات المنفصل بعضها عن بعض ، واغلبها جميل جدا وقديم ، كما ان لها حدائقها ومكتباتها وكنائسها ، وكانت حتى سنة 1939 من بين الاشياء القيمة العظيمة التي يستطيع الزائر للندن ان يشاهدها ولكنها فيما بعد قد اصيبت ثلاث منها باضرار جسيمة ، وخرب جزء منها بفعل غارات الاعداء الجوية سنة 1940 .

ويرجع قدم بعض البنايات التابعة لتلك القصور، الى اربع مائة سنة مضت ، كان المحامون Barristers خلالها عاملين فيها ، بدون انقطاع ، من جيل الى جيل، كما قد سجل ذلك في بناية اقيمة سنة 1560 . وفيما مضى كان على التلميذ المسجل باحد القصور المذكورة ، لاجل استمراره على اتصال بقصره ، ان يتناول غذاءه عدة مرات في السنة بردهة القصر الذي ينتسب اليه ، حتى يكون بذلك معروفا لباقي الاعضاء به ، وللافراد المهيمنين على المؤسسة الذين يدعون بالاريكة the Bench ويحضر المحاضرات التي تلقى بقاعات المؤسسة المذكورة .

والشخص الذي يريد ان يلتحق باحدى تلك المؤسسات ، عليه ان يبرهن — من ذي قبل « للاريكة » انه على خلق حسن ، كما ان عليه ان يثبت اما اجتيازه لامتحان الدخول الى الجامعة ، او بعض الامتحانات الاخرى بالمعاهد التي هي في نفس الرتبة .

ولا يستطيع التلميذ باحدى المؤسسات ان يشرع في مزاولة عمله ، ما لم يكن قد نال الاذن بالمحاماة لدى المحاكم ، — ويعبر عن هذا بان يكون قد دعي الى البار called to the Bar (اي جماعة المحامين) — من جانب هيئة الاريكة المشرفة على مؤسسته . وحينذاك يصبح محاميا Barrister وعادة يستغرق هذا الاجراء ثلاث سنوات على الاقل ، ابتداء من يوم التحاقه بالمؤسسة ، ويجتاز التلميذ خلال هذه السنوات امتحان البار the Bar examination وهذا الامتحان ينقسم الى قسمين ، يحتوي الاول منهما على خمس شعب من القانون ، ويمتحن التلميذ في كل منها على حدة ، وهي :

1 — القانون الروماني
2 — القانون الدستوري ، وتاريخ القانون
3 — قانون العقود ، وشبه الجنح
4 — قانون الملكية، او القانون الهندي والفقه الاسلامي او القانون الروماني — الهولندي Roman-Dutch Law

ويحتوي القسم الثاني والاخير على خمسة موضوعات اخرى ، من المواد التي امتحن فيها اولا ، وهذه الموضوعات هي :

1 — المرافعات الجنائية
2 — القانون الاعتيادي (موضوع خاص منه) .
3 — المبادىء العامة للعدالة Equity وموضوعات خاصة في العدالة
4 — قانون الشركات ، وعمل التوثيق في نقل الملكية Practical Conveyancing مع تفسير السندات Construction of Documents او الطلاق (من وجهة القانون والمرافعة) ، او مع موضوع خاص من القانون الهندي والفقه الاسلامي ، او القانون الروماني — الهولندي
5 — البينة والمرافعة المدنية ، والصكوك العامة في القانون الاعتيادي ، والعدالة ، وتعارض القوانين Conplict of Laws

وقبل ان يشرع في مزاولة عمله كمحام Barrister فان عليه ان يشتغل ستة اشهر على الاقل ، تلميذا لمحام آخر والمحامون — بخلاف الوكلاء — لا يعملون كشركة قانونية، بل تشترك جماعة منهم في هيئة واحدة من الخانات التي تدعى بالغرف Chambers في قصور المحكمة المذكورة .

---

1) سمي بذلك لانه كان مسكنا لايرلات لينكولن the Earls of Lincoln
2) كان منزلا للوردات كراي the Lords of Gray

وتقع بين المحامين منافسة عظمى على الانخراط في هيئة جيدة من « الغرف » ، واعظم توفيق يناله المحامي بجده في الحصول على العمل — ولا ينبغي له ان يعلن عن نفسه — يتوقف على مهارة الكاتب الذي يستخدمه في غرفته .

وحيث ان الكاتب ينال اجره — جزئيا — بحسب حصة لها نسبة معينة من دخل المحامي في الغرفة ، فان من مصلحتهما معا ان يجتهدا في القيام باعمال مرضية .

ويوجد في انكلترا وولز اكثر من 5 000 محام Barrister ونحو 2 000 منهم يزاولون حرفتهم في المحاماة .

واذا كان المحامي قد مارس مهنته لعدة سنوات ، واستطاع في خلالها ان يقوم باعمال جليلة وكثيرة ، فان له ان يطلب من السيد المستشار the Lord Chancellor الاذن له في « اتخاذ الحرير » to take silk ومعنى هذا انه قد ارتقى الى جماعة ممتازة senior group من المحامين تدعى مجلس الملك (Queen's Council = Q.C.s (او الملكة) Q.C.s (Queen's Council) فهؤلاء هم الذين يستطيعون ان يرتدوا الاردية الحريرية ، بدل الاردية والاشرطة المعتادة ، التي يتخذها المحامون في المحاكم العليا ، والمحامي الذي ينتمي الى « مجلس الملك » ؛ او الملكة ، لا يحرر اي تقرير حول القضايا ، فذلك ما يجب ان يكون قد انجز قبل ورود القضية على المحكمة، وانما يعطي رايه في القضية ويترافع في المحكمة ، وطبعا ان الاجور التي يتقاضاها هذا المحامي تكون اعلى من اجور المحامي الذي دونه junior

أعضاء الحكومة القانونيون

Legal Members of the Government

هناك ثلاثة من رجال القانون يمثلون حلقة اتصال بين الحكومة والقانون ، وهم :

السيد المستشار الذي يشرف على مجلس اللوردات ، ويكون رئيسا لكل المهن القانونية ، وينتخب بواسطة رئيس الوزراء لوقته ، وعادة يكون اعظم محام مبرز ، يساند الجانب الحاكم ، ويعمل كمستشار قانوني للحكومة ، وكقاض رئيس للاقليم ، ولكنه حيثلا يجلس ابدا وحده كقاض بمجلس اللوردات ، فان رايه قد يكون راي الاقلية ، حقيقة ان وظيفه سياسي ، ولكن لا يعني هذا ان الحكومة لها الكلمة الاخيرة في الاحكام القانونية ، بل انه في الواقع لا يمثل جانبا كبيرا في السياسة ، لانه اولا وقبل كل شيء محام ، ورعيا لممارسته للقانون ووظيفته ، فانه في موقفه لا يحيد عن العدالة مطلقا ، لدرجة انه قد يفتي بان الحكومة ، التي هو عضو فيها ، كانت جائرة في نزاع بينها وبين مواطن .

والموظفان الآخران ليسا قاضيين ، بل محاميين ويختاران من احسن المحامين ، ليساندا ايضا الحكومة الحالية ، وهما عضوان في البرلمان ، ويقايضان الحكومة واحد هذين العضوين هو النائب العام the Attorney-General الذي يترافع في المحكمة كمحام عن الحكومة ، في كل من القضايا الجنائية والنزاعات المدنية ، وضرورة ان يكون ذلك في المهم منها ، كما ان الحكومة تستشيره في اصدار الاحكام ، والنائب العام هذا هو رئيس هيئة « البار » السالفة الذكر ، وبينما تكون حكومته صاحبة السلطة، فانه لا سلطة له يملي بموجبها اوامره على هيئته (جماعة المحامين) .

وثاني العضوين هو الوكيل العام the Solicitor-General الذي ينوب عن النائب العام ، وليس وكيلا كما يفهم من لقبه ، وانما هو محام Barrister وسلطته وواجباته هي نفس التي للنائب العام ، ولكنه دونه مركزا ، junior وينوب عنه حينما يكون مريضا او متغيبا

واغلب الطقوس والتقاليد يتسم بها المحامون اكثر مما يتسم بها الوكلاء ، لان قصور المحكمة المذكورة تحافظ على كثير من العادات القديمة ، فالانخراط في سلك المحامين Barristers يتجلى في حفل رائع، يقام بردهة قصر التلميذ the student's Inn ويرتدي المحامون ، لدى مجلس اللوردات ، والمحكمة العليا ، ومحاكم الاستيناف ، والمحكمة الاقليمية ، والمحكمة الفصلية ، اردية سوداء ، واضعين على رؤوسهم الجمم المستعارة ، المعروفة باسم سبيب الخيل Horse-hair وهو لباس القرن الثامن عشر ، كان قد اتخذ لاول مرة شعار الحداد على الملكة آن Anne حينما توفيت سنة 1714 .

ويستطيع أي محام barrister ان يترافع في محاكم لندن ، او اية محكمة فصلية في الاقاليم ، ولكن لكي يترافع في المحاكم الفصلية او امام القاضي لدى المحاكم الدورية ، فان عليه ان يصبح عضوا في هيئة محامي الدائرة Cicuit بالاقاليم التي يتردد عليها قاضي المحكمة الدورية .

والمحامون الذين يسيئون بتصرفاتهم الى مهنتهم يمحى اسمهم من سجل المحامين ، وذلك بواسطة هيئة « الاريكة » التي تشرف على المؤسسة المنتمين اليها .

(يتبع)

صفحة من تاريخ

العلاقات الدبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة

للاستاذ الملازم الاول
احمد احمد البسيري

يقع المغرب في الشمال الافريقي بين بحرين عظيمين هما : البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي، وبهذا الموقع الممتاز يكون المغرب ذا اهمية كبرى من الوجهة السياسية والاستراتيجية ، ذلك لانه جاء نقطة اتصال بين العالم الافريقي والاوروبي مما جعله يكتسب مكانة فائقة عند الامم قديما وحديثا ، وقد ادت به هذه المكانة الى ان تكون العلاقة معه مطلبا من مطالب الدول كبيرها وصغيرها .

وليست امة في الدنيا امتلأ تاريخها بصورة عجيبة من البطولة والتضحية الكاملة منذ القديم مثل المغرب ؛ هذا البلد الوحيد الذي شهد له المستشرق الايطالي الدكتور (انسباطو) بانه ذو الحضارة الوحيدة التي تقبل بصدر رحب كل العقول ، فكانت كلمته محترمة وان جميع الدول كانت تطلب وده وصداقته ، والمغرب بدوره اعترف لنفسه بهذه الخاصية الجليلة حيث كان دائما الحارس الاوفى على التضامن الدولي والعلاقات الطيبة بين جميع دول العالم وذلك لحفظ السلام وخدمة الانسانية والمعايشة الطيبة .

وعلى هذا النحو وبهذا الوصف الذي يصور لنا الموقع الخاص في الجغرافيا العالمية للمغرب نستطيع ان نحاول درس العلاقات الدبلوماسية المغربية ، ونستطيع كذلك ان نتبين الى اي حد كان تاثير هذه العلاقات في كل طور من اطوار حياته ، والحق اذا نحن درسنا اخبارها ببصيرة نافذة ، وملاحظة دقيقة ، وحذر طبيعي امام ما كتب في ذلك فاننا ندرك انها كانت مصدرا عظيما من مصادر الرقي والحضارة ذلك لما توفر للمغاربة من الذكاء والصبر والمثابرة .

وقبل ان نتكلم عن مهارة الدبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة يفضي بنا الامر الى القاء نظرة خاطفة عن تطورها منذ ان رغبت الدول في تنظيمها، وتوفير ضمانات استمرارها والى التفكير في عقد اتفاقات ومعاهدات ومخاطبات بين الملوك والرؤساء .

والمعروف ان الدبلوماسية قوة دافعة نحو التضامن والوفاق ، والتعاون ، ونشدان السلام ، ولا احسب ان الدبلوماسية المغربية جديدة من نوعها بل هي قديمة يرجع اصلها الى القرن الحادي عشر للميلاد عند ما بدات العلائق بين شمال افريقيا واوربا في شكل مبادلات تجارية وبعثات سياسية الامر الذي دفع المؤرخين الى تسجيلها بكبير اعتزاز ، فظهرت مؤلفات عديدة تتناول هذه اللفتة السياسية الهامة باعجاب وتقدير ، ونذكر منهم على سبيل المثال : طرونسي ، فلامينيو ، برونتشي ، ثم نذكر بعدهم : اماري ، دوماس لا ترى ؛ هذا عدا المؤرخين الذين اهتموا بالشؤون الدبلوماسية ، وجمع وثائق هامة يوم كان المغرب يربط علاقاته الدبلوماسية مع الامم اللاتينية مثل جنوة ، وفلورنسا وبيزة الخ . .

ونؤكد ان العلاقات الدبلوماسية المغربية لم تبتدىء بصورة واضحة الظلال الا في القرن السادس عشر للميلاد عندما تكالبت عليه بعض الدول لاحتلاله كدولة تركيا من الشرق والبرتغال واسبانيا من الغرب.

ومما يجدر بالذكر هنا ان المغرب في الوقت الذي تكالبت عليه هذه الدول الثلاثة لاحتلاله كان محكوما من سلالة مستضعفة هي السلالة الوطاسية التي لم تستطع ان تقوم باي عمل من شانه انقاذ الوطن من

الاخطار الحرجة التي كانت تلم بـه حيث التكـس انتكاسا خطيرا ، ودب فيه داء الامم : داء الخمـول والانزواء والانحلال ، وعلى اثر ذلك اغتنم المستعمرون هذا التدهور بصفة خاصة وتم لبعضهم الاستيلاء على بعض مدن المغرب .

وليس من الغريب اذا نحن نظرنا بصفة عامة الى الوضع الداخلي والخارجي للجناح الايسر من العالم العربي ان نجده في ذلك الوقت تعرض لعدة نكبات استعمارية منها سقوط دولة بني زيان في الجزائر ودولة بني حفص في تونس ، ودولة بني الاحمر في الاندلس ، واحتلال البرتغاليين والاسبانيين لمعظم شواطىء المغرب ومدنـه وقراه .

ولعل ابرز الاسباب الـذي ضخـم الطمـع الاستعماري وايقظ فيه الايجابية العدائية هو السلبية التي كان يعيشها المغرب يومئذ حتى غدت احدى مظاهره الكبرى بيد رؤساء قصيري النظر اساؤوا الى البلاد ، ورعية اخشى ان اقول دبت فيها روح الخمول حتى ان كيان الدولة كاد يتحطم على سوء التنظيم والاهمال الجماعي والاداري ، وازاء هذه الاخطار التي كانت تحوم بالمغرب لتطويه في عدم من شخصيته ، ولتكسر فيـه قوة من شانها تغيير بعض من الوضع الراهـن انبثقت جماعة من المصلحين ذوي الروح الوطنيـة والحنكـة السياسية ، انبثقت كالشهاب الثاقب يبيد الظلام في طريقه الى تحقيق الهدف ، وكينبوع من الماء العـذب تدفق خيرا وبركة على البلاد ، هذه الجماعة الصالحـة بعثت في الامة روحا جديدة وعزما قويا وآمالا بعيـدة مكنتها من نهضة عظيمة ، وقوة كبيرة . . ونستطيع ان نقول بان السلطان محمد الشيخ الوطاسي تمكن مـن تجديد الوضع ، وقلب شتى النظم ، وذلك لما توفر له من سداد في الراي وحنكة في القيادة حيث انتصـر على البرتغاليين انتصارات كبيرة ، وطردهم من حصن فونتي ، واسفي ، وازمور شر طردة ، كما انتصر على الاتراك في وقائع كثيرة ليس مهما هنـا ان نفـرد لها الحديث لذا اكتفينا بالاشارة اليها مؤمنين بان هـذه الاشارة وحدها تعطينا صـورة حية وواضحة عـن الاحتكاك المباشر وغير المباشر الذي حصل بين المغرب والدول الكبرى نتيجة لتلك الوقائع مما ادى الى تكثير العلائق وتمتينهـا .

واننا لنجد هذه العلائق قد اكتست شكلا دوليا او يكاد يوم صرع المغرب البرتغـال في موقعـة وادي المخازن او الملوك الثلاثة كما يسميهـا الغربيـون ، اذ انتشر صيتها في الداخل والخارج مثبتـا بكثير مـن الفخر عظمة المغرب ، وصمـوده ، فسعت الـدول صغيرها وكبيرهـا تطلب وده ، وترغب في صداقتـه وتمتيـن الروابط معـه .

فهذا سلطان تركيا مراد العثماني يجدد اعترافه بالمنصور السعدي ،و يرسل له هدية عظيمة لم يـر احد مثلها ، وهذه دولـة اسبانيـا تعترف بعظمـة المغرب ، وتقدم له هدية كبيرة من الدر الفاخر ، والزمرد البديع ، وهذه اليزابيث ملكة انكلترا تراسل السلطان البطل احمد المنصور ، وتدوم المراسلة بينهمـا عـدة سنوات ، تناولت اثناءها عددا من الموضوعات الهامة ، كما ابرمت معاهدات لها وزنها الدولي ، وليس غريبـا ابدا ان نجد البرتغال التي صر عناها بالامـس تطلب ودنا اليوم كغيرنا من دول اوربا وتسعـى لتحسين العلاقات معنا ، فتبعث وفدا لهذه المهمة يحمل هديـة فاخرة على العربات .

وباختصار نجرؤ على القول بان هذه الفترة مـن تاريخنا تخللتهامظا هر شتى ابرزها اليقظة النفسية ، والمهارة الديبلوماسية التي اظهرها ملوك المغرب العظام في الوطن من الورطة التي كان مندفعا اليها وحرصهم على حفظ الاستقلال ، وحمايته من الضياع فلم يتوانوا في تطوير علاقات مسالمة مع اكبر عدد ممكن من الدول ، وخصوصا الدول الاسلامية التي كانوا يحترمونهـا ويتعاونون معها تعاون الاخ مع اخيه ، والجار مـع جاره ، اننا واجدون هذه الظاهرة الطيبـة متمثلـة في السلطانين عبد الملك واخيه المنصور مع السلطـان العثماني مـراد .

وقصارى القول : ان الديبلوماسية المغربية طيلة هذا القرن انصرفت بشكل قوي الى صد عادية التوسع التركي وكبح جماحه والحيلولة دون تسرب الدول الاستعمارية اليـه .

وجاء القرن السابع عشر وبعد مضي ثـلاث سنوات منه يعني في الوقت الذي توفى فيه السلطان احمد المنصور الذهبي ، انتهت عظمة الدولة السعدية وفقدت ما كان لها من العظمة والتبجيل ، ولعل اهم عامل في ذلك هو التنازع الذي قام به ابناء السلطان السابق ، فقامت بينهم حروب ومعارك تلتها حوادث جسام مما ادى الى ضعف الدولة وضيـاع مـا كانت تتمتع به من نفوذ وصولـة .

ولقد اغتنم الاعداء فرصة هذه الفتنة الاهليـــة فاحتلوا بعض شواطىء المغرب داخل البلاد على حساب ضعف المغاربة وتخاذلهم ، الا ان العناية الالهية هيأت للشعب المغربي من ينقذه ايضا من رجال الدين ، ورجال السياسة معا ، وتلك سنة الله في هذه البلاد لا تختلف، فتكونت امارات صغيرة غايتها الدفاع عن المغـــرب وحماية شواطئه ، ووقفت في وجه العدو موقفا شديدا حتى اصبحت هذه الدول التي كان لها حب السيطرة وحب التوسع تتوقف عن سيرها ، فدولة البرتغـــال اصبحت تحاول الاحتفاظ على ما ملكته من قبل ودولة تركيا هي الاخرى اصبحت لا تفكر الا في القضاء علـى الثورات في ممتلكاتهـــا .

ولما استقر الامن في البلاد وتمركز نفوذ الامراء ، واصبح كل واحد منهم يخطو خطوته وينظم امارتــه ، سرعان ما دب الخلاف بين هؤلاء ، وضعف امر الدولة مرة اخرى واصبحت البلاد اشبه بحال ملوك الطوائف الذي قال فيــه ابن الخطيب :

حتى اذا سلـك الخلافة انتثـــر
وذهب العيــــن جميعـا والاثـــر

قــام بكـل بقعــــة مليــــك
وصاح فــوق كـل غصــن ديـك

ولكن ذلك سيتـم في بـرج مطلعـه ، وسيخف صيته بفور الاستهلال ، وتظهر الدولة العلوية الشريفة بحنكتها وبقيادتها ، فتخضع البلاد كلها لسيطرتهـا ، وتستولي على المدن الساحلية التي كانت في قبضـة الانجليز والاسبان والبرتغال الا مدينة سبتة ومليلية اللتين ما زالتا لحد الآن في قبضة الاسبان .

هذه بعض المشاكل التي كان يعانيها المغـرب في اوائل هذا القرن ، وهي قصة طويلة اذا اردنا نحـن ان نستقصي آثارها ، والمهم الآن هنا هو لفت النظـر الى ان هذه الحوادث جميعها من احتلال الشوطىء المغربية ، وتكوين امارات كانت مستقلة وغير مستقلة فان كل ذلك امكن بكثير في انشاء علاقات مع جميـــع الـدول الكبـرى ، بمعنـى ان سلاطيـن المغـــرب ورؤساء الامارات في اوائل هذا القرن بذلـوا جهـودا لا بأس بها في هذا السبيل الا ن ذلك سيظهر جليـــا وعظيما في عهد الملكين العظيمين المولى الرشيد ومولاي اسماعيل السلطان العظيـم .

والواقع ان اهم العلاقات الديبلوماسية التـي ابرمها المغرب خلال هذا القرن هي اما مجرد معاهدات صداقة وتجارة ، او اتفاقات ابرمت لتسوية بعـض المشاكل تتعلق مثلا بالتمثيل الديبلوماسي واستيطان الرعايا الاجانب وخصوصا تحرير الاسارى ، من ذلك ان في هذا القرن وما بعده كانت القرصنـة المغربيـة لا تفتأ تغير على المراكب الاجنبية وكذا هذه على المراكب المغربية وكان الحل الوحيد في تصفية هذا المشكل هو عقد الصلح بينهما او تفادي الاسارى الى غير ذلك .

لنبدا الحديث اولا عن علاقة السلطان مولاي رشيد مع الدول الاجنبية فنقول ان الادلة على ما كان بينـه وبين عظمـاء ملـوك الـدول الاجنبيــة الـم بكثيـر منها مؤرخ فرنـسا الشهير (دوكاستري) وخصوصا مع بعض الدول الاوربية مثل انجلترا وفرنسا ، فالاولى تبدا معها العلاقات يوم ان احتلت مدينة طنجة ، ومـن المعلوم ان هذه المدينة كانت اولا تابعة للبرتغال ، ولمـا تزوج الملك الانجليزي (شارل الثانـي) بالاميـــرة البرتغالية (انفانتا كاتري) وهبت لـه مدينة طنجـة كجزء ما بائنتها ، وظلت تابعة لانجلترا مدة 22 سنــة اثناءها كانت حركة الاتصال قوية بين انجلترا والمغرب وساعدت هذه الحركة على توثيق العلاقات توثيقـــا اعظم من ذي قبـل .

وفي سنة 1680 وجه ملك الانجليز (كارلوس) سفيرا للمغرب اسمه (هاري هوارس) وذلـك ليهنىء السلطان بالانتصار ، ومعه هدايا فاخرة منها ستـــة مدافع نحاسيــة وعدة رمــاح .

ودولة فرنسا هي الاخرى راسلت ملك المغرب وانشأت معه علاقات تجارية وغيرها ، وقد اثبتنـا في في الاصل نقلا عن كتاب (الاتحاف) لابن زيدان رسالة كتبها السفير الفرنسي القبطان (رولان افرجـس) الى السلطان يطلب منه الاذن ببناء محل للتجارة بنواحي وادي النكور ، واليك ما كتب : « الى الشريف العظيم القوي مولاي رشيد حرسه الله لما كان سبب مجيئي لهذه البلاد مهما جدا ومفيدا لدولتكم ، اطلب مـــن جلالتكم الاذن لي في القدوم على اعتابكم ، وان تسمحوا لي باللقاء بكم لانشرف بشرح اسباب مجيئي لايالتكم ولاسلم لكم كتابا من ملك فرنسا من مرسى البوريـخ 15 ابريل عام 1666 م» .

ويقال ان الملك مولاي رشيد قابله مقابلة حسنـة حيث اعطاه ستين بعيرا لحمل اثقاله وذلك تنميـــة للروابط بين الدولتيـــن .

هذا وان في سنة 1666 نرى الملك الفرنسي « لويز » يكاتب السلطان مولاي رشيد في شؤون شتى منها ما يتعلق بالتمثيل الديبلوماسي وتفادي الاسرى بينهما .

قضى مولاي رشيد ، وجاء مولاي اسماعيل ، هذا السلطان الذي انجز من الاعمال ما لم تسمح به الظروف الا لقليل من الملوك ، تنظيمه للجيش واقراره للامن ، واهتمامه الكبير بتوثيق العلائق الديبلوماسية بين المغرب وجميع الدول الاجنبية وقد قضى في حكمه ما ينيف على خمسين سنة استطاع خلالها لا ان ينقذ البلاد فحسب بل ان يرجع بها الى سالف ازدهارها وقوتها كما كانت في عهد يوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور ، واحمد المنصور الذهبي وغيرهم .

والجدير بالذكر ان من اهم اعمال مولاي اسماعيل هو أهتمامه بتطهير الشواطىء المغربية من الاحتلال الاجنبي ، وصيانة الامن الداخلي ففي سنة 1692 فتح المعمورة التي تسمى المهدية ، وفي سنة 1655 استولى على طنجة ، ثم فتح العرائش واصيلا وحاصر مدينة سبتة ، يقول مؤرخ فرنسا الشهير (سان الون) سفير لويز الرابع عشر لدى مولاي اسماعيل « ان مولاي اسماعيل قام بأمر عظيم يمكن ان يشبه باعاظم ملوك تاريخ فرنسا » هذا ويقول المؤرخون انه بعد افتتاح هذه المدن والاستيلاء عليها تفرغ رحمه الله الى ابرام معاهدات واتفاقات مع كثير من الدول الاسلامية والاوربية .

وكل من تتبع درس سيرة مولاي اسماعيل في هذه الفتوحات يعلم انه سلك سبيلا واحدا في ذلك ، وهي طريقة القوة ، الطريقة الوحيدة لاظهار عظمة البلاد ، واحياء عزتها وكرامتها ما دام في هذه الدنيا اغتصاب ومغتصبون لا يعتمدون الا على قوتهم ، ولقد بلغت هذه القوة الى حد كبير مما ادت الى اختلاف الراي عند بعض المؤرخين الذين عاصروا مولاي اسماعيل ، يقول المؤرخ (دوكاستري) : فممن وصف مولاي اسماعيل بالافراط المؤرخ (بوسنو) و (الاب فرنسيسكو) وممن رفض ذلك واعتبره من باب الخرافات المسيو (الامارتنيلان) واقربهم الى الحقيقة المسيو (بودجيت مكين) حيث قال : « ان قساوة مولاي اسماعيل هي نتيجة احوال زمانه الذي يعيش فيه ولئن فات الملوك قساوة فلقد فاقهم قوة » .

بهذا التدبير الجميل الذي اتخذه مولاي اسماعيل في حكمه لبث الامن في المغرب زمنا طويلا ، وامكنه بقليل من المشقة الى ربط علاقاته الديبلوماسية مع جميع الدول ، فمن ذلك دولة تركيا ، ففي سنة 1689 تبودلت بين المولى اسماعيل وبين السلطان مصطفى العثماني مفاوضات حول الحدود المغربية وتم الخلاف الذي كان بينهما ، كما انه من اكبر البراهين واوضح الادلة على ما كان بينه وبين ملوك اوربا من اتصالات ومراسلات هو ما جمعه وكتبه المؤرخ دوكاستري من الرسائل التي تبودلت مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، وجامس ملك الانجليز ودون كارلوس ملك اسبانيا وغيرهم من الملوك العظام ، الا ان علاقته مع لويس الرابع عشر كانت اقوى وامتن ، فاستحكمت الى درجة انه خطب ابنته الاميرة (كونتي) وكادت تتم هذه الخطوبة لولا خوف الاميرة من الحريم السلطاني الذي يضم مئات غيرها من حوريات الانس .

ويعد السيد الحاج محمد تميم التطواني اول سفير من المولى اسماعيل الى ملك فرنسا الذي فاوض كلا من الوزيرين الفرنسيين (كولبير دوكرواسي) و (ستنيلي) وعقد معهما معاهدة تعرف بمعاهدة (29 يناير سنة 1682 ولما قضى السفير نحو ثلاثة اشهر في فرنسا وعاد الى المغرب وابلغ السلطان نتيجة سفارته قام مولاي اسماعيل بمخاطبة لويس بما نصه « اعلم انه بلغنا اصحابنا صحبة كتابك وذكروا لنا خيرك ومباشرتك لهم وشكروا لنا فعلك معهم واستحسنا برورك بهم وفرحك بجميعهم فلذلك ينبغي لك ان تكون . . »

يتبع



هذه دعوة تحليلية جادة ، موضوعية بقدر مـــا اتيح لها ان تكون كذلك ، توضع بين ايدي الشباب في مغربنا الحبيب ليولوها حقها من النظر والنقد .

دعوة تحاول ان تجد لها موضوعا .

دعوة ليست لجيل فتح اعينه على عصرين ، وعايش فترتين من حياة هذه الامة وانما هي لجيل يحاول ان يتفتح على عصر زاخر ، مليء بالاحداث والمغامرات والتضحيات ، ويريد ان يعيش فترة واحدة حاسمة ، يترك الحياة من بعدها لبني امة واضحة المعالم ، بينة المحجة (ليلها كنهارها ، لا يضل عنها الا هالك) .

موضوع هذه الدعوة اذا الشباب ... عنوان الخير والفعالية والنشاط والحياة في الامة :

ذلك بان الشباب جيل صاعد ، نام ، متحرك ، تعده الايام ليخلف جيلا ذاهبا ، اتم نموه ، وبدات تهدا فيه الحركة ويقل فيه النشاط ، تلك خلفية طبيعية تمدنا لها الايام ، ومن واجبنا الا يطغى علينا احترام السلف، وتقديس الاجداد الى درجة نرفض معها تحمل تبعات هذه الخلفية الطبيعية التي سيداهمنا الواقع بها يوما ما ، على رضى منا او على كره ... ولقد شهد تاريخنا الحديث ان اجدادنا كانت تستاثر بهم الانانية الى درجة انهم يهملون اعداد ابنائهم لحمل تبعات المستقبل من بعدهم .. ولقد ضاع منا استقلالنا يوم استلم هؤلاء الابناء مقدرات الامة ، فاعانهم الجهل على اضاعة البلاد وتسليمها للمستعمر .

ولئن كان الجيل الصاعد يلمس مثل هذا الاهمال من الاجداد ، فليس له عذر بعد اليوم في الاستسلام الى ارادة الاباء والاجداد في البقاء في عزلة الجهل وزاوية الاهمال .

هنا ياتي دور الشباب في ميدان النهضة الحاضرة ، الشباب الذي تفتح على عالم يكاد يضيق بمن فيه من الجهلاء وانصاف العلماء هذا العالم الذي لا يكاد يعيش فيه الا العالمون ، والذي لا يكاد يستطيع الحياة فيه الا الذين يصنعون او يخترعون شيئا يحفظون بصناعته او باختراعه على انفسهم نعمة البقاء

اصبح اذا من واجب الشباب ان يحرك نفسه بنفسه اذ عجز الجيل الماضي عن ان يحرك الجيل الحاضر من اجل المستقبل ، هذه الحركة الذاتية ، تصدر عن الشباب ليندفع الى العمل المتواصل ، والنشاط الدائب ، والتفكير فيما عليه من واجبات .

واكاد اعتقد ان هذه الحركة الذاتية عفوية وليدة الواقع الذي تعيشه امتنا في هذه الايام ، وهي لولا احساسنا بواقعيتها ووجودها في الظروف الحاضرة – حركة فكرية خيالية ، ليس لها من وجود الا في عالم النظريات والمثل ، ولكنا – ونحن نلمس واقعيتها ووجودها في الظروف الحاضرة في مغربنا الحبيب نحاول ان نصوغها صياغة اخرى اقرب الى الواقع وابعد ما تكون عن النظريات والمثل عند ما نراها تتجسد في الشباب المغربي وفي همته على وجه الخصوص : ان الشباب في كل البلاد معان على تحمل تبعات المستقبل من قبل الاجيال السابقة ، اما شبابنا المغربي ، فهو مكلف بحمل تبعات المستقبل – وحده – ، بل هو

مضطر الى الكفاح للتحرر من نير الماضي وبقايا عهد الاستعمار ، وما يعينه على الكفاح للتحرر من قيود الماضي الا عمل متواصل ، لا يعرف الفتور ولا الملل ، وما يعينه على حمل اثقال تبعات المستقبل الا تفكير دائب تنشأ عنه حلول لمستعصيات المشاكل المغربية ، وسعي حثيث يتولد منه سعي حثيث الى اقرار ما صح عليه العزم وانتهى اليه التفكير ، كذلك يمكن ان تصاغ نظرية الحركة الذاتية هذه صادرة عن وعي الشباب ، واندفاع الشباب وهمة الشباب .

والشباب المغربي – وحده – يستطيع اخراج هذه النظرية من عالم المثل الى عالم الحس والواقع بما يبذل من تضحيات ، وبما يحقق في سعيه الحثيث من مبادىء واهداف وغايات .

والتضحيات التي ينبغي ان تبذل كثيرة جسيمة، وهي – مهما كانت جسامتها – يسيرة هينة على الشباب ، ولا اريد هاهنا ان اعدد هذه التضحيات فكل يضحي على قدر همته في سبيل بناء امته ، وانما اريد ان اتحدث عن نوع واحد من التضحيات في حقل الكفاح للتحرر من قيود الماضي .. هذا النوع المشترك من التضحيات بين هموم الشباب ضروري لبناء مستقبل الامة سليما مكينا ، وينبغي ان يتكاتف الشباب جميعا لتحقيقه .. انه التضحية والكفاح في سبيل تعلم اللغة العربية وتعليمها ... وفهمها وتفهيمها .. وجعلها لغة الادارة والديوان والحديث والعلم .

وتسالني عن وجه التضحية والكفاح في سبيل تعلم اللغة العربية وتعليمها ؟

فاشير الى ان المثقف المغربي بلغة اجنبية يصعب عليه الحديث بغيرها وهو لذلك يحس في نفسه ضيقا وانقباضا عند ارادة التعبير عن معان ربما لا تسعفه لغته العربية في التعبير عنها .. ووجه التضحية هاهنا ان تجهد نفسك وتتحمل بعض الضيق – وانت العربي اما وابا ووطنا – فتكلف نفسك قراءة بعض ما يكتبه اخوانك الشباب العرب بلغة بينة سليمة من الاخطاء ، في ايام معلومة من ايامك، وعلى دفعات متتالية منتظمة، بقراءة الصحيفة او الصحيفتين ، متحملا بذلك مشقة القراءة ولا اقول الفهم اذ ان كل ما يقرا على اي مغربي من العربية الحديثة مفهوم لديه ، فاذا مرت بك الايام والاشهر على هذا النحو لا تلبث ان تحس بان الضيق الذي يعتريك عند ارادة التعبير عن معانيك بدا يزول من ساحة تعبيرك شيئا فشيئا حتى يغيب ... فاذا حصل لك ذلك ، كان هذا منك تضحية ببعض الوقت ، ولكنه وقت انفقته لتجني به ربحا لوطنك ، ولتريح به نفسك ، اذ ان بلادك عربية ومستقبلها مع اللغة العربية، ولان المثقف ثقافة اجنبية ملك لتلك الثقافة حتى يحسن لغة امته فيعود ملكا لامته ... انك بهذا العمل تهدي لامتك عنصرا من عناصر وجودها اقدر على الحياة في ظلها ، وانفع ما يكون لامته وهو يتقن لغتها – على ان قسطا من هذا النفع في الواقع قد يكون حاصلا اذا كان لا يتقن لغتها ، ولكن على اضيق مدى ، وضمن بعض الشروط ... فاذا عبرت بالعربية عن معانيك ، وبدات الكتابة بها تحس من نفسك ميلا الى الالمام ببعض قواعد التعبير الصحيح فيها ... ولن انصح لك هذه المرة الا بالقراءة والقراءة الكثيرة ، والتدرج في المطالعة من السهل الى الصعب ، ثم الالمام ببعض قواعد العربية البسيطة كرفع الفاعل والمبتدا ونصب المفعول به والحال .. مما تمكن الاحاطة به كله في بضعة اسابيع ..

هذا وجه من وجوه التضحية ، وهنالك وجه اخر من وجوه الكفاح تطلبه الامة منك وممن علم علمك كيما يجتهد ليعلم غيره ما علم بالوسيلة التي يراها ناجعة بعد التجريب .. وليس هذا الذي اقترحه ها هنا هو الطريقة المثلى في هذا الباب بل ربما كانت هنالك طرق اخرى اكثر نفعا واسرع فائدة في التعلم والتعليم ننتظر من اخواننا الذين سلكوها وعزموا عليها وعرفوا نفعها وفائدتها ان يطلعوا الشباب عليها مشكورين .

وفي خلال اطلاع المثقف ثقافة اجنبية على اللغة العربية وتراثها تتكون عنده ثروة فكرية انسانية هي حصيلة ثقافته الاجنبية ممزوجة بلقاح من الفكر العربي وعندها تحس همته الشابة ان عليه ان يتولى حمل اثقال تبعات المستقبل ... وهنا كما في ذلك المكان الاخر من هذه المقالة لن اتولى اثقال وتبعات المستقبل بالكيل او التعداد وانما اشير الى واحد من هذه الاثقال (وليكن اكثرها ثقلا) والى احدى تلك التبعات (ولتكن اكثرها خطورة) وربما كانت مفتاح مشاكل المستقبل في مغربنا الحبيب :

اننا نعيش في امة لها تاريخها ، ومجدها ، واهدافها ، وآمالها ، ومبادئها ، ولكنها مرت عليها فترة نسيت تاريخها ، واضاعت مجدها ، وغفلت عن اهدافها ونامت عن آمالها ، وتجاوزت على مبادئها .. لا تكلف الآن انفسنا عناء السؤال عن الاسباب ، فليس ذلك من

همنا ، وانما هو من هم الجيل الماضي ، اما الشباب فهمه في تذكيرنا بالتاريخ المنسي ، واعادة المجد الضائع، واقرار الاهداف ، وادراك الامال ، وتثبيت المبادىء في النفوس ، ولا يكون ذلك للشباب الا اذا جرد نفسه ، وشحذ همته ليملأ على امته هذا الفراغ الفكري الهائل الذي فعل بنا تلك الافاعيل ونريد اليوم ان نخرج بامتنا من هذه الهوة السحيقة التي عرفنا مكانها واحسسنا بها ، وكرهنا لامتنا ان تتردى او تقع فيها ...

واذا كان لي ان ارجع الى بعض الاسطر قليلا في هذه المقالة فاني الاحظ ان هنالك اتصالا وثيقا بين تعلم اللغة العربية وتعليمها وبين ملء هذا الفراغ الفكري الذي يحسه الشباب من ابناء امتنا ، واحساس الشباب بهذا الفراغ امر طبيعي دال على وعيه لنفسه وشعوره بانه انسان خلق لغير الثقافة الاجنبية التي غذته وانها لم تعد كافية لملء تفكيره واقناعه بانه انسان في هذا الوجود وكفى ...

الشباب المغربي اليوم يشعر بانه يريد ان يعيش في امة ، لكنه لا يستطيع ان يجد هذه الامة ممثلة في افكار ومبادىء وغايات وآمال ... ان علاقة التبعية ، تبعية الانسان للثقافة التي تثقف بها لم يستطع الشباب المغربي ان ينكر احساسه بها كما لم يستطع ان يستسيغها في يوم من الايام ولكنه يشفق من مطاردتها له في اعماق تفكيره وشخصيته .

ان الافكار والمبادىء المعروفة في العالم حتى اليوم انما نشأت في لغة وفي وطن وفي قوم ... وشباب المغرب يريد ان تكون لغته العربية لغة الافكار والمبادىء التي يؤمن بها ويتبناها ، ذلك ان اللغة مستودع للمعاني والمبادىء التي يمكن ان تؤمن بها الامة وفيها طاقات ترفد المفكرين من ابنائها وتمدهم بالكثير من المبادىء والمثل والاخلاق فيما تمدهم به من الفاظ وتراكيب ..

لقد سئمنا الحياة المتطفلة على افكار من ها هنا وها هنا ، ونريد حياة ذاتية على افكار منا والينا تنبع من ارضنا وتصدر عن ضميرنا العام ، ليتبناها قومنا ، ونحن ـ بعد ذلك ـ شركاء للانسانية في ثقافتنا ناخذ منها بقدر ما تعطي ، ولا تعطينا بقدر ما تاخذه منا .

هذه تبعات جسيمة تتحملها همة الشباب المغربي وهو يعد نفسه لهذا الدور مهما كان الثمن ومهما كانت التضحيات غالية ، وهمة الشباب لا تعرف الحساب في باب التضحيات ، وانما هي تبذل وتبذل بقدر ما تستطيع ، وهمها الوحيد ان تصل الى اهدافها وغاياتها المأمولة .

لا تقل لو ..

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان ، اخرجه مسلم .



بقلم محمد الغزلي

كانت بداية السنة الميلادية الجديدة بافريقيا حافلة بالاحداث والمواقف والاعمال . فمن مؤتمر القمة التاريخي الذي انعقد فى الدار البيضاء ، ونشر مقرراته الايجابية الحاسمة ووضع الميثاق الافريقي ، ليكون اداة للعمل من اجل بناء صرح التحرر الافريقي ، الى مؤتمرى النساء الافريقيات الاسيويات ، والشعوب الاسيوية الافريقية ومؤتمر وزراء خارجية الدول العربية

ومن تاسيس حكومة حرة فى كيفو بالكونغو ، واتخاذ مانوتو عاصمة جديدة للبالوبا المناهضين لحكومة مويس تشومبي ، الى نقل الرئيس لومومبا ، وقرار كتلة الدار البيضاء بسحب قواتها العاملة تحت راية الامم المتحدة ، واجتماع مجلس الامن مرتين لتدارس المشكل الكونغولي ، والى الاستعداد للجلوس على مائدة كازافوبو المستديرة .

على انه لايجمل بالمتتبع لاحداث القارة اهمال ما يجري حولها ، فاجتماع دول السوق الاروبية المشتركة بحضور دول الجامعة الفرنسية ، وتنصيب كينيدي ، ومسرحية الباخرة البرتغالية (سانتا ماريا) ، وقرار حاكم اوغندا باغلاق حدود هذه المحمية المتاخمة لكيفو ، وزيارة محمد ضياء الى لندن واكتشاف طبقات من الحديد فى النيجر ، ومطالب هوفويت بوانييه الجديدة ، كل هذه الاحداث اثرت تاثيرا واضحا فى اسلوب المعركة التحررية بافريقيا وبدلت كثيرا من المواقف ، وكشفت عن بعض النيات ، سواء فى نطاق القارة او على المستوى الدولي بشكل عام .

صناعة المستقبل

فلم يحظ أي مؤتمر فى تاريخ القارة الافريقية بمثل ما حظى به مؤتمر الدار البيضاء من اهتمام وتتبع من لدن الافارقة ودول العالم على اختلاف اهوائها . ولا يظهر ذلك فحسب فى البرقيات والرسائل التي تقاطرت عليه من كل مكان فى العالم ، وخاصة من الدول الافريقية ومن الهيئات الوطنية فى المناطق التي ما زالت خاضعة للنفوذ الاجنبي ، أو من حديث صحف العالم قاطبة عنه وتعاليق اذاعاته على سير اعماله ، وانما يتجلى بشكل خاص فى الرعب والفزع اللذين احدثهما فى نفوس المستعمرين واصحاب المصالح الحيوية والنفوذ السياسي فى القارة .

فقد كان واضحا منذ البداية ان مؤتمر الدار البيضاء الذي دعا اليه ملك المغرب محمد الخامس سوف يفتح من جديد وبروح ايجابية بعيدة من كل شائبة الملفات التي وضعتها امانة الامم المتحدة فى رفوف المحفوظات ، وسوف يتخلى عن موقف المتفرج فيما تشهده بعض انحاء القارة من تكالب خارجي ، وضغط يتراوح بين استعمال القوة المسلحة السافرة ، وبين تحريك العملاء للقضاء على المكاسب الوطنية ، وصيانة الامتيازات ، واضفاء صبغة المشروعية على عمليات اختلاسها ، وكذلك فيما تعانيه انحاء اخرى من ضروب التقتيل والابادة سعيا فى استمرار خضوعها للادارة الاجنبية ، وفيما تعانيه اقطار ثالثة من مروق حكامها ومناصرتهم العلنية للاستعمار الجديد بشكليه المادي والسياسي .

واذا كانت اهمية المؤتمر تتضح فى نقطتين بارزتين وهما حضور نوع من زعماء القارة واجتماعهم فى ظروف فاصلة فى حياتها ، فان نوعية النتائج التي ستتمخض عن المؤتمر والوسائل الموضوعة فى يد اقطابه لتنفيذ المقررات وبلورتها ماديا تحمل على تصور تحول خطير وجذري فى تاريخ الشعوب الافريقية فى تطورها السياسي والاجتماعي والقومي .

فمؤتمر الدار البيضاء قد نشر على طاولتـــه المستديرة جدولا للاعمال يمكن ان تمتاز فيه المشاكل العاجلة كقضية الكونغو والجزائر وروانداوراندي وموريطانيا والمشاكل الاخرى التي تحتاج الى اعمال تسلسلية جديدة) كمشاكل الميز العنصري والخطر الصهيوني وقضية الوحدة الافريقية وتنظيم المؤسسات المشتركة ، كما ان جلالة الملك قد وضع تحت انظار المؤتمرين ميثاقا افريقيا سيقضي الاخذ به الى ايجاد نقطة التقاء دائمة لجميع المجهودات التي تبذلها الدول المتحررة في مختلف الميادين .

ان المشاكل التي تدارسها مؤتمر القمة ، والروح التحررية التي كانت تحدو القادة في دراستهم تنتهي بنا الى تقرير الحقائق الاتية :

الحقيقة الاولى : هي ان المؤتمر اوجد اداة افريقية فعالة لحل ما يعترض القارة من مشاكل وما يواجهها من مشاغل وما يقتضيه بعثها من جهد وعمل .

والحقيقة الثانية : هي ان المؤتمر اوجد العدة الضرورية لمقاومة وتجنب الاستعمار السافر المباشر والاستعمار المستور المقنع ، سواء كانت تلك السترة هي الزعامات المزيفة التي يضمن وجودها استمرار التوجيه الخارجي ، او هي اصناف التبعية الاقتصادية او هي مظاهر الارتباط الفكري ، حتى لو كان ذلك الارتباط يبدو على شكل تسميات او انتحال اسم لغة الاستعمار .

والحقيقة الثالثة : هي ان مقرراته كانت بمثابة دواء ناجع لتحرير الشعوب الافريقية المصابة باحد الامراض الاستعمارية من « عقدة الخوف من الحرية » تلك العقدة التي حسب الاستعمار انه سيخلقها في نفس الافارقة اذا ما نجح في تحطيم شعب الكونغو وخنق التيار التحرري في رواندا اوراندي ، والحاق شعبي الانجولا والمزنبيق بقصة قانونية بالامة البرتغالية .

فالافارقة وقد نشرت امامهم مقررات مؤتمر القمة العظيم في الدار البيضاء اصبحوا بعيدين عن جو اليأس والقنوط ، وطهروا نفسيتهم من مركب النقص ومن شعور الخوف لا من الاستعمار فحسب ولكن من الحرية وتبعاتها ، وتاكدوا ان وراءهم كل شعوب افريقيا تسندهم في مطالبهم ، وتسندهم في عملهم لبناء الاستقلال وتحمل تبعاته وصيانته .

والحقيقة الرابعة : هي ان « دور الحكم » الذي كان يريد الاستعمار دائما ان يقوم به في افريقيا قد اسند الى الافارقة انفسهم ، فلم تعد المبادرة في يد جيش فرنسا او مظليي بلجيكا او اسطول بريطانيا لحل النزاعات بين المناطق الافريقية ، وللوقوف بين اطراف الصراع الداخلي في كل منطقة ، ذلك الصراع الذي تبتدعه عادة عبقرية المتدخلين آخر الامر ، وانما اصبحت هذه المبادرة في يد « حكم » افريقي صميم هو الجيش الافريقي الواحد المتحرر ، ذلك الحكم الذي يندفع بروح من حماية الوحدة الوطنية حماية لا غبار عليها ، وبروح من الحفاظ على السلام العالمي وابعاد شبح الحرب الباردة عن القارة الفتية .

ان هذه الحقائق العظيمة الايجابية تكون عاملا رئيسيا في تصفية الانعكاسات السيئة التي احدثتها الحوادث الاخيرة في القارة ، وخاصة في الكونغو ، عند الشعوب الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال او المتطلعة الى حريتها ، والتي غذتها ايضا مظاهر التاييد التي حظيت بها الاتجاهات الانفصالية في موريطانيا وكاساي الجنوبية وكاطانغا وغيرها في مؤتمر دول الجامعة الفرنسية الذين اجتمعوا في ابيدجان وبرازافيل فمؤتمر الدار البيضاء قد اظهر ان العقول الاليكترونية التي تسير من باريس وبروكسيل ولندن هي عقول لا تكونها دماء افريقيا ولا تتصف بصفة الاستجابة للارادة الافريقية ، وان المؤتمرات التي تلح على ان تتحدث بالفرنسية حتى لو كانت الشعوب التي تمثلها لا تنطق بتلك اللغة ولا بغيرها من لغات الاستعمار ، هي مؤتمرات استعمارية لحما ودما وعقلا ولسانا .

ولا بدع في ذلك ، فالاقطاب الذين وضعوا اللبنات الاولى في البناء الافريقي السليم نبعوا من صفوف الشعب الافريقي ، وعاشوا آلامه وتحملوا في سبيله السجون والمنافي والعذاب . اما مؤتمر ابيدجان وبرازافيل فقد ضم اناسا ربتهم الارساليات الدينية الاستعمارية وترعرعوا في احضان فرنسا وتعلموا في المدارس الخاصة وهيئوا معنويا للايمان بالحضارة والمجد الفرنسي ، واحتقار كل ما يمت الى افريقيا والافريقيين .

ولا يعني هذا التقابل ان هناك معسكرين في افريقيا احدهما متحرر والثاني منحرف ، فافريقيا بشعوبها وطاقاتها جبهة واحدة متراصة تقف وقفة رجل واحد في وجه التدخل والاستغلال والسمسرة .

وما مؤتمر الدار البيضاء العظيم سوى تفجير تدشيني لهذا التصميم الذي بدا يؤتي أكله سواء في الكونغو حيث قررت كتلة الدار البيضاء دعوة جيوشها من الكونغو ،او في الامم المتحدة حيث طلبت تلك الكتلة اجتماعا عاجلا لمجلس الامن لدراسة الوضعية في تلك البلاد بعد نقل الرئيس لومومبا الى كاطانغا .

من بوكافو الى انتيبي

اصدرت الادارة الاستعمارية البريطانية في اوغندا امرا باغلاق الحدود بين هذه المحمية وبين اقليم كيفو الذي تشرف عليه حكومة محلية تابعة لسلطات ستانفيل الشرعية ، ويشمل مفعول هذا الامر جميع الطرقات والمسالك المؤدية الى ذلك الاقليم ، كما ينص على وجوب اتخاذ جميع الوسائل لاقامة حاجز منيع من الاسلاك الشائكة ودوريات الخفر والالغام حتى يقف اي اتصال كيفما كان نطاقه ومداه بين المنطقتين .

وقد يتصور البعض ان السبب في هذا الاجراء الذي لم يسبق للادارة الانجليزية في اية مستعمرة ان لجأت اليه ، ولم تفكر في اتخاذه في مستعمرة هونغ كونغ مثلا عند اجتياح الثوار الصينيين لمجموع تراب الصين ، او عند تأزم الاوضاع بينها وبين اسبانيا حول مستعمرة جبل طارق ، قد يتصور البعض ان السبب في هذا الاجراء هو خوف المملكة المتحدة من ان تتهم من طرف دول العالم باستعمال تراب المحمية الاوغندية ضد دولة الكونغو ، او خوفها من ان تعمد بعض الدول الاخرى الى مطالبتها باعطاء الاستقلال الى اوغندا ، كما طولبت بذلك بلجيكا في مجلس الامن اخيرا بعد ان سجلت ادارتها الاستعمارية في رواندا اوروندي باستعمال المطارات والطرق من طرف عصابات العميل موبوتو التي حاولت ازاحة الحكومة الموالية للومومبا عن عاصمة بوكافو .

وربما تصور البعض الآخر ان السبب الذي الجأ بريطانيا الى تحريم الاتصال بين اوغندا وكيفو هو فرض نوع من الحصار على الاقليم الكونغولي انسجاما مع خطة موبوتو وكازافوبو الرامية الى تجويع السكان هناك ، وارغامهم على التزام الولاء لحكومة ليوبولد فيل .

ولكن مجرد تعميق بسيط للاوضاع الداخلية في اوغندا ، واطلاع سطحي على الاسلوب العجيب الذي تتبعه الادارة البريطانية في هذه المحمية الغنية وذات الموقع الهام والحضارة العريقة يوضحان امر هذه الاجراءات او هذه التدابير الوقائية على اصح تعبير .

فمحمية اوغندا هي اغنى مناطق افريقيا الشرقية البريطانية اذ تنتج نصف القطن واكثر من ثلاثة ارباع القهوة بالنسبة لمجموع المنطقة . وهي تضم سبعة ملايين من النسمات البشرية اي ربع سكان افريقيا الشرقية ، ولا تظهر اهمية هذا العدد الوفير من السكان في المجهود الاقتصادي او في استهلاك سلع الامبراطورية البريطانية حيث يتوفر الاوغندويون على سوية اجتماعية مناسبة ، وترتفع عندهم القدرة الشرائية ، ولكن يظهر ذلك في جانب آخر ذي طابع سياسي ، وهو توطن القبائل الشرقية الاصلية المهمة في تلك البلاد ، تلك القبائل التي يعترف بها سكان طانقانيكا ونياسالاند وكيفو بالدور القيادي ، ويرمونها بكثير من التقدير والاجلال .

ان هذه العوامل كلها تجعل المملكة المتحدة تصطنع اوضاعا معينة وتوجد توازنا بين الحركات والنزعات المختلفة تتمكن معها من ابقاء سيطرتها لا على اوغندا فحسب ، ولكن على المناطق المحيطة بها كذلك ، ومن الاستمرار الى جانب هذا في استغلال خيرات البلاد الفلاحية والمعدنية .

لقد حافظت بريطانيا بمهارة فائقة على هذا التوازن السياسي ، فهي من جهة ظلت محتفظة للممالك الاربع وخاصة لمملكة بوغندا التي يحكمها الكاباكا باوضاعها التشريعية الخاصة بها ، ومن جهة ثانية لم تقف في وجه رؤساء القبائل الذين يناوؤون تلك الممالك والذين يستمدون زعاماتهم من العصبية الجنسية في الداخل والخارج ، ومن جهة ثالثة سمحت باستمرار قيام الاحزاب الوطنية الثلاثة التي تشكل من ناحيتها سياسة ثالثة .

ان هذا التقابل بين الممالك التي تنادي بالحكم الفدرالي ورؤساء القبائل الذين يهدفون الى اقامة دولة متحدة مركزية والاحزاب الوطنية التي تعمل من اجل الاستقلال والمركزية معا جعل السير فريدريك كراوفورد الحاكم البريطاني حكما بين هذه القوات وجعل المفاوضات بين المملكة المتحدة وبين حكومات اوغندا تمنى دائما بالفشل لانها تتعثر دائما عند ما يتطرق البحث الى نظام الدولة المقبل .

وهذا التقابل من جهة اخرى مكن الاقليـــة الانجليزية التي لا تزيد على عشرة آلاف نسمة مـــن فرض نظام الميز العنصري على سبعة ملايين اوغندي ، وجعل الوزارة الاوغندية تضم سبعة من الاوروبيين وثلاثة من الافريقيين ، دون ان يتمكن هؤلاء من رفع عقيرتهم بالاحتجاج او حمل لواء المقاومة .

غير ان اعلان استقلال جمهورية الكونغو فى فاتح يونيه الماضي ، والتجاء كثير من الزعماء السياسيين والقبليين الى ليوبولد فيل دفعا بالحاكم البريطاني الى تجديد انعقاد المؤتمرات الدستورية فى لندن ، والى اصدار مرسوم يحدد موعد الانتخابات العامة فى شهر فبراير القادم . ولكن التطورات السياسية فى اوغندا كانت تسير بسرعة اكثر نتيجة للمساعدات الادبية والمادية التي اصبحت تقدمها حكومة لومومبا الى الاحزاب والقبائل ، مما اضطر ملك بوغندا – وهي احدى ممالك البلاد – الى المطالبة باستقلاله العاجل وارسال بعوثه الى الخارج ومفاوضيه الى لندن .

وحدث بعد ذلك الانقلاب الاستعماري المعروف فى الكونغو والقى القبض على الرئيس الشرعي السيد باتريس لومومبا ، وعادت القضية الاوغندية الى الرفوف مرة اخرى ، اما فى الداخل فقد تجدد الصراع بين الاحزاب وبين الحكومات الملكية الامر الذي جعل كرافورد يقول اخيرا : « بان اوغندا هي المحمية الوحيدة التي لا تريد الانفصال عن التاج البريطاني » .

وانقلب التوازن المصطنع مرة ثانية عندما اعلن انصار لومومبا تاسيس حكومتهم المركزية فى ستانلفيل ، وحرروا مقاطعة كيفو ، فقد انتقل زعماء اوغندا الى « بوكافو » وانهمكوا فى تنظيم ثورتهم ضد الاوضاع فى بلادهم ، ومن ثم لجات السلطات الاستعمارية فى محمية اوغندا الى اغلاق الحدود بالشكل الذي تقدم ، تفاديا لانتكاس الحالة فى مجموع افريقيا الشرقية .

وليس هذا هو المثال الوحيد الذي يمكن تقديمه عن الدور الذي يلعبه الكونغو المتحرر فى مقاومة الاستعمار والقضاء على استغلاله للخيرات الافريقية ، ومحو آثار الميز العنصري المباشر فى هذه الجهات من القارة ، فبمجرد اعلان استقلال الكونغو فى الصيف الماضي ، فتحت الجمهورية المتحررة بلادها فى وجه جميع الحركات الوطنية وشجعت الثوار الكبنديين على فتح مكتب لهم وسمحت للاجئين من الانغولا وروديسيا ونياسالاند وكينيا بالعمل على تحرير بلادهم من داخل اراضى الكونغو .

ولاشك ان حماس الاستعمار للاجهاز على حكومة لومومبا وتكالبه على مكتسباتها الوطنية كان من الدوافع اليهما الخوف من ان تجد ثورة افريقية شاملة وعارمة منطلقا لها من ليوبولد فيل لدك حصون الاستعماريين والعنصريين وخاصة بعد صدور قرارات مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الذي دعا لومومبا اليه قبل وقوع الانقلاب ضده .

واذا كانت الاوضاع حاليا تنقلب لصالح لومومبا، فهي توقظ ولا شك مخاوف الاستعمار من عودة التيار التحرري الى الانطلاق من الكونغو مجددا ، وتفسر لنا جميع الوسائل التي يتخذها الاستعمار لاخفات الصوت القوي الذي انبعث من ستانلفيل .

ماذا يجري فى دول الوفاق ؟

لم تطغ احداث الكونغو التي تميزت فى الشهر الماضي بنقل الرئيس الشرعي باتريس لومومبا من سجنه بتسفيل الى معتقل جديد يحرسه جنود بلجيكيون وقوات عميلهم تشومبي بكاطانكا ، وبالمؤامرات المتنوعة لفرض مؤتمر المائدة المستديرة والاستعدادات الدائبة من طرف الاستعمار للتطويح بحكومة اقليم كيفو الحرة وسلطات مانوتو بشمال كاطانقا التي تؤيد الرئيس لومومبا واجتماع مجلس الامن مرتين .

ولم تطغ كذلك انباء مؤتمر النساء الافريقيات الاسيويات ولا اخبار مؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية الذي انعقد فى القاهرة منذ يومين .

لم تطغ كل هذه الاحداث الهامة التي سجلها تاريخ القارة خلال الشهر عما وقع فى دويلات الوفاق ، سواء فى النطاق المحلي او على صعيد نشاطها الخارجي كمجموعة ضمن (الكومينوتي) .

فقد حملت اخبار جمهورية « النيجر » ان معارك دموية اكتست خطورة عامة وقعت بين طائفتين متعارضتين من السكان لم تلبث ان تحولت الى التحام بين الطائفتين من جهة وبين رجال الجيش والشرطة .

ورغم ان رواية الحادثة كما وردت فى البلاغات الرسمية الصادرة من نيامي عاصمة النيجر تحاول ان تفسرها بانها عبارة عن صراع محدود بين جماعة من الوثنيين الذين كانوا يقيمون قبيل الهجوم عليهم

احتفالا دينيا وكانوا يهمون بذبح أحد منهم تقربا من الآلهة ، وبين جماعة اخرى من المسلمين ارادت ان تحول دون اتمام هذا الاحتفال السري ، رغم رواية الحادثة على هذا الشكل ، فان البلاغ الرسمي نفسه الذي يتهم حزب (صوابا)بالاشتراك في الهجوم وكذلك فان الاعتقالات الواسعة النطاق التي تناولت بعض المسؤولين والمسيرين لهذا الحزب في طول البلاد وعرضها تحمل على كثير من التأمل ، وتجعل من المنطق تصديق الروايات التي أوردتها بعض الوكالات الاخبارية في غرب افريقيا .

فحزب (الصوابا) او حزب الصواب الاسلامي براسه السيد جيبوبكاري الذي كان نائبا لرئيس حكومة النيجر في عام 1958 ، وقد حمل هو وحزبه على الاستفتاء على الدستور الفرنسي ، وتعرض للاعتقال وحوكم في نيامي بعد سنة من الاستفتاء بتهمة العمل لصالح القاهرة في غرب افريقيا ، ولكن حملات الاضطهاد لم تضعف من قوة هذه الهيئة التي يلتف حولها الشعب المسلم في النيجر ، حتى كادت النيجر ان تنضم الى مالي في يناير 1960 لولا ان ابتدع هوفويت بوانييه لعبة « مجلس الوفاق » الذي كان ظاهره الاقتصاد وباطنه التحكم السياسي ، ذلك المجلس الذي ركز سلطته حماني الديوري واوجد هوة سحيقة بين السلطات والشعب .

وقد ظل حزب (صوابا) دائما مصدر قلق لمشاريع القادة « المتوافقين » خاصة وانه كان ينسق جهوده مع الهيئات المعارضة في كل من - الداهومي وفولتا العليا ومع اتحادات الشباب في ساحل العاج .

وكان للانحراف البين الذي حاد فيه زعماء ما يسمى (بالكومينوتي الافريقية) عن الجادة الوطنية في مؤتمري ابيدجان وبرازافيل ، وتاييدهم للاستعمار في الجزائر وموريطانيا والكونغو وجلوسهم في مائدة مستديرة مع تشومبي وكالونجي ومؤامراتهم على المعركة التحررية الافريقية في الامم المتحدة ، كان لذلك آثار في اندلاع الكفاح الشعبي في الجمهوريات الصغيرة بغرب افريقيا وخاصة في النيجر والداهومي ، ولعل ما وصل من اخبار في الآونة الاخيرة هو بداية مقاومة - سنسمع عنها تباعا في الايام القادمة .

هذه هي الحادثة الاولى : اما الحادثة الثانية فقد وقعت خلال المدة نفسها في جمهورية ساحل العاج ، زعيمة دول الوفاق واغنى دولة في غرب افريقيا ومقر هوفيت بوانييه قائد الكومينوتي الافريقية .

فقد داب زعماء القبائل في جنوب شرق ساحل العاج على كتابة العرائض والدعوة لاقامة اتحاد بين بلادهم وجمهورية غانا المتحررة ، وكان هوفيت بوانييه يلجأ تارة الى العنف لقبر هذه الحركة في مهدها وتارة اخرى الى اللين حتى تجد الهيئات المعارضة مجالا لتنسيق جهودها ضده .

وحدث منذ شهر تقريبا ان اعلن زعيم قبيلة (سانوي) القوية التي تمتد فروعها من حدود غانا الى مشارق ابيدجان ان قبيلته لا يمكن ان تستمر في الخضوع لسلطات ساحل العاج وانها انضمت لدولة غانا ، وهنا لم يجد هوفيت بوانييه بدا من الالتجاء الى وسيلتين .

الوسيلة الاولى هي تجريد حملة عسكرية من قوات الدرك المتنقل ضد هذه القبيلة ، ولا زالت المعارك تدور حتى الآن قرب بانجرفيل واسيني وابيدجان ، اي في المناطق المستنقعية والغابية التي يصعب فيها التنقل وتستحيل فيها الرؤية . واخبرت سلطات اكرا عن وصول مئات اللاجئين وجلهم من النساء والاطفال الذين تركوا ازواجهم واباءهم يقاتلون القوات النظامية العاجية .

والوسيلة الثانية التي لجأ اليها بوانييه كانت على الصعيد الخارجي ، كان الهدف منها تملق الهيئات المعارضة التي قد تستغل المتاعب الحاضرة للقيام بكفاح منسق ضد صنائع الاستعمار وهذه الوسيلة هي مطالبة فرنسا بمزيد من مظاهر السيادة حتى تصبح علاقات دول الوفاق مع الجمهورية الفرنسية شبيهة بعلاقات الكمرون بها .

اما الحادثة الثالثة فهي اكثر من الاولين عنفا وخطرا . فقد دخلت الهيئات المعارضة لموريس ياميقو في فولتا العليا ولبيرت مانا في الداهومي في حرب اهلية مع السلطات الحاكمة ، واذا كانت هذه الهيئات تعتمد في فولتا العليا على رجال القبائل الذين يسيرهم زعماء اشداء فانها في الداهومي تستند على احزاب منظمة متكافئة تمثل ثلثي اعضاء المجلس التشريعي ، وتناهض الحكومة مناهضة بعيدة الغور .

والعالم الخارجي لا يسمع الا القليل من المعارك التي تدور منذ بضعة اشهر في الداهومي وان كان يعلم ان الاحكام العرفية معلنة فيها وان هناك اتفاقا عسكريا يحضر حاليا لتمكين سلطات بورتونوفو من الاستعانة بجيوش الكومينوتي .

ان المجال هنا لايتسع لتعميق اسباب هذه الفورة العامة ضد حكام . « جمهوريات التفاهم » لانها كثيرة ومعقدة ولكن يبدو ان هناك بضعة عوامل رئيسية تشترك فيها تلك البلاد جميعا وهذه العوامل هي :

1 ــ خذلان المعركة التحررية الافريقية .

2 ــ الابقاء على اشكال الارتباط بفرنسا والتامين على مشاريع الاستعمار .

3 ــ المذهب الديني لرؤساء الدول .

4 ــ الوقوف في وجه مطامح الشعوب ومقاومة نفوذ زعماء التحرر الافارقة .

وفوق ذلك فقد كان للنجاحات المتوالية التي حققها الجانب المتحرر ، وخاصة تلك التي ظفرت بها شعوب مالي ونيجريا والطوغو ، والتيارالجارف المعادي للاستعمار الذي كان يبدو تارة على شكل حرب سافرة كما يقع في الكونغو والجزائر او شكل تساند واتحاد ــ كما اسفر عنه اجتماع كوناكري بين الشيخ احمد توري وقوامي نكرومة وموديبوكيتا من دراسة اسس الدولة الاتحادية التي تشمل هذه الاقطار ، او على شكل مؤتمرات لاقطاب الجانب المتحرر كمؤتمر الدار البيضاء الذي التزم فيه قادة افريقيا الحقيقيون بالعمل الايجابي الحاسم ، كان لهذه النجاحات ايضا مفعول ملائم وايجابي في الشعوب التي ارغمها حكامها على السير في تيار الاستعمار وفرضوا عليها قادة ربتهم فرنسا تربية خاصة وارضعتهم لبنها واعدتهم الكنيسة الكاتوليكية اعدادا نوعيا لقيادة الشعوب المسلمة غرب افريقيا .

واذا كان هوفيت بوانييه قد طار الى باريس في اواسط الشهر الماضي وطالب باستقلال دول الوفاق الكامل ، واذا كانت فرنسا قد اتفقت على ان يكون يوم الخامس من هذا الشهر (فبراير) موعدا لتحقيق هذه الرغبة فان الدافع الحقيقي لهذا الالحاح وذلك التساهل هو الخوف من انفجار عام لا تعلم نتائجه ، وان كان يعرف اتجاهه ومرماه .

غامبيا او موريطانيا الجديدة

عاد السيد مامادوديا ــ او محمد ضياء ــ رئيس حكومة السنغال الى دكار ، بعد زيارة قصيرة الى لندن اجتمع خلالها برئيس حكومة بريطانيا ووزيرخارجيتها ، وقد صرح عند وصوله لمطار « اورلي » بفرنسا ، بان المملكة المتحدة تنظر بعين الاعتبار الى ما تقوم به مجموعة الدول الافريقية التي اجتمعت في مؤتمر برازافيل ، وصرح كذلك بان محادثاته مع المسؤولين الانجليز ، تطرقت الى المشاكل الافريقية الكبرى كقضيتي الجزائر والكونغو والى المسائل التجارية والاقتصادية بما فيها تنشيط التجارة الخارجية بين الدول الافريقية والسوق الاروبية المشتركة .

ومن الضروري ، ان نذكر بمسألة اساسية، وهي الدافع الحقيقي لزيارة مامادوديا الى لندن . فرئيس حكومة السنغال ، وضع هدفا واحدا وهو الحصول على موافقة انجلترا على ضم غامبيا الى بلاده . واما المواضيع الاخرى فلم تكن تحتل نفس الاهتمام عند الرجل ، الا بقدر ما كانت تشكل عناصر لمساومة الانجليز وفتح شهيتهم للتنازل وحملهم على المطاوعة.

فما هي قضية غامبيا هذه ؟ وماذا تحتله من اهمية في نطاق العمل الداخلي والديبلوماسي السنغالي ؟ ثم ماذا يحيط بهذه القضية من اعتبارات يمكن ان تشير عند استقصائها الى التناقض الصارخ في نظرة دكار الى مسألة الوحدة الافريقية عامة ، ومسألة المطامع القومية المحدودة عند بعض الشعوب الافريقية بصفة خاصة ؟

ان غامبيا البريطانية بلادصغيرة لا تزيد مساحتها على سبعة آلاف كلمتر مربع ، وهي على صغرها تتكون من مستعمرة ، تشمل العاصمة (باتورست) ونواحيها ومن محمية تشمل المنطقة المتبقية ولا يزيد عدد سكان المجموع على 300 الف نسمة من بينهم اقلية اروبية وجالية من السنغال وغينيا البرتغالية .

وهذا الشريط الضيق الذي يرتفع عليه العلم البريطاني تحيط به اراضي جمهورية السنغال من جميع الجهات ، ما عدا منفذا ضيقا تطل به المستعمرة على المحيط الاطلسي .

وعلى هذا الاعتبار ، فيمكن القول بدون تردد بان غامبيا التي لا تعدو ان تكون عمالة صغيرة من عمالات السنغال ، قطعة لا يمكن تجريدها من الدولة المحيطة بها ، سيما وان تاريخهما قبل الاحتلال كان تاريخيا مشتركا ، كما ان وشيجة الجغرافيا والتماثل الاقتصادي لا يتسع فيهما التأويل .

ولكن ما بال الحكومة البريطانية تصر على ان تاخذ راي السكان الغامبيين قبل الخوض فى تحديد مصيرهم الدولي ؟ وما بال الرئيس مامادو ديا يعود من لندن ولا يحمل فى حقيبته غير التاكيد على الحل الذي يراه البريطانيون ؟ وما باله غير مرتاح لهذه النتيجة بالرغم من كل الاعتبارات التي ألمعنا اليها ؟

ان دراسة الوضع السياسي والعنصري فى هذا الشريط الضيق الواقع فى قلب السنغال تجعل المتسائل يوقن بان جواب حكومة المملكة المتحدة كان رفضا لبقا لوجهة نظر دكار ، وكان مسايرة ماهرة لبعض الآراء فى غامبيا نفسها .

فعلى الرغم من تماثل الارض الغامبية والسنغالية، وسيرهما معا فى نطاق تطور تاريخي وحضاري مشترك ، فان امرا واحدا يجب اخذه بعين الاعتبار ، وهو السكان الذين يقطنون هذه المستعمرة ، وهنا نكون وجها لوجه امام المتناقضات .

فالسكان فى غامبيا لا يختلفون اختلافا بينا عن ابناء عمومتهم فى الشمال والجنوب بقدر ما يختلفون عنهم فى اهوائهم وعواطفهم ونضجهم وثقافتهم .

فالقبائل التي توجد فى شمال نهر (غامبيا) تدعى (الماند) بينما فيما وراء حدود المستعمرة الشمالية تقطن قبائل تدعى (سيرير) ، اما فى الشرق والجنوب الشرقي فتسكن المستعمرة قبيلة (المالنكي) التي لا توجد الا فى غينيا . ولا يمكننا ان نتصور وقوع غامبيا فى حدود منطقتين بشريتين هامتين دون ان نتصور ظروفا من عدم الاستقرار ، تولد عند السكان خوفا متواصلا وسخطا على المجموع .

على ان المهم فى مصير المستعمرة هو انه لا يتعلق بهذه الناحية (الديموغرافية) فى الدرجة الاولى ولكنه يتعلق قبل كل شيء بعواطف سكانها .

ان الغامبيين يمتازون بنزوعهم الى التحرر ؛ بخلاف ما نعرفه عن قادة السنغال ، فالاحزاب على صفرها تعتنق مبادىء الحرية الافريقية البعيدة عن كل ارتباط ، وتؤمن بالوحدة الصادرة من حاجيات الافارقة وارادتهم ، ولا يجب ان ننسى دور الحركة النقابية فى غامبيا ، هذه الحركة التي تعتبر ان قائدها ورائدها هو الرئيس احمد توري اي انها فرع نشيط من فروع (اللوجيتان) .

ومن هنا يبدو واضحا ان سلوك قادة السنغال ، وتوجيهاتهم على المستوى الداخلي والافريقي والدولي، لا يرتاح لها شعب المستعمرة ، ولا تلقى عنده الوقع المستحسن .

وليس غريبا ان نجد علماء غامبيا ، ينادون بتغيير وضعيتين معا قبل تحقيق وحدة اقليمهم مع السنغال ، وضعيتهم كمستعمرة ، ووضعية جارتهم كدولة تخضع للتأثير الاجنبي ، ولزعامات منحرفة . .

والسؤال الموضوع الآن هو : ماذا تريد السنغال من وراء انضمام غامبيا اليها ؟ اما قادة دكار فيجيبون بيداهة ، بان ذلك يمليه التاريخ والجغرافيا والحيوية الاقتصادية ، واما قادة (باتورست) فيجيبون من جهتهم بان الداعي لذلك هو الرغبة فى التوسع وفى كسر الشركة التحررية الموجهة الى الوضع الداخلي فى جارتهم ، وفى الاستفادة من خيرات بلادهم .

لكن يجب ان ننسى بعض الاشياء الاخرى ، فغامبيا على صفرها تحتوي على تجهيزات حيوية اقتصادية مهمة ، بما فى ذلك شبكة من الطرق المرصوفة ومطار وميناء بحري ، وهذه التجهيزات حيوية لاقتصاديات تصف جمهورية السنغال .

اضف الى ذلك ان ضفاف نهر الغامبيا تضم خيرات هامة من الاراشيد والطروش والغابات وان المياه الاقليمية تتهافت عليها اسراب الاسماك التي تدخل فى صميم الصناعة الغذائية والتجارة الخارجية .

ان من شان العوامل السابقة ان تجعل مشكلة المستقبل السياسي لغامبيا تطرح بجدية والحاح من طرف السنغال ، التي تواجهها بحل واحد هو الضم ، وتجعلها تطرح من جهة اخرى كقضية يجب ان يؤخذ فيها راي اصحابها .

ان اخذ الراي هذا الذي تتشبث به الحكومة الانجليزية ، يذكرنا بموقفنا من انضمام شمال الكمرون الى جمهورية الكمرون او الى النيجريا ، فهي تعلم ان هذا الجزء الذي يشتد فيه نفوذ حزب (اتحاد شعوب الكمرون) المعادي لحكم احمد احيدجو سوف لا يقبل الانضمام الى وطنه الاصلي لهذا الاعتبار ، غير ان احيدجو ، وقد تنبه لعقدة المشكل ، فاعلن انه اذا

ما انضم الكمرون الشمالي فانه سيتبع سياســـة الحياد ، ويعامل قرنــا نفس المعاملة التي تلقاها منــه بقية الدول فى العالـــم .

فاذا كان الســنغاليون راغبون حقا فى ازالـــة الحدود التي اقامها الاستعمــار ضمن بلادهــم فمــا عليهم الا ان ينسجوا من الجامعة الفرنسية ، وينضموا للجانب المتحرر ، وعندئذ ستكون غامبيا سباقــة الى المطالبة بالانضمام اليهم .

بقي ان نذكر قادة السنغال فى هذه المناسبــة بموقفهم من قضية انضمام موريطانيا الى المغرب رغم معرفتهم ، لا بالوحدة البشرية والجغرافية والتاريخية بين المنطقتيــن فحسب ، ولكن برغبــة الموريطانييــن فوق ذلك فى الوحدة . وان نذكرهم باجتماعهم الــى تشومبي وكالونجي وموبوتو الذين يؤمنون على مشاريع تمزيق اوصال جمهورية الكونغــو .

ولكننا فى الوقت الذي نذكرهم بذلك نؤكد لهـم اننا سنقف الى جانبهم فى نضالهم من اجل الوحـدة الترابية لبلادهم ، لاننا لا يمكن ان نخـذل اي شعب يرغب فى التشطيب على تصاميم الاستعمار .

غير انه ليس من المعقـول الا نطلب من قــادة الســنغال ان يتخلوا عن تناقضاتهم ، او الا يجعلـــوا المبادىء البديهة موضع تأويــل (!) .

عجز العقل عن معرفة الحقائق الخفية

قال فريد الدين العطار : (ذهبنا وراء عالم العقل والفهم ، العقــل لا يجدي عليك ، انما ياتي اليك ، بما ياتي به غربال من بئر ، انما يحاول العقل ان يدرك فى هذا العالم ولكن هذا العقل الذي يفقد نفسه بجرعة من الخمر لا يقوى على المعرفة الالهية ، العقل اجبن من ان يرفع الحجاب ويسير قدما الى الحبيب ، انه اول الخلق ولكنه لم يروجه الحبيب قط ، انه لا يعــرف صورة نفسه وان عرف الافا من الاسرار ولا علم له بالجوهر الذي لا يحد لانه ضل عن نفسه .

ماوراء القضية الموريطانية

بقلم الاستاذ المهدي البرجالي

شهد العالم الدولي ـ في اليوم الثامن والعشرين من نونبر الماضي ـ ظاهرة سياسية دولية تدعو الى كثير من الاندهاش والاستغراب ، تلك هي الاعلان المهيأ من قبل عن قيام نظام دولي مستقل في موريطانيا المغربية وفصل هذا الاقليم عن الكيان المغربي الموحد بطريق الاعتماد على وسائل التحكم السياسي المباشر وتحت تأثير بعض الاعتبارات المصلحية الملحة التي تتباين والنهج القانوني السليم تباينا كبيرا .

والظاهرة ليست في الحقيقة جديدة من حيث النوع فالتاريخ التوسعي الاوربي حافل بنماذج كثيرة من هذا القبيل ولكنها ـ مع ذلك ـ تعتبر على جانب كبير من الغرابة والشذوذ نظرا لما تحويه في طواياها من خصائص غريبة على الفهم العادي لمجاري الامور في العالم الدولي وباعتبار ما يكتنفها من ملابسات سياسية ودولية مريبة وما تعبر عنه من انحرافات قانونية واخلاقية واضحة .

واطلاق مثل هذه الاوصاف على الظاهرة الانفصالية الماثلة في موريطانيا لايعكس ـ في الواقع مجرد الرغبة في التعبير والتشهير لان للمبادىء الميكيافيلية في ميدان العلاقات الدولية حدودا يجب ان تتوقف عندها ولا تتجاوزها الى غيرها والا كان من المعقول ان يعتبر ذلك مجرد غرابة وشذوذ وانحراف وغير ذلك ؛ من الصفات التي لها دورها في تحديد خصائص مثل هذه الموصوفات وتعيين مميزاتها ومعالمها .

واذا امعنا النظر قليلا في بعض النتائج السياسية والقانونية الدولية التي كان المفروض ان يفضي اليها الوضع القائم في موريطانيا وجدنا من المظاهر التي يتسم بها هذا الوضع ما يبيح الاعتقاد بانه ينطوي فعلا على كثير من عناصر الغرابة والشذوذ ، وذلك الى حد يفوق احيانا ما يمكن ان يلاحظ في بعض الاوضاع الانفصالية والتقسيمية من هذا النوع مما هو موجود في بعض البلدان الاخرى في افريقيا والقارة الاسيوية وغيرها . ولنتناول بعض الصور والامثلة التي لها دلالتها في هذا المقام : فقد سجلت السنة الماضية مثلا بروز ظاهرة انفصالية خطيرة في جمهورية الكونغو تمثل جانب منها في انشقاق اقليم كاطانكا وكاساي وامتيازهما عن الكيان الكنغوي الموحد كما تمثل جانب آخر في تعقد الاحوال العامة بهذا القطر وتبلورها في اشكال ملتوية تؤذن بوجود امكانيات انشقاقية اخرى اشد تشعبا واكثر اشكالا .

وفي منطقة الشرق الاقصى يستمر الهولانديون على وفائهم لسياسة التجزئة والتقسيم الموجهة ضد وحدة الارخبيل الاندونيسي ، ولا يزال لهذه السياسة دور اساسي في علاقاتهم العامة بشعب هذا الارخبيل ، ويتمثل ذلك في اصرارهم على الاحتفاظ باقليم ايريان الغربية الاندونيسية وتصميمهم على استبقاء هذا الاقليم في حالة انعزال عن الكيان القومي الاندونيسي ، ومنذ سنين عدة وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية كانت الوحدة القومية بايران هدفا لمؤامرات انفصالية خطيرة تركزت مظاهرها على الاخص في اقليم اذربيجان وكانت مجرد تمهيد لتنفيذ البرنامج التوسعي الضخم الذي كان يتبناه العهد الستاليني في الاتحاد السوفياتي والذي كان يستهدف اتخاذ الاراضي الايرانية مركز انطلاق لعمليات التسرب الى البحر الابيض المتوسط عن طريق التسلل الى العراق وسوريا وغيرهما ، وهناك بالطبع صور عديدة اخرى لمثل هذا النوع من التآمر الدولي لا تزال آثارها الفعلية المباشرة على سير الاحداث في

كثير من نواحي العالم وتوجد ولا شك اساسا لنشوء وتطور كثير من الاوضاع التقسيمة والانفصالية التي تعاني منها بعض الشعوب الصغيرة في آسيا وافريقيا وفي غير آسيا وافريقيا ايضا ، هذه الحالات التآمرية الملتوية هي بالطبع وليدة نفس الاسباب والعوامل التي قادت الحكومة الفرنسية الى احتضان العهد الحالي بموريطانيا ، وقد يبدو شيئا عاديا جدا ان يعمد الفرنسيون – في هذا الصدد – الى انتهاج نفس الاساليب والطرق التي سلكها الهولانديون في اندونيسيا والبلجيكيون في جمهورية الكونغو والروس في ايران واخرون في اقطار عديدة اخرى غير هذه ، الا ان الذي يبدو غير عادي كثيرا ان يلجأ الفرنسيون – فوق ذلك – الى توسيع مفهوم اللامشروعية التي يتسم بها الوضع الحالي بموريطانيا وذلك الى درجة تفوق في مداها حدود المفهوم العادي للتآمر وتتجاوز بكثير المستوى الذي بلغته بعض المناورات الدولية الاخرى في هذا الميدان ، ولناخذ قضية الاعتراف بالانظمة الانفصالية كمثال : فقد انقضى فعلا – على قيام العهد الانفصالي بكاطانكا ما يربو على السبعة شهور ، ومع ذلك فان الحكومة البلجيكية لم تجترىء لحد الآن على الاعتراف به اعترافا علنيا رسميا كما تقضي بذلك اصول المناهج الفرنسية في هذا المجال ، بل ان مجموع الوضع القائم بهذا الاقليم الكونغوي لا يزال – على العموم – متجمدا من الناحية الدبلوماسية والدولية ويكاد مستوى هذا التجمد يصل – في بعض الصور – الى درجة الاختناق الذاتي نتيجة العزلة القاسية التي تحيط بالنظام الانفصالي الكاطانكي والعراقيل القانونية والدولية التي تحول بينه وبين الانطلاق نحو الاهداف المتوخاة من قيامه ، وهكذا الشان بالنسبة لدولة المناجم التي يقودها «كالونجي» في اقليم «كاساي» وغير ذلك من الانظمة الانشقاقية بالكونغو التي تؤول اصولها في كثير من الحالات الى ايحاءات وتدخلات اجنبية سافرة او مبطنة ، على ان موقف الحكومة الهولاندية من قضية ايريان الغربية لا يختلف عن هذا كثيرا ، فالمسؤولون في لاهاي لم يقدموا لحد الآن على اتخاذ الخطوات المؤدية الى تحديد صبغة نهائية لهذا الاقليم الاينديتيسي ، كما انه لم يبد منهم بعد ما يوحي بامكانية تحويله الى كيان دولي قائم الذات يعرض على عضوية الامم المتحدة ويجتذب له المعترفون والمباركون من بين الاصدقاء والشركاء .

اما موقف الحكومة الفرنسية من موريطانيا فقد كان شيئا غير هذا ، وكان – الى ذلك – وكما ذكرنا من قبل – على جانب كبير من الغرابة والشذوذ وخاصة بالنسبة لبعض الاعتبارات التي تتصل بمبادىء القانون الدولي العام ، ووجه الغرابة في هذا الموقف لا ينحصر فيما يعبر عنه من تطاول على البديهيات القانونية الدولية كاصطناع الكيانات القومية قسرا واعتباطا ، واقتطاع الاراضي التابعة لدول مستقلة ناجزة السيادة واستخدامها مجالا لافتعال الانظمة السياسية المفروضة ووسيلة لاصطناع الوحدات الدولية غير الطبيعية ، ان وجه الغرابة لا ينحصر في هذا فقط ، بل انه يبدو اكثر من ذلك في اجتراء الحكومة الفرنسية على ارتكاب سوابق خطيرة في الحقل الدولي وذلك بمحاولتها اقحام موريطانيا على المحافل والمؤسسات الدولية الكبرى كهيئة الامم المتحدة وغيرها . لقد كان من الممكن ان يكون ترشيح موريطانيا لعضوية المنظمة الاممية اقل غرابة لو ان الوضع في هذا الاقليم المغربي كان يتوفر على بعض المقومات القانونية الاساسية التي تخوله ولو قليلا من مظاهر الشخصية الدولية الثابتة ، كان من الجائز حينئذ ان يكون هذا الترشيح دون مستوى الغرابة التي يتسم بها عمليا الآن ، لكن الشيء الاساسي الذي ينقص هذا الوضع بالفعل هو متانة القاعدة السياسية والقانونية التي اتخذت اساسا لاقامة بنيانه وتوفر المقومات الضرورية التي تجعله جديرا بالانتساب للامم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها وقادرا على تحمل مسؤوليات العضوية فيها واحترام المقتضيات الناتجة عن هذه العضوية ، فالحيز الارضي المقام عليه هذا النظام لا يزال دائما موضوع حقوق قومية ثابتة يلح في المطالبة بها ويعتبر كل بوادر التصرف فيها – بصورة من الصور – مظهر انتهاك لسيادته وبادرة مس خطيرة بكيانه ووحدته وعدوانا سافرا على حقوقه الدائمة ومقومات شخصيته الدولية الثابتة ، وتستند المطالبات المغربية – في هذا الصدد – على عدد وافر من المستندات والمراجع القانونية والتاريخية والواقعية التي لها قدر كبير من القيمة والاعتبار .

اما السكان – العنصر البشري للدولة – فان ولاءهم للوضع المصطنع في موريطانيا يعتبر – من وجهة النظر المغربية – في حكم المعدوم ، ولا يزال – من جهة اخرى – موضوع تشككات عميقة عند كثير من الحكومات الاجنبية كما دلت عليه مواقف عدد من وفود الدول غير الاطلسية اثناء مناقشة موضوع موريطانيا بالامم المتحدة ، ومن البديهي ان الولاء الذي يربط بين السكان والجهاز المسير للدولة والذي يعتبر ذا صلة مباشرة بموضوع الجنسية او الرعوية في اية دولة من الدول ، هذا الولاء يجب ان تتوفر مظاهره في كل كيان

دولي ثابت الشرعية لكي يكون لهذا الكيان ما يبـــرر وجوده الفعلي واستمراره القانوني وما يعطي لهذا الوجود والاستمرار مفهومهما العقلي الاصيل ، والى كل ذلـك فان الظروف السياسية التي رافقت نشوء العهد الحالي بموريطانيا وكانت اساسا لقيام المؤسسات التي يستند عليها وجوده ، هذه الظروف تعتبر دائما على درجـة عظيمة من الالتواء والغموض وتشكل مظهر تآمـــر سياسي واضح المعالم والمفهوم ، فعملية الاستفتاء التي اقحمها النظام الدوكولي منـذ سنتيـن علـى سكـان المستعمرات والمحميات والتي تعتبر من بين التدرجات السياسيـــة المؤديـة الـى قيـام الـوضـع الحالــي بموريطـانيـا ، هــذه العمليـــة لا تنطوي بالفعل على قيمة حقوقية ثابتـة لان الظروف التي تمت فيها لم تكن عادية ولا طبيعية ، بل انها كانت تشكل مجرد استمرار للجو الاستبدادي التحكمي الذي يميز جميع الاوضاع الاستعمارية في العالـم ، هذا الى ان صيغة هذا الاستفتاء لم تكن على شكل يكفي لاستيعاب جميع مضامين الاتجاه السياسي لشعب موريطانيـــا كالميل مثلا الى اعادة اقرار الوحدة المغربية عن طريـق الالتحام بين اجزاء المغرب في الشمال والجنوب ، وانعدام الشرعية بهذه الصورة لا يتمثل في عمليات الاستفتـاء تلك فقط ، بل يتجلى كذلك فيما اعقب تلك العملية من بوادر سياسية ودستورية مختلفة تهدف في جوهرهـا الى اقامة مؤسسات سياسية مفتعلة واصطناع كيـان دولي غير طبيعي وذلك عن طريق اجـراء انتخابـــات تشريعية مظهرية وتنصيب مجلس وطني صوري ووضع دستور قومـي مرتجـل .

هذا الى ان الوضع المقام في موريطانيـا عن طريق هذه الاساليب لا يفتأ يواجه من الاعتراضات على الصعيد الدولي ما يعتبر ذا دلالة خطيرة على مستقبله ووجوده ، لان الاعتراضات الموجهة لهذا الوضع لا تتنـاول فقـط مجرد سلوك القائمين عليه او تستهـدف مذاهبهـم واتجاهاتهم ، بل انها تمس الاسس الجوهرية التـي يرتكز عليها مبدأ وجوده والمعطيات القانونية التي تبرر نشوءه واستمراره .

وحالة موريطانيا في هذا الامر تماثل الحالة التي خلقها قيام الكيان الاسرائيلي في ارض فلسطين سنـة 1948 ، فقد صادر اليهود هم ايضا حيزا ارضيا تؤول ملكيته الى الغير ، واقاموا على هذا الحيز كيانا قوميـا مصطنعا لا يتمتع بأي قسط من التماسك والتجانـس وتسود وجوده حالة من التوتر الدولي الدائم تجعلـه عرضة للتهديد المباشر غير المنقطع، وقد كلف وجود هذا النظام الامن والاستقرار في الشرق الاوسط ثمنا باهظا ، بل ان الاحتكاكات المسلحة الناشئة عنه كادت تؤدي في كثير من الحالات الى اصابة السلام العالمي في الصميم ، مثل ما حدث غداة اقدام القوات الاسرائيلية على اجتياح سينا ، والمشادات الدولية الحادة التي اعقبت ذلـك والتي تمثل بعضها في الانـذار الموجه مـن طـرف السوفييت الى حكومات فرنسا والمملكة المتحـدة ، وتمثل بعضها الاخر في توتر العلائق بين امريكا وحلفائها الغربيين المهاجمين بشكل حاد وقوي المفعول . وواضح ان استمرار وجود الكيان الاسرائيلي – وارتباطات هذا الكيان بمشاكل التجزئات الاستعمارية – لن يكون مطلقا عامل تهدئة واستقرار في انحاء الوطن العربي ، بل انه يساعد بالعكس على استمرار وجود حالة التوتر المشحون بمختلف الامكانات الانفجارية التي لم تكن حملة سينـاء الا احدى الشرارات المنبعثة عنها ، وهكذا الامر بالنسبة للوضع القائم في موريطانيا المغربية ، فقد نشأ هـذا الوضع الغريب وظلال التآمر الدولي تكتنف جوانبـه وتضفي على وجوده اردية قاتمة ملؤها الغموض والريب والالتواء ، وبقدر ما يمتد به الوجود بقدر ما تـزداد عناصـر الافتعال والتناقـض والتضاد التي صاحبت نشوءه وضوحا وبروزا ، ولو ان الحالة التي خلقهـا هذا الوضع كانت تشكل مجرد معضلة قانونية نظرية لا تاثير لها على الصعيد العملي الذي يتصل فعليا بواقع العلاقات القائمة بين الدول والحكومات والمنظمـات العالمية وغيرها ، لو كانت الحالة القائمة في موريطانيـا بهذه المثابة لكان من الجائز ان تكون اقل اثارة لمشاعر الحذر والريب الذي يبثه وجودها في كثير من المحافل الدولية في العالم ، الا ان الواقع الذي تمثله هذه الحالة يتجلى في خطورة النتائج المنبثقة عنها ، هذه النتائـج التي ليست – في جوهر الامر – مطلق نظريات وفروض مجردة بل انها ذات فعالية حقيقية وتاثير قوي غيـر محدود ، ومن شانها ان تساهم في تحريف كثير مـن الحقائق والوقائع التاريخية والاجتماعية والجغرافية والانسانية الثابتة وتشكل اساسا للنيل من سلامـة ووحدة كيان قومي مرتكز على اساس هذه الحقائـق والوقائع وتفضي في النهاية الى فرض حالات سياسية ودولية معينة تنسجم مع وجهات النظر التوسعيـة العامة وتقوم على اساسها . ومن المؤكد ان استمـرار حالات من هذا النوع كالحالة القائمة في اقليم موريطانيا ليس مما يعين عادة على تدعيم عوامل الاستقرار العام في اية منطقة كان ذلك من مناطق العالم ، وليس هناك

ما يبيح الاعتقاد بان الحالة الموريطانية بمفردها قد تشذ عن هذه الحتمية التاريخية الصحيحة دائما، ان العكس هو الصحيح في الواقع ، فالقضية الموريطانية .. كغيرها من قضايا التجزئة المفروضة ـ من شانها ان تفضي الى قيام حالة قلقة وغير مستقرة في غرب الشفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط والصحراء الكبرى ؛ وليس من ريب في ان نشوء مثل هذه الحالة في قطاع دولي حساس وهام كقطاع الشمال الافريقي يفضي بالطبع الى احداث آثار بعيدة المفعول على سير العلاقات الدولية بين شعوبه او بعضها على الاقل وبين فرنسا والجهاز الدولي الضخم الذي يسبح في فلكها ، ومن الجائز جدا ان يؤدي كل ذلك الى انفتاح آفاق جديدة في رقعة النزاعات الدولية الحادة وقيام حالة اخرى من حالات الصراع الاقليمي المتواصل يماثل في ملابساته وتدخلاته العالمية ذلك النوع من التنازع الحاد والدائم الذي يوجد بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل .

وقد يبدو الحديث عن هذه الامكانيات الدولية الخطيرة التي ينطوي عليها استمرار الوضع الحالي بموريطانيا والصحراء الكبرى ـ قد يبدو الحديث عن ذلك بمثل هذه الصورة مكتسيا صبغة المبالغة والتهويل ولكن قليلا من التامل في الجوانب التي تحيط بنشاة وتطور كثير من الاوضاع المماثلة التي لا تفتا تساهم في تسميم اجواء الافق الدولي باستمرار كالوضع في الفيتنام وكوريا والمانيا وفلسطين وغيرها ـ ان قليلا من امعان النظر في مثل هذه الاوضاع غير الطبيعية قد يغني في الدلالة على ما يمكن ان تؤدي اليه عمليات التجزئة المصطنعة من صعوبات دولية معقدة على الرغم من اختلاف الظروف التي يمكن ان تكون سببا في وقوع هذه التجزئة ومن الجلي ان المقدمات التآمرية التي افضت الى عزل موريطانيا عن المغرب من شانها ان تقود الى ابراز نفس الصعوبات الدولية بكل ما تنطوي عليه من تشعب وتعقيد ، وما تحمله في تضاعيفها من تاثير على الاستقرار الدولي العام ؛ لان النتائج التي من الطبيعي ان تؤدي اليها هذه المقدمات في موريطانيا هي نفس النتائج التي كانت اساسا لخطورة الاحوال الدولية بالشرق الاقصى والشرق الاوسط واواسط اوربا نتيجة الاوضاع التقسيمية المفروضة على شعوب هذه المناطق ، واذا كانت الاحوال الحاضرة بموريطانيا تبدو في مظهر يوحي ببعض الهدوء النسبي فان الامكانيات الانفجارية التي تزخر بها القضية الموريطانية من شانها ان تعصف بهذا الهدوء وتاتي عليه في اي وقت من الاوقات ، والحق انه من الصعب تقدير هذه الامكانيات تقديرا صحيحا ودقيقا ، الا ان الذي يبدو مؤكدا ان النتائج التي قد تنبثق عنها لابد ان تكون على درجة من الاهمية والخطورة سواء على الصعيد القاري الافريقي او على الصعيد الاقليمي المتوسط ، ومن بين هذه النتائج :

1 ـ قيام حالة من التوتر السياسي والنفساني الناشيء عادة عن عمليات التجزئة والتقسيم في منطقة المغرب والصحراء مثل ما هو عليه الامر في كوريا والفيتنام والمانيا وغيرها .

2 ـ نشوء اوضاع في المنطقة تساعد ـ نتيجة لذلك ـ على وقوع مصادمات دولية حادة قد يكون لها تاثيرها على مستقبل العلاقات بيننا وبين الغرب .

3 ـ احتمال استفحال التدخل الدولي في موريطانيا واتساع نطاق التسربات الاجنبية الى الاقليم وما قد يعقب ذلك من آثار سيئة على حسن توازن العلاقات الدولية بافريقيا .

هذه بعض الامكانيات الخطيرة التي يحتضنها ـ بحق ـ وجود المشكلة الحالية بموريطانيا ، وظهور المشكلة بهذا الشكل الحاد وانطواؤها على هذه الامكانيات يعود في المقام الاول الى مصادمتها للروح الخيرة التي يجب ان تضبط جو العلاقات بين الامم والشعوب ومجافاتها للقيم المعنوية الخالدة التي ترتكز عليها مفاهيم الحرية الانسانية في مختلف الاقطار والامصار، على الرغم مما تبديه الديبلوماسية الفرنسية في هذا المضمار من كلف سطحي بمبدا حق تقرير المصير وحرص ظاهري على احترام مقتضياته بالنسبة للشعب المغربي في اقليم موريطانيا ، وهذا وجه آخر من اوجه التناقض والتهافت الذي تنطبع به المناهج الاستعمارية الفرنسية في هذا الميدان .

يتبع



للأستاذ عبد الله الجراري

بمناسبة ذكرى مرور الف ومائة سنة على تاسيس جامعة القرويين التي اقيمت حفلاتها يوم 10 اكتوبر سنة 1960 – تحركت قريحة الاستاذ الاخ محمد العابد الفاسي فحرر كتابه القيم « الخزانة العلمية بالمغرب » .

الكتاب الذي يعد الوحيد من نوعه رغم ان هناك مؤلفات عرضت لذكر بعض الخزائن العلمية بالمغرب في اقتضاب والمام لا يكاد يروي غلة المتطلع .

واذ كان الكتاب بهذا الاعتبار حيث عرض فيه الباحث الفاسي للمكتبة المغربية عبر مراحل التاريخ الاسلامي العلمي بالمغرب ، حبب الى الكاتب الجراري ان يتجول في جنبات بحوثه القيمة مقدرا جهود الاخ وعناءه الفردي الذي لا يحسه الا من وقف مواقفه وقلب صفحات النوادر والغرائب والخروم والجيزات المبعثرة داخل الرفوف كطعمة للارضة والعنكبوت ، رغبة في مشاركته ولو من بعيد . والامل ان لا يظن الاخ في هذه المشاركة تعقيبا عليه فيما كتب او ما يمس بمكانته العلمية لاسيما في امثال هذا الموضوع الجديد الذي يعد الاول في بابه والذي يستحق التقريظ والتقدير من الكتاب والباحثين . لذا فالجراري يهنىء الاستاذ الفاسي في محاولته البكر في الموضوع متمنيا له مزيد العون والنشاط .

وها هو الكاتب يجول في زوايا الخزانة تطلعا منه لاقتناء ما تحتويه من نفائس ودرر غالية كان الوصول اليها عسير المنال لولا الجهود، والجهود الجبارة الموفقة.

جاء في ص 5 ما قراتموه في بحث نشر في مجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط : ان معاوية بن ابي سفيان كانت له مكتبة بالشام ولها خدمة واعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه ، يجلس لذلك في اوقات معينة لا يتخطاها ، كما للمسعودي في مروج الذهب وغيره .

الذي تعطيه ظروف الاسلام الاولى وحداثتها المبكرة التي لم تكن تشتغل بسوى بثه في الصدور عن طريق الكتاب والسنة الشفاهية في كثير من الاحيان ، او الحكمة التي كان يتوفق اليها البعض ممن اوتوا فقها وفهما ان الاعتماد لم يكن على غير ما ذكر . وطبيعي ان زمان معاوية يعد غضا في هذا الباب لم تبزغ فيه شمس التاليف بالمعنى الواسع الذي ينجم عنه وجود مجلدات تحتوي معالم العلوم والفنون على اختلاف مشاربها وميول المعاصرين لها لحد يستدعي احداث مكتبة تضم اسفارها ومجلداتها .

فالتاليف لهذا العهد الرطيب لا زال لم يدرج على رجليه ، فاحرى ان تتكون فيه اجزاء ومجلدات ، لذا فالذي اراه في الموضوع ان المكتبة التي كانت لمعاوية بالشام لها قيمون واعوان يقومون بتقريبها من الخليفة واحضارها له في اوقات معينة ، انما هي الدفاتر المحتوية على سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد ، والظن ان هذا لا يستدعي مكتبة لها ما لها من القيمين والاعوان ، اللهم الا اذا اضيف اليها دواوين من قبله من الخلفاء كعمر، رضي الله عنه، او ان المكتبة كانت تضم فيما تضم من دفاتر مجلدات الخزائن الرومانية والفارسية وقتا كان فيه بعض من ذكر من الغلمان يشتغل علاوة على الترتيب والتنظيم بترجمتها وحل ما بها من تراتيب ادارية وسياسية لابد للدولة من معرفتها والسير على غرارها ان هي ارادت بلوغ الهدف المرغوب فيه لدى الدول والحكومات ، لاسيما وقد اصبحت الدولة الاسلامية تحتك بغيرها من دول العالم بما كان لها من فتوحات ، فترى من انظمتها وعاداتها ما لا يجد معه بدا من اقتباس محاسنة وادخال ما تساعد تعاليم الاسلام على ادخاله من عوائد . كل هذا يتحمله لفظ مكتبة في هذا العصر الاول للاسلام وان لم يرد في كلمة المسعودي، وانما الوارد فيه : الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها

والحروب والمكايد (رقم 425 ج 2 من مروج المسعودي على هامش نفح الطيب) وهي ما كثرت تستدعي طبعا خزانة ومكتبة تضمها . على ان حركة الكتاب وظهوره في الميدان الثقافي واتخاذ العدة لوضعه في رفوف اولية ما ابتدا ياخذ اتجاهه ونظامه الا ايام حفيد معاوية ـ خالد بن يزيد ـ الذي جعل يشتغل بترجمة الكتب العلمية والرياضية لحد اندفع فيه هو نفسه للتاليف والتصنيف فكتب عدة كتب منها كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير وكتاب وصيته لابنه في الصنعة .

اما العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وسير ومغازي وملاحم فما اتجه اليها علماؤنا واشتغلوا بالكتابة فيها الا اواسط القرن الثاني ، حتى ذكروا ان اول من اعتنى بالتدوين والتاليف فيها هو ابن جريج عبد الملك الرومي المتوفى سنة 150 كابي حنيفة .

وابن جريج اول الذين قد دونوا الكتب لنا تدوينا

وليسمح لي الاستاذ اذا ما حادثته في صفاء ، ذلك انه يورد احيانا تقوله عن بعض المجلات كنتيجة لمطالعاته فيقول (قرات في بحث منشور في مجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط وكنت قرات في احد أجزاء مجلة المجمع العلمي العربي نقلا عن تاريخ ابن فياض وما الى هذا ، ووجدت في أوراقي الخاصة نقلا عن بعض المصادر الى ان احصى الخ) قائلا للاخ تسهيلا على القارىء والمطالع لو انه بين سنة المجلة وشهرها وعددها رغبة في اهتداء الولوع باسرع ما يمكن لمراجعة الموضوع في المصدر ورغبة كذلك في التمكن من جهة ، وطلبا لمزيد الاتساع في الاستفادة من جهة اخرى ، مع احترام مطالعات الاخ ومباركة وعيه وثبات مذكرته .

ورد في ص 6 : في الوقت الذي اخلدنا فيه نحن اهل البلاد الى الكسل والانزواء الى آخر عباراته : ماله اثناء نشاط علماء الاستشراق وتقديرهم الثقافات وخدمتهم الثقافة الغربية الاندلسية فيما خدموا . نعم حضرة الاخ انها لظاهرة سيئة اذا ما ورد خاطرها على النفس وتفس الولوع على الاخص ، يكاد يتميز غيظا من عارها ، انها ورب الكعبة حالة مزرية قد لا تتورع عن الصاق العار بالكتاب والادباء المنزوين في بروجهم العاجية كنظارة ليس لهم من الاشراف الا الازدراء بالعاملين والمنتجين ، والذي اراه في دائرة الاخلاد والكسل انهما ظاهرتان ناشئتان عن اهمال الجهود وفقدان التشجيع لا ماديا ولا ادبيا . وتلك بحق الداهية الفاتنة والخانقة لذكاء الاذكياء ونبوغ النبغاء ، والعامل الاكبر على انزوائهم في زوايا الاهمال والخمول واقبارهم في النهاية ، وحرمان النشء النابت والاجيال القادمة من تجاربهم العلمية ومعارفهم الفنية ، هذا ما اراه كعامل قوي في فرض هذا الانزواء على الباحثين والموهوبين . وحتى اذا ما سمعنا مرة بتشجيع نبوغ تلقائي ظهر في اجواء البعث للقرائح فليس هو بالتشجيع المشرف الذي ينهض بالنبغاء الى المستوى اللائق كدافع لهم على المضي في الانتاج واستدرار ما بعصارة أفكارهم من مكنونات ذهنية ناهضة تشق الطريق أمام رواد الثقافة ورجالات الادب والكتاب منهم بمعنى اوسع وقتا لايذر للعاجزين عذرا يدفع بامثالهم للانزواء والانكماش .

وفي هذه الاثناء يبين الصبح لذي عينين ، وتقوم الحجة جلية واضحة على المخلدين للكسل والراحة ، ولا اطيل بالقارىء في الموضوع اذ المجال فيه افسح .

جاء في ص 7 والمسلمون الذين عرفوا تحبيس الفرس وءالات الحرب في الجهادعلى المسلمين لا نظن بهم انهم اهملوا تحبيس الكتب التي هي طريق المعرفة والارشاد الخ الفقرات . فبعدالاتفاقمع الاخ الكاتب على ما كان المسلمون يقومون به في تلك العصور المشرقةمن تعاون مثمر يسير حسبما توحي به تعاليم الاسلام الطيبة ، وبقطع النظر عن كون التاريخ يغفل ما يغفل من وقائع واحداث ، اصارحه ان الواقع في هذه الناحية بالنسبة للكتب والتاليف لا يساعد على القيام بمثل ما حبس لتركيز الوحدة وحماية البيضة اذ التصنيف في تلك العصور الاولى ما زال لم ياخذ طريقه الواسع فتكثر التقاييد والمؤلفات في غير ما مادة من مواد العصر مما يتطلب بطبيعة الحال خزائن ومكتبات ، اضف الى هذا ان الكتابة ومحسنيها في الظرف المتحدث عنه (اواخر القرن الثاني الهجري) كانوا قلة حيث الامية ضاربة اطنابها في الاوساط المسلمة خصوصا بالمغرب ، ثم ماذا عسى ان يرد على المغرب العربي من تراث الشرق وانتاج كتابه والتاليف لا يزال حديث عهد بأرضه وترابه ، اللهم الا ما كان من الكتاب العزيز ومصاحفه المقدسة ، اذ المسلمون في عهودهم الاولى كانوا قبل ان يتجردوا للتصنيف والتحرير وبعث القرائح للتسجيل والبحث في عمق وعاة للعلم حفاظا للمبادىء والتعاليم ، يضربون آكباد الابل لتلقيه واخذ معارفه بطريق المباشرة واحتكاك الافكار ، ووضع الحقائق على محك البحث الصحيح ، واستخلاص ما

وراء هذا الاتصال الخي من مسائل لولاه لبقيت تدور في عالم الاشتباك والالتباس وقد اكتنف جوانبهـــا الغموض ، اذا لا ضير يلحق هذا العصر اذا ما خلا من خزائن تضم ما يمكن ان يكون هيء من دفاتر علمية . على اننا قد نجتزيء مكتفين برجالات كانوا اوعيـــة للعلم ، خزائن حية تدب على ارجلها منشدين في نفس الوقت قول المعتز بذاكرته وقوة فطنته اللاقطة :

ليس بعلم ما حوى القمطر   ما العلم الا ما حواه الصدر

وجاء في ص 10 اثناء الحديث عن الخزانة ايام الموحدين ـــ وامتلات الخزانة بالمدونة وشروحها وكتاب النوادر والزيادات والمختصر الخ ، لا ادري ماذا يعنـي الاخ بالمختصر اهو مختصر عثمان بن الحاجب المسمى بمنتهى السول والامل ، وهو المتبادر ، او مختصر ابي الضياء خليل الفقهاء ، والاستاذ على بينة من ان هذا لم يخلق الا اواسط القرن الثامن الهجري الذي هو عصر الدولة المرينية الاخير . فكان بيان نوع المختصر مما يتأكد توضيحه اذ ليس في استطاعة كل قاريء ان يدرك تاريخ المختصرين ومصنفيهما ، على ان هنـاك مختصرات شتى في مختلف العلوم والفنون .

ووقع ص 26 ـــ اثناء الكلام عن الحركة العلميـة والثقافية ايام أبي عنان ـــ والاندية التي كانت تعقد في تلك المجالس المشرقة حيث تعرض لذلك ابو الوليـــد اسماعيل بن الاحمر في شرحه على بردة البوصيري ، ونقل بعض ذلك مختصره ابو زيد عبد الرحمن الجادري عند قول المديح :

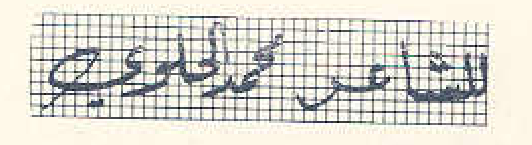
لعل رحمـة ربي حين يقسمهـا
تاتي على حسب العصيان في القسم

الذي عرفته عن تلك الحركة العلمية الدالة على ذهبية العصر المريني وعن المذاكرة التي كان محورها نفس بيت البوصيري انها وقعت بين يدي ابي سعيـد المريني جد ابي عنان فارس بن ابي الحسن ، وجـرت المذاكرة في المجلس السلطاني بحضور علية القوم مـــن ابناء المعرفة حول البيت حيث القى السلطان ابو سعيد سؤالا على الحاضرين مضمنه : كيف يصح ان تقسـم الرحمة على العاصين وحدهم ؟ وماذا سيكون حـظ المطيعين منها وقد وزعت على المجرمين ؟ فوجم الكل ولم يحيروا جوابا ، الا ما كان من ابي الوليد بن الاحمر ، وكان اصغر القوم ، فتجرد للجواب متسلحا بسـلاح الشجاعة الادبية التي يتوفر عليها الشباب ، والشباب في كل عصر رمز القوة والبطولة قائلا : ان طاعة المطيع واعماله البرية لتعد وحدها رحمة بل عيـن الرحمـة ، على ان قول الله تعالى في سورة الاعراف : (ورحمتي وسعت كل شيء) تتناول العاصين والمطيعين باوسع ما تحمله الرحمة . والقضيـة تعرض لها الاديب ابـو القاسم بن رضوان في كتابه السياسي المشتمل علـى اربعين بابا ـــ بسط فيه محاسن السلطان ابي سعيد وولده ابي الحسن ـــ كما اخبرني بذلك المؤرخ المرحوم محمد بن علي السلوي صاحب ادواح البستـــان ، والاتحاف والوجيز وغيرهما من التقاييد القيمـة . والنقل الذي ساقه الاخ عن مختصر الجادري لشرح ابي الوليد على البردة لا يمنع من تعدد القضية وتواطئها على نفس الموضوع الواحد ، انما كان بالود لو يتمم الاخ الحكاية ويسطر نتيجة ما دار في المجلس حول البيت من بحوث لتتبين القضيـة اكثر ويتجلى التوافق (لو كان) باجلى مظهر كتبرع منه وان نبا عن موضوع الخزانة ، والامل وطيد ان تجـود المعلمة المغربية وموسوعاتهـا الفنية بثرواتها المفرقة في المكتبات هنا وهناك بكتـاب ابي القاسم السياسي الـذي كان احد الحضور ليقع التقابل بين البحث الذي تناوله كل من الرجلين اللذين شاركا في الندوة .

وما دام القلم يتحدث عن الخزانة المرينية فلا بأس ان اسجل في هذا الهامش ما وجدته في اوراقي العلمية نقلا عن بعض المؤرخين الثقات : فعندما احتل البرتغال مدينة سبتة سنة 818 هـ (1416 م) ايام ابي سعيـد المريني المعروف بالصغير ـــ وجدبها ست عشرة خزانة علمية عمومية محتوية على المعدات والمرافق الضرورية لحفظها وعموميتها التي تتطلب في المقدمة القيميـــن ، فوجود هذا القدر من الخزائن العمومية باحدى مدن المغرب هو وحده برهان ساطع على ما كان للمعرفـة والثقافة من كبير العناية في الوسط المغربي . وليـس هذا بالغريب ان توجد هذه الثروة الثقافية بمدينـة سبتة المغربية ، وقد ضمت من رجالات الثقافة وشتى الميادين العلمية والفنية طوال عهودها المشرقة ما كان نتيجة لجهود وجهود بذر اصولها علماء افذاذ امثال ابن مرانة الفرضي السبتي ، وابن غازي الخطيـــب ، وابن عطاء الكاتب ، والقاضي عياض الذي افردهـــا بكتاب خاص « العيـون الستة » وابن رشيد صاحب الرحلة « ملء العيبة » وغيرهم كثير . وختاما اهنيء الاخ على تحريره القيم بعد الحاحي عليه في اعادة طبعه مرة اخرى رفعا لما وقع فيه من تشويه مطبعي قد يغلط الكثير ويعرقل نشاط المطالع المستفيد .



لا تسلني



لا تسلني عن شرودي ... واكتئابي وابتئاسي
لا تثر قصة حزن ... لم يفد فيه مواسي
لا تسلني اين لحني ... اين حبي ؟ اين كاسي ؟
كل هذا ضاع مني ... وخلت منه يدايا

آه منه كيف ضاعا !

لا تسلني كيف جفت ... زهرة العمر النضير
ومشى بي القدر العا ... تي الى هذا المصير
لا تسلني عن هوى ايـ ... ـنع في القلب الغرير
كل هذا ضاع مني ... وخلت منه يدايا

آه منه كيف ضاعا !

لا تسلني عن عشايا ... تي على نهر سبو
فوق بسط خضلات ... ماج فيها الذهب
والصبايا تتهادى ... بيننا او تثب
ليس للمفتون فيها ... مطمع او مهرب
كل هذا ضاع مني ... وخلت منه يدايا

آه منه كيف ضاعا !

ذكريات ليتها ولـ ... ـت كما ولى شبابي
لم تزدني غير شوق ... لمغانيها العذاب
اين ايامي التي لم ... تخل يوما من عذاب ؟!
كل هذا ضاع مني ... وخلت منه يدايا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

لا تسلني هـل درى الشـــا عـر مـن يقــرا شعـــره !
هـل تملى النـاس مغـــزاه وشمـــوا منـــه عطـــره ؟
ام رثـــوه وهـــو حـــي وبنـوا بـالهـــدم قبـــره
لا تسلني عـن مكـان الشـ ـعر فى عـالـــــم ذرة
كـل هـذا ضـاع منـــي وخلـت منـه يـدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

قل لهم ان يرجمـوا الشـــا عـر يـومـا بالحجـــارة
فلقـــد برغمهـــم يـــــو مـــا ليبنوهـــا منـــارة
لا تسلنـي كـم يعانـــى الـــ ـفكر مـن هـذي المـرارة
كـل هـذا غـاب عنـــي وخلـت منـه يـدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

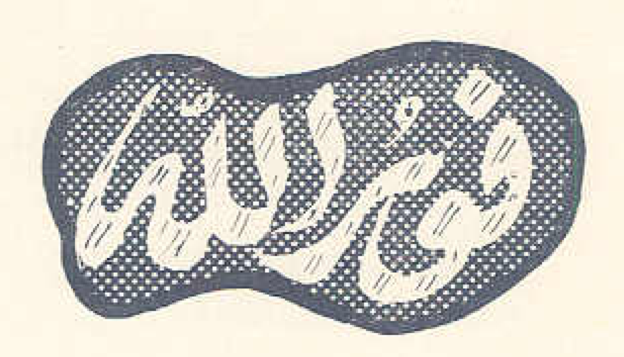
ان تكـن تعـرف مـــن انـــ ـت فقـل لي مـن انـــا
فلقـد الفيـت نفســـي فى مكـانـــي هـا هنـــا
اي شـيء كنـت قبـل العيـ ـش فى هـذي الدنـــى
سوف امضـي والـى ايـن ؟ ولم جئيت ي وما هذا العنا ؟
كـل هـذا غـاب عنـــي وخلـت منـه يـدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

لا تسلنـي وانـــا اجـــد ف فى اللجـــة وحـــدي
عن اخي الانسان هـل ضيـ ـع ام أوفـــى بعهــــدي ؟
ءاه كـــم لاقيـــت منـــ ـه وانـا فى ظـل مهـــدي
لا تسلنـي هـو مـــن آدم امـــن نســـل قـــرد !
كـل هـذا غـاب عنـــي وخلـــت منـه يـدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

خلني امشي علـى رغمـــي ومـــر انـــت ورايـــا
لا تسلنـي فانـا اخـــرس زمـــت شفتـايـــا
مغمـض العينيـن لا تعـــر ف قصـــدي قـدمـايـا
ـــر الـى اللـه فلن تخـــ ـشى الى الله الضــــلالا
وارح نفســـك لا تطـــ ـمح لســر لـن ينـــالا



للشاعر
أحمد البقالي

خبا النور فى « خلوة العابد » ... على « جبل العلم » الخالد
وكنت اراه على بعده ... من الخندق الموحش البارد

فيغمر بالانس قلبي الوحيد ... ويغمر بالدفء روحي الشريد
ويملأني بهجة وحبورا ... كأن لم اكن منه جد بعيد

خبا ، بعد ان كان لا يختفي ... مدى الليل ، حتى انفلاق الصباح
ولو لف لألاه كل ما ... على الارض من ظلمة ورياح

لقد حجبته زحوف السحاب ... وغطته اردية من ضباب
وضاعف ما كان من وحشة ... رقود الظبا ، وعواء الذئاب

وفى الفجر عاد الضياء البعيد ... الى الومض فى الخلوة النائية
فقد شمخت من خلال السحاب ... ذرى « جبل العلم » العالية

فعاد الى اعيني انسه ... وادفأ قلبي سناه الحبيب
واطربني ان اراه بعيدا ... ولكنه من فؤادي قريب

وفى افق مترع بالضياء ... تألقت الشهب كالنرجس
وقد شخصت اعين الكائنات ... الى ومضها الحالم المؤنس

ولكنها لم تكن كشعاع ... على « جبل العلم » الخالد
تغلغل فى القلب كالحب اذ ... تألق من « خلوة العابد »



سعت قومي احقافها الذاريات (x)   فغطت اخاديدها العاريات
وامطرها المزن غيثا هتونا   فروى مساربها الظامئات
والبسها سندسا ونضارا   واحيى مرابع كانت موات
وغنت بلابلها في رياض   يتعن بواحاتها المعشبات
فآسادها رتع في البراري   يطارد آرامها الشاردات
وفي الفجر حين يسيل الضياء   فيفرق انجمها الحالمات . .
تماوج الحانه في الفيافي   فتسمع اصداءها الكائنات
تماوج بين الربى والتلال   لترجع اصواتها للحياة
وفي خيمة اعين شاخصات   الى الشرق بالدمع مغرورقات
وقد راعهن جمال الوجود   فقمن لتمجيده بالصلاة
عيون ترى الله روحا وقلبا   فهن به ابدا مؤمنات
هم العرب اقوى الرجال قلوبا   واسبق قوم الى المكرمات
فكم ملأوا الارض عدلا   وكم صنعوا قبل من معجزات
فان طال نومهم فقدا   ستبقى عيونهم الساهرات
غدا سوف ترجع بعد اغتراب   طويل من السجن والظلمات
غدا سوف ننفض عن كتبنا   غبارا من الاعصر الخاليات
سنحيي معالمنا الدارسات   وتملا اسواقنا المقفرات
ونبني المدارس والجامعات   مشاعل للعلم والفلسفات
ونعطي انساننا كل شيء   من الخبز ، والماء ، للحريات
سنسبر اغوار هذي البحار   ونحصي لآلئها الغاليات
ونرسي قواعدنا في الفضاء   ونغزو كوكبة السائرات
ونخرس السنة الغرب عنا   باعمالنا الغر لا الثرثرات
فلن تغرب الشمس عن ارضنا   غدا او ننام عن الحادثات
سنصنع شمسا لنا لا تغيب   ومصلا يقاوم داء السبات

---

x) عصفت قومي روابيها العواصف .





حق للناي ان يردد لحنا   طيب الوقع ساحر الانغام

جاعلا منك يا مرابع اجدا   دي رمز العلا ودار مقام

فيك غصن الحياة يبدو نضيرا   مائدا من تعانق الانسام

يرفل القلب في جوانبه نشوا   ن بآل الهوى وكاس الغرام

ضاع منه الشذا وفاح ومنه   صاغت اللحن ريشة الرسام

قينة انت في الحياة وخود   تتباهى وتباة الالهام

ليس سحر الجمال فيك بغشيـ   ـه رباب الدجى وموج الظلام

انت نور في غيهب الليلة الدجـ   ـنا وشمس الضحى وبدر التمام

قد تفننت بسحر وجهك حور الـ   ـعين تبدي دلالها في ابتسام

وتعالى على محياك صبح الـ   ـحسن يرقى بدائع الاحكام

نفس منك ينفخ الروح حتى   في حنايا الاموات والاصنام

يضرم الحب في نفوس ظماء   لحياة مداها نيل المرام

ان توم العقود في جيدك النا   بت تسبي مواهب الاقوام

*

قد ازحت القناع عن بسمات   غرقت في تموج الاوهام

وازلت العقال عن كل لبـ   ـبات يشكو تزاحم الاسقام

فيك ائل يزهو وفيك قتاد   يتعالى وعاطر القلام

في منامي ويقظتي ، في صلاتي   في سجودي واثر كل سلام

ينبض القلب هاتفا بك يا ار   ض فانت المنى ودار الدوام

كل حو با اليك تهفو وتصبو   ترتجي منك نفحة الاجمام

هي تسعى لترتوي من كؤوس   مترعات بذكريات الوئام

نسمة ظمأى من مناها تجلت   ترشف الطل من فم الاكمام

بين شوق حبته اجنحة الوصـ   ـل ملاب الصفا وبين هيام

تلك ارض الفردوس فجرت الخـــا طر شعرا على مدى الايـــام
قد اعادت الى الوجود حياة فوقتهـا انامـل الاقـلام
وامدت من الهوى كل نفس جرعت قبل ذاك مر الفطـام
وحبت للفؤاد لما الاحـت فى حبير الثياب خير وسـام
حيث روض الوجود يوحي بشعر اطيب النفس من هديل الحمـام
وتمور الاردان بسم سكرى تنهل السحر من رحيق الغمـام
ان اغنان هذه الارض فيحـا خلدتهـا ماويـة الاعـوام
كم جنانا بدت تفيض بهـاء وجمالا سقاه غيم الرهـام
ومروجا غدت مدى الدهر مـأوى لضـروب الاطـلاء والارآم
وازاها رياض من ياسمين باسمات الثغـور والاكمـام
قل لمن خال اوجه الحسن شتى ليس سحرا تعـدد الارقـام !
ليس اشهى الى النفوس من حسن لاح يعلـو احفـة الاهضـام
كم غدا يذكر المكاء بهاهـا ذكر ذاك الامـام للاحـرام
كم اراه يرمـد فى حلل العهـ ـن يناجي ازاهر الاكمـام
كل طير بدا تأود يشدو راقصـا فى مراتع الاحـلام
يجعل القلب فى هباب وشوق جانحا دائما لاحلى بغـام

❊

تلـك تطوان غنى بها النيـ ـل وعزت مآثر الاهرام
قام يشدو ابو الهول حبـا لبهاهـا فى رقة وانسجـام
وذه فاس كالحمامة عنت فى ثياب الرؤى وبرد المنام
كاياة تسنى من الحسن والسحـ ـر فتكون الفؤاد بعد وحام
باقة السحر فى شمس مسرا هاتبا هي سنا رواء الانام

❊

تلك ارض تحن افئدة الشعـ ـب اليها وترتمي كالسهام
امة فى السخاء قد بلغت او ج المثاني ومنتهى الاكرام
تلك ارض الاباة حققت النصـ ـر لشعب يدين بالاسلام
تلك ارض الفطاحل امست تتقوى بعزمة الاقدام
لا تهاب العراك حتى ولو ٦ ل بها للحتوف والاعدام

وكفى سؤددا اذا كان للمغـ ـــرب صوت مضاه مثل الحسام

لا تنال السيوف منه وقدرا حت تعاني تفاحش الاثام

وكفى عزا ان تقدم كالبـ ـــم شباب البلاد نحو الامام

كيف لا والعقول تغزو فضاء الـ ـكون تبغي عريكة الاجرام

حاملا في يديه راية شعب ليس يخشى وراها سهم الحمام

يرتدي بذلة البطولة والصبـ ـر وروح الفدا وبرد الفخام

※

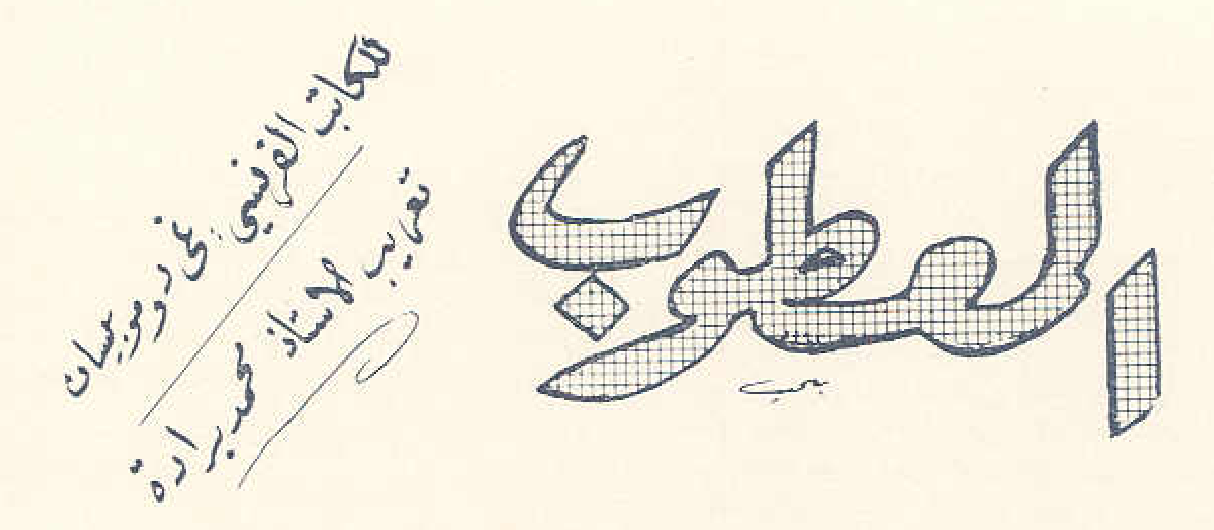
كل حرف من احرف المغرب الحـ ـــر لتابى ذراه اي انفصام

اي قول تضمن معنا ه غدا في القريض احلى كلام

صدق الشعر ان تقدم يطريـ ـه لما فيه من بها وتظام

قل لمن خال ان للحسن حدا ليس للسحر والبها من ختام

عن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق .



كي دوموباسان كاتب فرنسي ولد سنة 1850 وتوفي عام 1893 . من ابرز الادباء الذين بلوروا القصة القصيرة كفن ادبي ممتاز له خصائصه وامكانياته .

وقد كان في قصصه القصيرة يصور لقطات متباينة من الحياة في حيدة ودقة واهتمام بالجوانب الانسانية للنفس البشرية .

وهو في هذه الاقصوصة ، وان كان يلتزم الموضوعية في السرد والتمسك بالقالب الفني ، الا ان الايحاءات الثرة التي تغمرنا بها سطور القصة تجعلنا ندرك القيمة الانسانية لهذه اللقطة .

ركبت القطار وقعدت في ركن عربة فارغة من الركاب ثم اقفلت باب ديوان العربة آملا ان اظل وحيدا طيلة سفري لكن الباب فتح فجاة وسمعت صوتا يقول:

— خذ حذارك يا سيدي فاننا نوجد عند التقاء خطوط السكة الحديدية ، ودرج العربة مرتفع ، اجاب صوت آخر :

— لاتخش شيئا يا لوران فانني ساستعين بمقبض الباب. ثم اطل راس فوقه قبعة دائرية وامسكت يداه بالسيور الجلدية المعلقة في الباب ، وظهر جسم ضخم احدثت قدماه فرقعة عكاز فوق الدرج . وعندما دخل الرجل الى ديوان العربة لمحت قطعة من الخشب الاسود يبرز من فتحة رجل السروال ثم ظهر وجه من وراء هذا المسافر وساله :

— هل انت على ما يرام يا سيدي ؟

— نعم .

— هاهي لفائفك وعكازاك .

وسرعان ما صعد الى القطار خادم يشبه في سحنته جنديا عجوزا ، وكان يحمل بين ذراعيه كومة من الاشياء ملفوفة في اوراق سوداء وصفراء محكمة الربط ، ثم وضع ما كان يحمله في الشبكة التي توجد فوق رؤوس الركاب ، وضعها وهو يقول :

— هذا كل شيء يا سيدي .. الحلوى والدمية والطبل والبندقية وفطائر الكبد .

— حسن .

— سفر ميمون يا سيدي.

— شكرا يا لوران .

ثم اختفى الرجل وراء الباب وعدت لانظر الى جاري . كان في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره بالرغم من ان الشيب كان يجلل شعره . كان انيقا

ذا شارب كث مفرطا في البدانة حتى كأنه من اولئك الرجال النشيطين الاقوياء الذين تضطرهم عاهة ما الى التوقف عن نشاطهم . مسح جبهته وزفر ثم نظر الى مواجهة وهو يقول :

— هل يضايقك الدخان يا سيدي ؟

— ابدا ..

لم يكن صوته ونظراته ووجهه غرباء عني كانوا مألوفين لدي ، لكن اين ومتى ؟ اكيد انني قابلت هذا الشخص وتحادثت معه وصافحته وهذا يرجع الى تاريخ جد قديم ضاع وسط تلك الضبابة التي يحاول الفكر خلالها جاهدا ان يلتمس الذكريات وان يتتبعها وهي تنفلت من بين يديه كالاطياف الهاربة .

انه ايضا يتفحصني جادا مثل من يحاول تذكر شيء لا يعرفه تماما .

وتضايقت عينانا من هذه النظرات اللجوجة فأخذت تنظر صوب اتجاه آخر . ثم بعد بضع لحظات عادت لتلتقي من جديد بدافع من الارادة الغامضة التي كانت تحرك ذاكرتنا . وعندئذ قلت :

— يا سيدي عوضا عن ان نظل هكذا يراقب احدنا الآخر خفية افليس من الافضل ان نبحث معا عن المكان الذي تعارفنا فيه ؟

واجاب جاري بمنتهى اللطف :

— انك مصيب تماما فيما تقترحه .

وقمت بالتعريف بنفسي :

— اسمي هنري بونكلير اعمل قاضيا في المحكمة .

وتردد لحظة ثم قال وقد لونت صوته تلك الموجة التي ترافق توترات الفكر الشديدة :

— اه بالضبط .. لقد التقيت بك عند آل بوانسيل منذ امد طويل قبل نشوب الحرب .. لقد مرت على ذلك اثنتا عشرة سنة .

— نعم يا سيدي آه انك الضابط روفالبير ؟

— الامر كما تقول بل لقد اصبحت القائد روفالبير الى اليوم الذي فقدت فيه رجلاي مرة واحدة من جراء ضربة احدى المدافع .

واخذنا ننظر الى وجوه بعضنا بعد ان تم التعارف بيننا .. وعادت بي الذاكرة الى الايام التي عرفته فيها شابا رشيقا يقود حلقات الرقص بحمية محببة جعلتنا نطلق عليه لقب « الاعصار » . لكن وراء هذه الصورة الواضحة التي انتصبت في مخيلتي كان هناك شيء يطفو ويتراقص من غير تحديد .. قصة سمعتها عنه وسرعان ما نسيتها ؛ وهي من القصص التي نسمعها باهتمام اول الامر ولكنها لا تترك في الذهن سوى اثر خفيف . احسست ان عنصر الحب كان ممتزجا بهذه القصة ولكن لا شيء اكثر من ذلك ، انه احساس يشبه الرائحة التي تخلفها ارجل القنيصة على الارض فتنفذ الى انف كلب الصيد لتحركه الى البحث عنها .

وفي هذه الاثناء كانت الظلال تتضح في مخيلتي ، وانتصبت صورة فتاة امام عيناي ثم انبثق اسمها داخل راسي كالصاروخ عندما يشتعل : الآنسة ماندال . لقد تذكرت كل شيء الآن ، فعلا انها قصة حب ولكنها قصة عادية كانت تلك الفتاة تحب هذا الشاب عندما التقيت به وكان الحديث يدور حول زواجهما المنتظر ، وكان الشاب يظهر متعلقا بها وسعيدا بحبه لها . رفعت بصري الى الشبكة حيث كانت اللفائف التي حملها خادم جاري .. وتذكرت صوت الخادم وهو يقول :

« هذا كل شيء يا سيدي .. الحلوى والدمية والطبل والبندقية وفطائر الكبد » .

وعندئذ نسجت في مخيلتي خلال لحظة واحدة قصة تشبه جميع القصص التي قرأتها والتي يتزوج فيها الشاب احيانا خطيبته او الفتاة خطيبها رغم المصيبة الجسدية او المادية التي قد تحل باحدهما ، واذن فان هذا الجندي الذي عطب خلال الحرب قد وجد بعد رجوعه في الميدان الفتاة التي وهبته قلبها في انتظاره فتزوجته رغم عاهته .

وجدت هذا امرا جميلا لكنه عاديا مثلما نحكم بالبساطة على جميع انواع الوفاء ونهايات القصص والمسرحيات . انه يخيل الينا عندما نقرا او نستمع الى مثل هذه النماذج من المروءة والشهامة انه بامكاننا نحن ايضا ان نبذل تضحيات كبرى في حماس واندفاع رائع .. ولكن مزاجنا يتعكر بسرعة اذا طلب منا صديق محتاج — في اليوم التالي — ان نقرضه مقدارا من النقود .

— ان من الخطأ يا سيدي أن يذكر اسم السيدة فلوريل مقترنا باسمي .. فانني عند ما عدت من الحرب بدون رجلاي ، لم اقبل مطلقا ان تصبح زوجة لي . هل كان ذلك ممكنا ؟

ثم فجأة حل افتراض آخر اقل شاعرية واكثر واقعية محل الافتراض الاول .. لعله قد تزوجها قبل ذهابه الى الميدان وقبل ان تقطع رجلاه من جراء قذيفة المدفع .. وبعد ان عاد اضطرت الى ان تعتني به وتواسيه وتقف بجانب زوجها الذي ذهب قويا جميلا ورجع حطاما مقصوص الرجلين ، محكوما عليه باللاحركة ، وباجترار المشاعر السوداوية وتحمل البدانة المشينة .

هل هو سعيد او شقي ؟

لقد تملكتني رغبة قوية لمعرفة قصته او على الاقل الوقوف على اهم الخطوط التي تسمح لي بتخمين بقية الحلقات التي لا يمكنه الافضاء بها .

كنت اتحدث اليه وذهني سارح .. وكان حديثنا يتناول موضوعات تافهة .. وكانت عيناي مثبتة على الشبكة وانا اوزع الهدايا على النحو التالي :

« اذن فهو له ثلاثة اطفال : الحلوى سيخص بها زوجته ، والدمية لابنته الصغيرة ، والطبل والبندقية لاولاده .. وهذه الفطيرة سيتركها لنفسه . »

وفجأة سألته :

— هل انت اب يا سيدي ؟

— كلا ، لست ابا .

وشعرت بنفسي مضطربا كأنني ارتكبت عملا غير لائق واستأنفت قائلا :

— معذرة سيدي ، فقد ظننت ذلك عندما سمعت خادمك يتحدث عن اللعب ، كثيرا ما يتسرب الكلام الى آذاننا بالرغم منا . وابتسم وهو يقول :

— انه لم يكتب لي ان اتزوج .. لقد ظللت في مرحلة الخطوبة فاجبته وقد تذكرت فجأة :

— آه .. حقا لقد كنت تحمل خاتم الخطوبة عندما عرفتك .. وكانت خطيبتك الآنسة ماندل فيما اظن .

— بالضبط ، ان ذاكرتك ممتازة يا سيدي .

وتملكتني جراة متناهية فاضفت :

— نعم اظن ايضا انني سمعت ان الآنسة ماندل قد تزوجت السيد .. السيد ..

— السيد فلوريل .

— نعم هذا هو اسمه ، بل انني اتذكر ايضا انني سمعتهم يشيرون الى جرحك .

ونظرت اليه مواجهة فزاد احمرار وجهه العريض المحتقن ، ثم اجابني بحيوية وبحماس مفاجىء يشبه من يدافع عن قضية خاسرة سلفا ، وهو يعلم ذلك ولكنه يحاول ان يكسب الرأي العام الى جانبه :

الواقع يا سيدي اننا عند ما نتزوج لا نفعل ذلك من اجل التظاهر بالكرم ولكن لكي نحيا كل يوم وكل ساعة وكل ثانية الى جانب الشريك الذي نختاره ، فاذا كان هذا الشريك معطوبا مثلي فان الزواج يصبح حكما بالشقاء حتى الموت . اوه ، انا اعجب بكل التضحيات وبالاخلاص عندما يكون لهما حد .. ولكنني لا اقبل تخلي المراة عن العيشة الهنية التي كانت تؤملها وعن المسرات والاحلام لترضي اعجاب المتطلعين من الناس . انني عند ما اسمع فوق بلاط غرفتي دقات عكازاي ، والضجيج الشبيه بازيز الطاحونة الذي احدثه عند كل خطوة .. عندما اسمع ذلك يتملكني غيظ جارف اريد معه ان اخنق خادمي . هل تعتقد يا سيدي ان بامكاننا ان نطلب من امراة ان تتحمل ما لا تقدر نحن انفسنا على تحمله ؟ هل تظن ان اطراف ساقي جميلة ؟

انقطع جاري عن الكلام . ماذا اقول له ؟ لقد وجدته محقا فيما قال . فهل استطيع ان اوبخها او احتقرها هي التي لم تتزوجه ؟ كلا . لكن هذه النهاية المتمشية مع الواقع والحقيقة لم ترض طبيعتي الشاعرية فاحسست بما يشبه الخيبة . وفجأة سألته :

— هل للسيدة فلوريل اولاد ؟

— نعم ، لها بنت وطفلان .. وانا احمل هذه اللعب لهم ، انها وزوجها صديقاي الحميمان .

ثم دخل القطار الى محطة باريس ، كنت على وشك ان امد ذراعي الى الضابط المعطوب لاساعده على النزول عندما رايت يدين تمتدان نحوه من الباب المفتوح :

— مرحبا يا عزيزي ريفاليير

— آه ، يوم سعيد يا فلوريل .

ووراء الرجل كانت زوجته تبتسم مشرقة وهي ما تزال محتفظة بجمالها ، وتحرك اصابعها محيية الضابط والى جانبها طفلة تثب من الفرح ، وطفلان ينظران في لهفة الى الطبل والبندقية اللذين حملهما ابوهما .

وعندما نزل المعطوب الى الرصيف التف حوله الاطفال مقبلين .. ثم تحركوا منصرفين وقد امسكت الطفلة بابهام صديقها الكبير .

آفاق فنية

أخطاء في الفن الشعبي العربي المعاصر

ب . ك

في البلاد العربية الآن تيار ثقافي جديد يطور اليقظة الثقافية العربية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين وقبله بقليل وكانت امتداد للادب الكلاسيكي العربي القديم مع بعض الاندفاعات الرومانتيكية . هذا التيار الجديد يطرح شعارا حيويا وهو ان تكون الثقافة معبرة عن واقع الشعب (الثقافة في سبيل الحياة) .

وبطبيعة الحال فان الفنون العربية كفرع من الثقافة ، تتحمل نصيبها من مسؤولية التعبير عن الحياة والتقاليد الشعبية والتزام طريق التيار الجديد .

تقوم الآن محاولات عديدة في البلدان العربية من طرف الفنانين الملتزمين والانسانيين لاعطاء انتاجهم الملامح الشعبية سواء من حيث المضمون او الشكل.

ان هذه المحاولات وليدة شعور الفنان العربي باهمية الدور الذي تلعبه الجماهير الشعبية البسيطة في الحياة الاجتماعية والسياسية وتطوير العالم . ولاضطراره ان يجعل لفنه صفة الاحترام مادامت الشعارات الثقافية التي طرحتها التطورات الفكرية الايجابية للقرن العشرين قد اكدت ان الفن الذي يريد ان يحترم نفسه ويكون تعبيرا ايجابيا عن عصره ؛ عليه ان يحتضن ويساوق واقع الشعب في كل بيئة وجد فيها .

اما الفنون التي تختنق نفسها في تمجيد واقع فئات اجتماعية لها ؛ وليس لها دور تشييدي في بناء الحضارة الانسانية الحديثة ولا تعكس تقاليدها الطبقية السطحية روح التراب الوطني ، هذه الفنون عابرة ولن يكون لها اي امتداد تاريخي يذكر .

فالفنان العربي اذن اما عن اخلاص لروح الشعب او لاضطراره كفنان مسؤول للبحث عن آفاق محترمة لانتاجه ، قد بدا يقوم بمحاولات اولية لخلق فن مرتبط بالواقع الشعبي .

هذه المحاولات هي الآن في مرحلتها الجنينية ، الامر الذي يجعلها ترتكب اخطاء كثيرة ناتجة عن عدم فهم الفنان للمقومات الاصيلة للحياة الشعبية ، وهذا يجعلنا نلقي سؤالا ذا اهمية :

— ما هي العناصر التي يتوجب على الفنان العربي الاهتمام بها في حياة الشعب لتسجيلها في فنه ؟؟ .

ان الحياة الشعبية في اي بلد عربي بتنوعاتها ، تنوعات تفرضها الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي تحيط بها ، فهناك ظروف الجهل .. ومخلفات الانحطاط الحضاري السابق ومؤثرات الاستعمار والتخلف والاستغلال ؛ هذه الظروف نراها تنعكس في تقاليد اجتماعية سخيفة وخرافات وتعصب وعادات سيئة وطقوس رجعية ؛ تشكل صورة مؤلمة لجانب من حياة الشعب ، صورة لا يرضاها اي انسان شريف ، صورة يجب ان تزول .

وهناك ظروف المعاناة للتخلص من هذه المظاهر ، تتجسم في الكفاح البطولي الذي تمارسه الجماهير والعمل الشاق النبيل للقضاء على جهلها وتخلفها ؛ كفاح نجده في الريف والمدن والمصانع والحياة المنزلية. ولهذه الظروف جوانب من المرح الانساني نجدها في الاعياد والاهازيج الشعبية التي هي فواصل راحة بين اسطر الكفاح المستمر .

في فن التصوير ، رسامون عرب عديدون يتزايدون يوما بعد يوم .. يصورون لوحات عن مظاهر الحياة الشعبية ، فما هي المواضيع التي يختارونها غالبا ؟؟

ان حياة السوق مثلا كثيرا ما تثير الانتباه نظرا لكثرة الالوان وازدحام المشاهد وغناها وتنوع الحركات والحماس الحياتي الغالب عليها ، لقد صور السوق الشعبي كثيرا في فن الرسم العربي المعاصر ، لكن اغلب المقاطع التي اخذت له كانت مقاطع عامة تجمع المشهد بشموله مهملة تحليل الجزئيات الضرورية والتعبيرات الوجدانية للافراد وطابعهم الاجتماعي والطبقي ، بحيث يضيع معنى الحياة الشعبية للسوق كبحث عن الرزق ولقمة العيش ، لتصبح كمشاهد سياحية لازدحام سرابي غني الالوان ، وما يقال عن السوق يقال عن الاحياء الشعبية ايضا .

ان الرسامين العرب الذين يرتكبون خطأ كهذا يتأثرون الى حد ما بعقلية الرسامين الاوربيين الذين يلذ لهم تصوير الحياة الشعبية في الشرق ، لا من حيث مضمونها الوطني كحياة جماعات تكافح في سبيل لقمة العيش وتحسين اوضاعها المتردية ، ولكن من حيث خيالاتهم الملونة عن الشرق كارض الف ليلة وليلة وهارون الرشيد والاشعاعات اللذيذة والصحراء الجميلة وقافلة الجمال ذات الهوادج .

الرسام الاربي يرى السوق الشعبي كمشهد مجرد خيالي ، اما الجماعات كبشر يبيعون ويشترون ولهم واقع قومي وطبقي ، فامر لا يلتفت الى محتواه .

على هذا القياس ، قد يصور الرسام العربي من الحياة الشعبية ، الهابيل الفقراء وحمقى الشوارع والاضرحة وكانهم صورة عن الشعب ، وينسى العمال الكادحين والفلاحين المرهقين ، او يصور الجانب الخرافي من الحياة الشعبية كالمشعوذين ومروضي الثعابين ودراويش الزوايا الدينية والناس البسطاء يتبركون بقبور الاولياء .

وقد يلجأ بعضهم الى تصوير ملاك فلاحي كبير ظانا بانه يصور الحياة الفلاحية (التي يفترسها الاقطاع والاستغلال .) او عمال مرحين خارجين من المصنع بملابس نظيفة يضحكون ضحكات مفتعلة يتوهمها بينما حقيقة حياتهم في المصنع والمجتمع صورة للظلم وقسوة الحياة ، او متسولا بملابس جميلة الالوان .

لقد رأيت لوحة لرسام صور فيها الجنايني ، لكنه ترك الواقع الحقيقي لهذه الفئة من الناس وصور ارفع وارقى نموذج لها ، فكان الجنايني في الصورة يوحي باناقة ونظافة ولمعان ملابسه بانه من هؤلاء السعداء الذين يخدمون في قصور الاغنياء والسفارات الاجنبية . انها اخطاء كثيرة في التصوير الشعبي العربي الحديث ولعلها تكون وضوحا وتجسيما في فنون السينما والاغاني والموسيقى التي هي الاخرى تقوم بذات المحاولة الشعبية .

ان بعض الاغاني العربية تسمى شعبية ، لماذا ؟؟ لانها تحاكي الاصطلاحات العامية الدارجة في المدن ، ولا يلتقط منها الا نوع مفكك من الغزل المراهق الامي الذي لا يرتبط باية تقاليد قومية وانسانية للحب الرقيق الشريف الهادف لتكوين اسرة وانجاب اطفال واغناء المجتمع .

ان بعض اغاني (المطرب) فلان تسمى شعبية ، لكن مضمونها يحكي قصة رجل موله وعاشق لامرأة يتذلل لها ويدوس من اجلها على كرامته ورجولته ويتوسل اليها الا تقسو عليه وان تكف عن خيانته .

فهل الحياة الشعبية السليمة تحتوي على رجل من هذا النوع المنحل الرجولة المتدهور الشهامة ، وامرأة من هذا النوع وكانها المومس في تنقلها ودلالها بين الرجال ؟؟

ان الحياة الشعبية تحتوي طبعا على مظاهر للتحلل والفساد وفقدان القيم . لكن .. هل هذه هي المظاهر التي يجب ان يتغنى بها الفن الشعبي وكانها نماذج للظرف والجمال والحقيقة ؟؟ .

ولا شك ان كثيرا من الاغاني المغربية العصرية (الشعبية) تتخبط في ذات تلك الانحرافات ، لاسيما عندما نسمع اغنية كلامها شعبي ولحنها اوربي راقص ان اغلب منتجات الغناء العربي الحديث الذي يقال عنه بانه شعبي ، غناء لا يرى من الحياة الشعبية سوى وجهها المزيف السلبي الذي يجب التخلص منه لانه من نتائج جهل وفقر وشقاء الشعب .

لعل النموذج السليم للغناء الشعبي الحقيقي هو ما تغنيه فيروز احيانا .. والفولكلور اللبناني والاغاني

الشعبية الاصيلة فى البلدان العربية ، والفولكلـــور المغربي، تلك الانواع التي تشعرنا بالتقاليد والروح الشعبية الصافية ، سواء فى حب الانسان للمراة او للارض او للحياة .

والسينما العربية التي تتركز حاليا فى نشاط السينما المصرية لها نصيب وافر ومؤلم فى هـذه الاخطاء . ففي المدة الاخيرة شاعت (موضة) الافلام الشعبية ، لكننا فى اغلب هذا النوع من الافلام ، نشاهد الافاقين والمجرمين والسكارى والنشالين والمقاهي التي هي اوكار للفساد الخلقي وتعاطي المخدرات ، لا ينكر الانسان كون الشعب البسيط فى المدن يمارس فى قطاعات من حياته هذا الواقع المظلم . لكن هل هي حياة الشعب الحقيقية ؟ هل الافاقون والسكارى نماذج حية للشعب ؟ واين الجماهير الفقيرة الباحثة عن لقمة عيشها بشرف وبساطة ؟ ؟ والتي بدل اللجوء الى النشل والسرقة كحل للفقر تفكر فى النضال الجماعي ضد الظلم والفقر .

ان حياة الافاقين والغوغاء فى المدن هي مظهر مثير سطحي للحياة الشعبية تثير حماس وخيال بعض مرضى العقول . فالسينما المصرية عندما تعتقد مثلا انها تقدم بهذه الافلام (المثيرة) صورة لحياة الشعب ، تشبه السينما الامريكية وهي تقدم لنا افلام اللصوص من رعاة البقر (كاوبوي) على اساس انها افلام شعبية امريكية ايضا .

ان الحديث السابق كان فى جملته عن اخطاء المحاولات الشعبية فى الفن ، من حيث اختيار المضمون

فكثيرا من الرسامين العرب يصورون مشاهد من الحياة الشعبية العربية بالوان وتكنيك اوربي متأثرين بالاتجاهات التي تظهر فى باريز وروما ونيويورك ، فيكون اسلوب التنفيذ غريبا عن روح الموضوع الشعبي لبلادهم .

وفى الموسيقى والاغاني نسمع كلاما شعبيا مع نغمات موسيقية فوضوية غربية راقصة .

وفى السينما ، اغلب الافلام العربية التي يزعم انها شعبية ، متأثرة فى اخراجها واسلوب تنفيذها باسلوب الافلام البوليسية الامريكية .

فبالاضافة الى سطحية الموضوع الشعبي نرى التناقض الصارخ بين طبيعة المضمون وطبيعة الاسلوب .

والتناقض بين الشكل والمضمون يقع فيه احيانا حتى الذين ينجحون فى اختيار موضوع شعبي سليم لانتاجهم الفني .

ان ازالة هذا التناقض من السهولة بمكان ، لان الفنون الشعبية التقليدية العربية العريقة باصالتها وتعبيرها المباشر عن طبيعة البيئة ، توفر للفنانين جميعا التقنية الوطنية القومية لمواضيعهم عن حياة شعوبهم ، والاخذ بها يحررهم من التبعية للذوق والتقنية الاجنبية .

تلك نماذج مختصرة وسريعة ، عن اخطاء وانحرافات المحاولات الشعبية فى الفن العربي المعاصر ، حيث لا يؤخذ من الحياة الشعبية سوى القطاعات السياحية او الخرافية او السطحية التافهة الزائلة .

واذا كانت هذه الاخطاء تتفاقم الآن الى حد مؤلم بحكم المرحلة الجنينية التي يجتازها الفن الشعبي العربي الحديث ، فان هناك النقيض التصحيحي لهذا الاتجاه الخاطيء كما ذكرت آنفا ، هناك الاتجاه الشعبي السليم الذي ينمو بعمق وقوة ويصارع الاول ، يقوده فنانون واعون لخصائص الواقع الشعبي كواقع عمل وكفاح ومعاناة ونضال دائب ، واقع افراد بسطاء شرفاء يبحثون عن الرزق والسلام والتحرر ، واقع تقاليد قومية حضارية وعواطف انسانية وفولكلور يفيض بالنبل والصفاء الوطني وجمال مرتبط بروح الارض .

ان الاغاني (الشعبية) المزيفة المنحلة التي لا تربطها بالتقاليد الموسيقية الشعبية اية صلة ، تنمو الى جانبها اغان يستروح منها الانسان عبير الارض والوطن ، ومحاولات فى الموسيقى الكلاسيكية السيمفونية تستمد عناصرها من الحان واهازيج الفلاحين . والرسوم الحديثة التي لا ترى من الشعب الا مشعوذيه وخرافاته تنمو الى جانبها محاولات فى الرسم تعكس الواقع الحقيقي للشعب ، بل ان هذه المحاولات لا تتورع حتى عن التعرض السلبي للشعب ولكن بروح نقدية تحليلية واعية تؤكد ان الخرافات والجهل ليست خصائص فطرية فى الجماهير ولا من صنعها وانما انعكاسات للظلم والاستغلال الجاثم على حياتها ، فبامكان الفن الشعبي المخلص التوجه الى القيم النظيفة والرديئة فى الحياة الشعبية شرط معالجة كل منهما بما يلائمها من تبجيل وتقديس او نقد علمي .

ولقد رأينا في السينما العربية محاولات شعبية جدية ، لكنها قليلة جدا بالقياس الى ما هو سائد .

ان الغلبة بطبيعة الحال في هذا الصراع الايديولوجي ، هي للفن الشعبي السليم ، لان الصدق والوعي والذكاء والنضوج هي العناصر المنتصرة في نزاع البقاء ما دام البقاء للاصلح .

بقيت ملاحظة .. وهي ان ضمان النجاح السريع الواسع المدى الجذري النتائج للفن الشعبي السليم يستلزم خلق مجموعات واسعة من فنانين ينبعون من صميم الشعب ويتحسون خصائصه ومزاياه وآلامه الجمالية، اي من ابناء العمال والفلاحين وكل الطبقات المناضلة في احياء المدن الفقيرة .

لان اكثر اخطاء وانحرافات الفن الشعبي العربي الحديث (بغض النظر عن المرحلة الجنينية) ناتجة عن كون غالبية الفنانين الممارسين لهذه المواضيع من اصل بعيد عن واقع الشعب . دفعتهم انسانيتهم ونقاء ضميرهم ووطنيتهم (والبعض انتهازيتهم) للحماس للمواضيع الشعبية ، فكان للفنان الانفعال والنية الطيبة لكن كان ينقصه النضوج والشعور الشعبي الفطري الذي يقود الفنان الى المزايا الحقيقية للشعب .

ان خلق مجموعات كبيرة من فنانين تتفتح عنهم القاعدة الشعبية يوجب بطبيعة الحال اتاحة المجال للشعب كي يعلم ابناءه ويجد لهم مكانا في المدارس ويتمتع بمجانية التعليم في جميع المراحل الدراسية ، يوجب تحسين ظروف حياته وزيادة اجور المستخدمين وانعاش الفلاحين وتخفيض الضرائب والاسعار ، اي تعميم الاوضاع الديموقراطية التي تمكن الشعب من القضاء على مخلفات الماضي ورفع مستوى حياته المعيشية ، والحقيقة ان الشعب الفني السليم لا يمكنه ان يتنفس بسهولة وينمو ويتكامل بسرعة الا في ظل اوضاع اقتصادية واجتماعية تكون لصالح الشعب .

عمل بعيد عن الاخلاق

« ... فمن طبيعة الفاكهة مثلا ان تخرج من زهرتها ثم تنمو وتنضج ثم تسقط نواها على الارض ليخرج من كل نواة شجرة جديدة ، فاذا قطف الانسان هذه الشجرة قبل ان يستتم نضجها فان عمله هذا يعد بعيدا على الاخلاق لانه يمنع النواء التي لم يتم نموها ونضجها بعد من ان تحقق غايتها في الوجود ، وذلك اخراج شجرة من نسلها »

ابن طفيل « حي بن يقظان »



في المغـــرب :

كان من القرارات التي اتخذهـا مؤتمر القمـة بالدار البيضاء قرار يدعو الدول الاعضاء وما قد ينضم اليها من الدول الافريقية ، الى انشاء لجان لتنسيـق مختلف المرافق العامة من مادية وادبية للدول الاعضاء. ومن هذه اللجان لجنة ثقافية تجتمع دوريا ، ويمثل كل دولة عضو فيها الوزير المختص بشـؤون الثقافـة والتعليـم فى حكومتها ، الا ان يضطر فى الانابة عنـه لعائق لم يجد منه مناصا ، وستكون مهمة هذه اللجنة تنسيق النشاط الثقافي للدول الاعضاء وتوجيهه وجهة تجعل تطوراته مراحل فى سبيل انشاء ثقافة افريقيـة موحـدة .

وقد يبدو هذا القرار على جانب من الغرابة ، فدول افريقيا السوداء تقوم كل واحدة منها فى شعب تختلف لهجات ابنائه وتتعدد طبقا لاختلاف وتعدد قبائلهـم ، حتى لتبلغ فى بعض هذه الشعوب عشرات ، وقد تتجاوز المائة ، ثم ان الاصول الثقافية للشعوب الافريقية ـ اذا اعتبرت على ضوء اوضاعها الفكرية واللغوية الراهنة ـ تتغاير تغايرا جوهريا فى بعـض جوانبهـا وتختلف فى جوانب اخرى اختلافات متفاوتة الاعمـاق والابعـاد ، نتيجة لتكون اجيالها الراهنة على ايدي دول مختلفـة الاجناس والاديان والسيـاسـات بما فيها السياسـات التعليمية والاساليب الفكرية والحضارية ، ثم لاختلاف بعض الشعوب الافريقية ذات الاصالة الحضارية بما لا تزال تحتفظ به من تراث حضاري وفكري مع الـدول التي كانت او لا تزال تسيطر عليهـا .

وقد يبدو كان الآثار الفكرية التي تركتها الدول المسيطرة سابقا فى تلك الشعوب هـي المهيمنـة على تكييف وتوجيه مستقبلها الثقافي ، ويلوح ان هـذا هو الراي او الامل الذي يلح على تقديرات تلك الـدول ذات السيطرة السابقة على افريقيـا ، والواقـع ان مجموع المظاهر الغامرة للمحيط الفكري فى معظـم الشعوب الافريقية ، يغري بترجيح هذا الاعتبار .

ولكن عاملا آخرا اذا اثير فى الاذهـان ووضـع فى المقام الذي يستحقه عند تقدير العوامـل الموجهـة والمكيفة للمستقبل الافريقي الثقافي يزيد مـن هـذا الاعتبار الكثير من الاغراء بترجيحه ، ذلك بان الفترة التي لابست فيها الدول الاوربية افريقيـا وفرضت عليها سيطرتها لم تستطع عمليا ان تعطـي لافريقيـا ـ وجدانيا على الاقل ـ الطابع الاوربي ، وآيـة ذلـك انه ما من شعب احرز استقلالـه الا واخـذ يبتعـد بسرعة ـ وجدانيا على الاقل ـ عن الدولة الاوربيـة التي كانت تسيطر عليه ، ومن الواضح اننا لا نعنـي بالشعوب الافريقية اولئك السكان المنحدريـن مـن اصول اوروبية صريحة او هجينة ، ولئن كان النفـور الملحوظ اليوم لا يزال سياسيا فى اغلب الحالات فانـه من غير شك لا يصدر عن معادلات مادية بقدر ما يصدر عن خلجات نفسية ، وهذا يعني بالصريح الواضـح الواقعي ، ان فترة الخضوع الافريقي لاوربا على طولها لم تستطع ان تحدث تجاوبا ولا تهادنـا بين نفـوس الاوربيين على الرغم من الارساليات التبشيرية التي افلحت على مستويات متفاوتة فى اجتذاب مجموعـات من الافريقيين الى المسيحية ، وفى هذه النقطة بالذات يستطيـع الراصـد ان يلاحـظ بدهشـة باهـرة ان الاستجابة للدعوة المسيحيـة علـى اختلاف مـذاهب الداعين اليها كانت فى الاغلب الغالب من امرها استجابة من اتباع الوثنيات البدائية ، اما الذين اتصلوا بالاسلام مهما يكن اتصالهم سطحيا او خرافيا فانهم فى اغلبهـم الغالب لبثوا بمعزل عن التاثيـر التبشيري فمن لـم يعتصم منهم بالانتساب الى الاسلام فانـه مال الـى بعض هذه المذاهب والدعـوات التي تجاهلت السماء او انكرتها وانحصرت فى التماس سبل الحياة علـى

هدى من المعادلات المادية الصرف فلم يكن لذلك ميله بمثابة انجذاب الى الدعوة الاوربية من حيث هي اوربية او غير افريقية ، وانما كان مجرد استجابة لدعوات تراءى له انها اقرب الطرق الى ان ترفع عنه الكابوس الاوربي الظالم ، وتحقق له وجوده العادل بصفته انسانا افريقيا ، واحب ان اؤكد انه كان في اشد حالات ميله شديد الحرص على تحقيق وابراز هذه الصفة الافريقية وآية ذلك اننا لا نعلم حتى الآن في اشد الافريقيين نزوعا الى اشد المذاهب والفلسفات المادية الراهنة عالمية او شعوبية ابتعادا عن العمل بكل قواه المادية والروحية من اجل اثبات وابراز وجود امته ووطنه في نطاق قومي افريقي .

لهذا نرى في القرار الذي اتخذه مؤتمر الدار البيضاء بداية واقعية لعهد ثقافي افريقي جديد ، واذا وصفنا هذا العهد بالجدة فلاننا نعني انه ليس ببدع في الحياة الثقافية الافريقية وانما هو انبعاث لحياة سابقة عريقة واستئناف لها ، فبالاضافة الى مختلف الهجرات التي عرفتها بواسطتها افريقيا وعرفت بواسطتها الوانا من التبادل الحضاري خلال الآلاف الخمسة من سني عهد الحضارات البشرية المعروفة هنالك فترة استمرت حوالي الف عام وهي تنمو ويتسع مدى تأثيرها وان بصورة بطيئة في بعض الاحيان يمكن ان نسميها فترة الوحدة الحضارية الافريقية وهذه الفترة هي التي انشأها الفتح الاسلامي، ولئن كانت المحاولات الناشطة التي بذلتها الدول الاوربية خلال القرون الثلاثة الاخيرة قد عوقت هذه الفترة من مواصلة نشاطها على مستواه الطبيعي الاول فان الواقع يثبت ان هذا النشاط لم ينقطع تماما ، وان اتئدت خطواته في الحقبة الاخيرة ، ومع ان مصدر الاسلام لم يكن افريقيا بل بل كان آسيويا ، فان التقارب السلالي ان لم نقل التوالد السلالي بين بعض الشعوب الافريقية وبعض الشعوب الاسيوية كان له فيما نعتقد اثره في تيسير اسباب التجاوب الروحي بين القارتين بالاضافة الى ان الاسلام في جانبه الايجابي ينهض على اعتبارات عالمية انسانية جامعة ، ولذلك لم يأت في تشريعاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الا بكليات قابلة للتبلور والتكيف حتى لقد تصبح في بعض الاحيان وفي بعض البيئات مجرد معالم يهتدي بها لا الى مشاكلتها بل الى تحقيق المثل التي تستهدفها وهذه الايجابية العالمية في الاسلام فضلا عن احتفاظه بدستوره كاملا سليما في لغته الاصلية وعما تمتاز به هذه اللغة من قابلية التبلور والتكيف كتشريعاته سواء بسواء ، جعلته سريع الانسجام والتأقلم مع مختلف الامم والشعوب ، وآية ذلك انه في افريقيا وفي اوربا الشرقية وفي الصين والهند ليس باقل منه رسوخا في الوطن العربي الشرقي حيث نزل وفيما يتاخمه من بلاد الشرق الاوسط ، وهذا الانسجام والتأقلم ثم التمكن هو تأويل ما نشهده اليوم في دهشة باهرة من صموده لجميع الهجمات العارمة التي حاولت الارساليات التبشيرية المتعصبة ومن ورائها الاحقاد الصليبية والاطماع الاستعمارية بعتوها وطغيانها ، حاولت بدون جدوى ان تجترفه من افريقيا السوداء ، فلم تستطع الا ان تزيد حبه والتشبث به تمكينا من نفوس الجماهير .

بل اننا لنرى في قرار مؤتمر الدار البيضاء نقطة انطلاق لحل معضلة اشرنا اليها آنفا هي معضلة التعدد اللغوي في الشعوب الافريقية السوداء ، فاذا قدر لفاس وتونس ولتلمسان ولبني غازي ولطرابلس وللازهر ان تستانف نشاطها الثقافي الى اعماق افريقيا فانها ستجد من الاسلام الذي يغلب على جماهير بعض تلك الشعوب ركيزة لاحداث اداة للتفاهم بينها ، فما دام القرآن لابد ان تتلى آيات منه في الصلاة فان اللغة العربية ستجد طريقها الى الالسنة عن طريق الدين باديء الامر واذا كانت الآيات والكلمات التي ترد في الصلوات قد اتخذت من قبل في تلك الالسنة شكل طلاسم الرقي او اصوات الببغاوات فانها سوف تصبح اذا تكافل النشاط الثقافي والوعي الديني للتفاهم الموحد بدلا من ان تكون طلاسم لاتدرك القلوب مدلولاتها فيما ترددها الالسنة ونحن لذلك لانعتقد ان التناسق الثقافي الذي دعا اليه قرار مؤتمر الدار البيضاء سيتحقق بصورة كاملة شاملة الا اذا انطلق من تلك المراكز الدينية التي انطلق منها ايام عبد الله بن ياسين من المغرب مثلا . . اما ان حاولت السياسة ان تجعل مصدره المراكز الثقافية العلمانية ، فانه من الصعب ان تحقق الوحدة المنشودة لانه اذا لم تتجاذب الارواح وتتجانس المشاعر فليس من اليسير ان تتحد الالسنة ، وما لم تتحد الالسنة فلن يتحقق تناسق ثقافي وان بلغنا ان نحقق تكاملا علميا في المجالات التقنية وغيرها من ميادين العلوم الطبيعية والرياضية ، فالثقافة كما نفهمها حالة وجدانية وعقلية لامعادلات وارقام ومعاهر ومختبرات .

فى الجمهورية العربية المتحـدة :

اسس المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة لجنة لدراسـة حالة المجلات والصحف الادبيـة فى مصـر فوضعت تقريرا قدمته اليه ، مما جاء فيه : التوصية بان تخصص كل صحيفة يومية صفحة كل يوم لنشر المقالات الثقافية والقصص والشعر وان تصدر كـل مجلـة اسبوعيـة عددا خاصا بالادب وفنونه بصورة دورية وقد تذكرت حين قرات هذا النبأ فى « الاهرام » عهدا لا يزال غيـر بعيد كان كل هذا الذي اوصت بـه اللجنة المذكـورة واقعا تتبارى فى تجديده وتطويره صحافة مصـر ، ولا اعرف فى هذا الجيل من قراء الادب قارئا ليس بمديـن بصورة مباشرة او غير مباشرة للصفحة الخاصة بالادب فى كل من ـ المصري ـ و ـ الاهرام ـ و ـ البـلاغ ـ و ـ السياسة ـ و ـ الاساس ـ و ـ الدستـور ـ وللاعداد الخاصة بالادب فى ذلك الحشد الذي كـانت تعرفه اسواق القاهرة واسواق غير القاهرة مـن حواضر الوطن من المجلات الاسبوعية والشهرية التي كانت تصدر بمصر ، بل اننا لا نزال حين نشعر بالشوق الى قراءة الادب الاصيل الرصين لا نملك الا ان نعـود الى مجموعة الرسالة والثقافة والمقتطف والهـلال والكتاب والكتاب المصري والبلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية وغيرها من الصحف التـي كانت تحتـرم نفسها وتحترم قراءها وتحترم ما انتدبت لتحمله من رسالة وامانـة ولا تـزال اوزن النصـوص الادبيـة واشرقها ، واعمق الدراسات والبحوث واصدقهـا تقديرا وتمحيصا ونقدا تلك التي جد فيها طـه حسيـن مبارك وافتن فيها الرافعي والزيـات وعبد العزيـز البشري واحتفل لها العقاد والمازني وعبد الرحمـن شكري ، ومن الى هؤلاء واولئك من اعلام جيل ما بين الحربيـن .

يقولون انما هذه رجعـة فى التقدير والتقسيـم لتطور الادب واثر الادباء ونعما هي رجعـة ان تكـن فادنى خصائصها التي نراها قوية انها تقديـر لانتـاج لم تكن تسرع به المطابع فيهتبل وانما كانت تترع بـه المشاعر والعقول فلا يجيء الا كما تجيء اللوحة يعيش لها الفنان لان فنه ارادها لا لان المعـرض استعجلهـا ، كـانت الكلمة تعاد صناعتها فى اقـلام اولئك الادبـاء فتنقراها او تسمعها ، فكأن الجدة لم تكن فى معانيهـا فحسـب ، بل كانت فى احرفها ايضا ، حتى لتتهـم اعيننا واسماعنا ذاكرتنا فى بعض الاحيان ، كان ادب ذلك العهد يصنع لوجه الادب فاذا دفع به الى المطبعة كان دفعه منه على المطبعة ، وكان ادبـاء ذلـك العهـد يعرفون لكل نبرة فى الحرف مدلولا ، ولكل مجموعة من النبرات فى المجلة عالما ومحيطـا ، وكانت السياسـة فى ذلك العهد حتى سياسة الدول المستعمرة تحسـن تقدير الجهد الانساني فى ذلك الادب والفن الانسانـي فى مظهره والمعنى الانسـاني فى مدلوله ، فكانت تتهيب ان تتطاول عليه مهما استفزها وما اكثر ماكان يستفزها بل ان اكثره لم يكن الا استفزازا لها فلما اخضعت موازين الادب لسرعـة المطبعـة واختلطت مفاهيـم العمـل الصحفي والعمل الادبي فكان ما كتبه الرافعي رحمـه الله منذ ثلاث وعشرين سنة فى مقاله : « الصحافـة لا تجني على الادب ولكن على فنيته » . فقد الادب هيبته وتجرد الادباء من عصامهم فاصبح الادب بضاعة مـن هذه البضائع التي تستبق الآلات فى انشائهـا دون ان تعنى من تجويدها الا ببعض البريق واصبح الادبـاء تجارا من هؤلاء التجار الذيـن لا يقيمون وزنا لثقـة الحرفاء ، بحسبهم ان يستلبوا ما حضـر فى الجيـوب امامهم وللغد وسائله وحيله ؛ فكـان ان وجـدت السيـاسة وسيلة الى الادب تستذله والى الادبـاء تستذلهم ، ففقدت اذواق القراء شعورها بالحاجة الى الجديد لانها يئست ان تجد جديدا كالذي عهدته مـن قبل وعكفت تجتر القديـم لانها كانت تجد فيه غنـاء ثريا ان لم تجد فيه جدة وضيئة ، وشيئـا فشيئـا فقدت الثقة بين القـارىء والكاتب ـ استغفر اللـه والادب ـ بين القارىء الحق ومحترفـي الانشـاء الصحفي ، وشيئا فشيئـا اخـذت زوايـا الادب فى الصحافة تضيق لان ارباب الصحف لا يشعرون بـان الادباء يجلبهم لهم مزيدا من العمـلاء ، وانما يثقلـون كواهلهم بمزيد من الاجور ، وحتى بعض الاسماء التي امد الله فى اعمار اصحابها وكان لهـا ذات يوم جـد صنعت به ادبا وكسبت منه رصيدا من الثقة لـم تعد وازنـة باذنها عند اربـاب الصحف ولكـن بالقابهـا ، فاخذوا يجلبونها الى زوايا ليسوا منها وليست منهم فى شيء ، وما ظنك بفنان يحترف الكتابة السياسيـة ؟ على حين اصبح ما يسمى ادبا شيئا لا يختلف عـن الكلام الاخباري الا بطوله وامتداده كبعض البيانـات السياسية التي يحبرها النواب للبرلمانات فمنهـا ما يجيء كالاعلانات لمبادىء واهواء مستوردة حتى ليكاد

يلتبس الفرق بين مايحمل اسم ادب واسم بلاغ رسمي او نشرة دعائية ، فان شذ عن ذلك شيء او نشز فترجمة صريحة النسب او منكرة الاصل لمقاييس في النقد او اصداء من الشعر او مشاهد من القصة والتمثيلية قد يوغل بها اصحابها في التعريب حتى ليمنحون اشخاصها ومواضيها او شواهدها اعلاما ونصوصا عربية ، ولكنك تقراها فتحار بينها وبين نفسك ، فاما ان تنكر انها عربية لما بين ما تشير اليه كلماتها من تنافر يوشك ان يبلغ مستوى الحرب واما ان تنكر انك لا تزال تفهم شيئا او تستطيع ان تفهم شيئا وتؤمن بانك اصبحت كاهل الكهف حين بعثوا احدهم بورقهم الى المدينة فلم يجدهم الناس ولا ورقهم ولم يجدوا انفسهم الا كنزا خليطا من البشرية والورق ، قد يكون قيما في مجال الاعتبار ولكنه شذوذ وغرابة في ميادين الحياة .

فان تكن توصية اللجنة وقرار المجلس على هداها تعني ان تفسح الصحف صفحات لمزيد من الكلام الطويل الذي يحمل اسم الادب ولا يصدر عن جهد الادب فخير لهذه التوصية ولهذا القرار ان يدركا ان الناس اصبحوا من ضجة الحياة لا يملكون انفسا تصبر على الكلام الكثير ، اما ان كان الادب الذي سيراد ان تنشره الصحف وتفسح له صفحات من صدرها ، وترصد له مبالغ من ميزانيتها سيكون انعكاسا لتجارب تظاهرت النفوس المرهفة ووقائع الحياة ، بما فيها من عبر الماضي ومشاهد الحاضر وملامح المستقبل على صهرها وتكييفها والتعبير عنها فوافرحتاه لدنيا الادب ولمحيط الادب ان يبعث فيهم ابو العلاء وابو الطيب والرافعي وزكي مبارك وان يعاد بينهم الشباب الى طه حسين والزيات والعقاد وما ذلك ببعيد على عبقرية شعب الاهرام صانع المعجزات .

محمد الحاج ناصر

الصبي امانة عند والديه

الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له .

ابو حامد الغزالي : « احياء علوم الدين »

حول التعليق على قصة

وردتان في عرش واحد

للأستاذ محمد الآمري

تناول الاستاذ ب.ك. قصة « وردتان في عرش واحد (1) بالتعليق في العدد السابق من هذه المجلة . واذا كان التعليق والنقد على اي انتاج ادبي مما يساهم في خلق حركة ادبية فهو في نفس الوقت يشعر الاديب المنتج انه لا يعدم التجاوب الضروري الذي يساعده على المضي في اداء رسالته الادبية ، وبين الانتاج والتعليق والنقدوالتعقيب تستجد افكار وآراء وتنفتح مجالات .

وقد عنت من خلال تعليق الاستاذ ب.ك. ملاحظات تدعو الضرورة الى ابدائها .

يعترف الاستاذ المعلق بأن فكرة القصة في حد ذاتها انسانية ومن واقع الحياة المغربية لكنه عندما يتعرض لطريقة عرض الفكرة يبدي تحرجا في الاجابة عن سؤاله . هل عرف الكاتب كيف يشرح هذا المضمون ؟ واخيرا ينتصر على هذا التحرج فيقرر « ان عرض الفكرة لم يكن عرضا قصصيا كاملا » لماذا ؟ لانه « اشبه ما يكون بالمناجاة النفسية الذاتية والحوار الطويل الزاخر بالافكار » فهل معنى هذا ان القصة يجب ان تخلو من المناجاة النفسية الذاتية ومن الحوار الطويل الزاخر بالافكار ؟ واذا كان الامر كذلك فاي مذهب نقدي يراه ؟ هناك شيء لابد ان السيد المعلق تنبه اليه وهو ان الكاتب اختار ان ينسحب من الميدان ليترك القارىء وجها لوجه امام اشخاص القصة يعبرون في حذق عن احساساتهم وآرائهم التي لاحظ الاستاذ نفسه انها تختلف وتتأرجح بين التفاؤل والتشاؤم ، وهو امر طبيعي ينسجم مع واقع الحياة اذ ليس كل الناس بمتفائلين وليسوا جميعا متشائمين !

وهل معنى ذلك ان السيد المعلق يريد ان يفرض على الكاتب نوعا خاصا من اساليب العرض ؟ ان الذي يعلمه الجميع ان الكاتب القصصي له الحرية في ان يختار الاساليب التي يراها صالحة لعرض قصته وله كذلك ان يمزج بينهما اذا شاء ، له الحق مثلا ان يختار طريقة السرد والرسم الخارجي لشخصيات قصته ، وله ان يختار طريقة التداعي او طريقة التعبير الداخلي الذاتي او طريقة الحوار او الرسائل وغيرها من الاساليب التي يراها اصلح من غيرها لابراز الشخصيات والحوادث . والكاتب هنا يرى ان الطريقة التي نهجها تساعد اكثر من غيرها على رسم المخطط النفسي للبطل واثر المآسي التي تكب بها على نفسه ولا ادل على ذلك من ادراك السيد المعلق هذا المخطط .

ويبدو ان الاستاذ بقي متأثرا بصلاحية الفكرة لقصة من النوع الطويل لذا تسرع بملاحظة عدم الحصول على رؤيا واضحة لجو المستشفى وظروف الزلزال ، وواضح ان كاتب القصة لم يتناول الفكرة كما يتمنى المعلق في قصة من النوع الطويل ولكنه عرضها في قصة قصيرة لا تحتمل ما لاحظ الاخ المعلق فقدانه فيها لان المفروض في القصة القصيرة عدم التعرض للتفاصيل ذلك لانها لا تتناول فترة معينة بتمامها بما تقتضيه من رسم

---

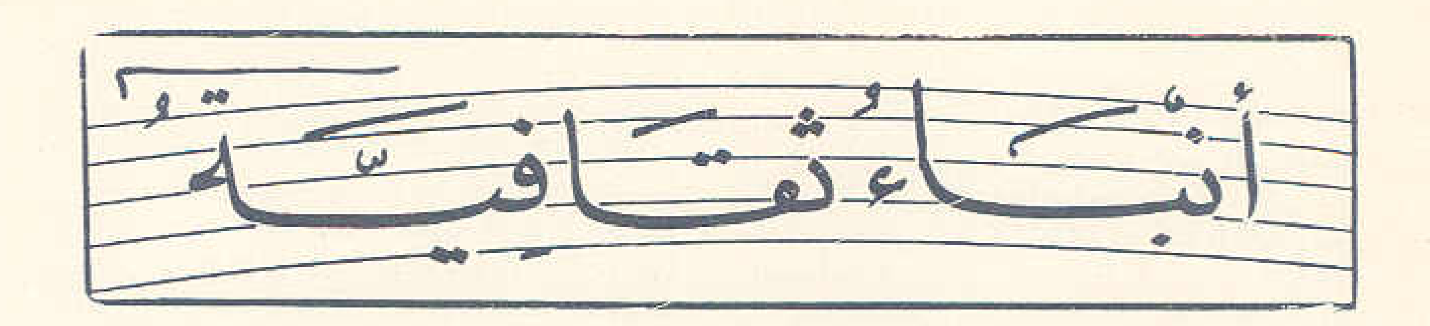
1) التحرير : نشرت القصة في العدد الاول من هذه السنة ونشر التعليق عليها في العدد الثاني من السنة نفسها

للاجواء وتمهيد واضح للحوادث وهي كذلك لا تعتمد على الترتيب الزمني ، وانما تتناول قطاعا معينا لا يخلو من الاعتماد على الايحاء وترك المجال فسيحا امام القارىء . ان ما افتقده الاخ المعلق ليس ذا قيمة هناك ، وانما المقصود تجسيم التازم النفسي والروحي اللذين يعانيهما جيل بطل القصة ، وموقف هذا الجيل من الاحداث الاجتماعية المنحرفة ، والاحداث الكونية الغامضة والحلول التي يراها امام هذه وتلك وهي حلول تتاثر الى حد بعيد بمؤثرات ثقافية وآراء ونظريات مستجدة هذا من جانب ، ومن جانب آخر لناخذ حل ممارسة الحرية في نطاقها المحدود كدواء للاحداث الاجتماعية المنحرفة نجد انه ناشىء عن شعور الجيل بالتخلق الاجتماعي وبروزه في شتى المظاهر وطغيان الاثرة والاعتداء على حريات الغير الخاصة ، يلاحظ الجيل هذا في الوقت الذي يرى في المجتمعات الراقية ممارسة الناس حرياتهم دون ان يمسوا حريات الآخرين بمكروه ، وحقيقة ان الحريات العامة ضرورية وانعدامها يفقد معنى الحريات الفردية المحدودة ، لكن الا يصح التساؤل هنا ، ما قيمة الحريات في مجتمع لا يقوى على حسن استغلال حرياته الخاصة ؟ ومن حيث السياق الممهد في القصة ما دخل الحريات العامة هنا ؟ هل ان ظروف كارثة الزيوت كانت ناشئة عن اخلال بالحريات العامة ؟ ام انها نشات عن تجاوز بعض الافراد حرياتهم في الاتجار الى درجة اصطدمت فيها مع حق من حقوق الآخرين الاولية وهو حق الحياة ، فمن حق الانسان ان يتجر، وما دامت تجاراته في الحدود المشروعة فلا مجال للاعتراض، اما ان يتجاوز التاجر الحد في حرية الكسب بالوسائل غير المشروعة ولا الشريفة في نفس الوقت فذلك ما يعد تعديا على حرية الغير وقد بلغ من بشاعة هذا التعدي هنا ان اصبح عشرة آلاف من المواطنين مقعدين عاجزين عن الكسب والانتاج عالة على المجتمع!! وهكذا يبدو ان الحل هنا ينسجم مع مصدر مأساة الزيوت المغشوشة وهو مصدر يدل الواقع على انه ناشىء عن مجاوزة الحدود في التمتع بالحرية الفردية وليس ناشئا عن فقدان الحرية العامة التي لا يناقش احد في ضرورتها فكيف يتصور المعلق بناء فكرة الحريات العامة على هذا الاساس ؟ ولعله اذا تمعن جيدا فسيدرك لا محالة انها اي فكرة الحريات العامة تأتي مفتعلة مضخمة لا تنسجم بحال مع البناء المنطقي او بالاحرى الطبعي للقضية ولعل من الضروري سوق الفقرة التالية ليدرك الاستاذ المعلق الاساس الذي بنى عليه الكاتب فكرة الحريات المحدودة «هكذا انهارت آمالي العذبة واصبحت انسانا بلا امل وحينئذ آمنت بعبث الحياة وقسوتها انها مدمرة صاعقة تسحق كل من تجد في طريقها . . انها لا ترحم **وليتنا جميعا ادركنا هذه الحقيقة لكي نوفر على بعضنا المآسي التي يسببها فريق منا للبعض الآخر ولكننا نميتها علينا . فهي تدمر من جهة ونحن ندمر من جهات وفي كلتا الحالتين نحن الضحايا »** .

اما الاستهانة بالحلول الفردية هنا فهي ناشئة عن عدم الايمان بانها اقرب طريق للاصلاح ، لان المجتمع يتالف من افراد كل واحد منهم نسيج وحده في ميوله وتكوينه واصلاح الفرد داخل الاسرة وفق احترام بعض المبادىء العامة للفضيلة يزود المجتمع بمجموعة من الاسر الصالحة التي تكون بدورها المجتمع فنحن باصلاح الفرد نصلح المجموعة فاية سعادة نحسها داخل مجتمع يقدر كل فرد مسؤوليته ويمارس حريته دون ان يتركها تطغى فتحطم حرية الباقين ؟

لم يكن اذن حل ممارسة الحريات العامة في نطاقها المحدود حلا لاصلاح الحياة كما توهم السيد المعلق ولكنه قدم كحل اجتماعي مبني على اساس احترام الناس وحرياتهم في مجتمع جاهل تغلب على ارادته الاثرة وحب النفس ، والنفس وحدها الشيء الذي يلاقي منه الجميع شتى المصاعب والويلات . اما الحياة نفسها وما في الحياة من اضداد ومتناقضات واحداث كونية غامضة يجتهد الانسان في شرح اسبابها وحقائقها فسوف لا يستطيع الانسان ان يغير منها شيئا ، وتغييرها مستحيل مرة اخرى كما ذكر احد شخوص القصة سيبقى الالم ما بقي الوجود مقابل اللذة والشر تجاه الخير والغي امام الرشاد ، ستبقى الزلازل والكوارث ما دامت الارض تدور وعلى ظهرها مخلوق يدعى الانسان ، هذا هو الجانب الذي يقصد عباس احد شخوص القصة استحالة تغييره في الحياة واذا كان السيد المعلق لا يشاطره هذا الراي فما اوسع تفاؤله ! !

وعلى كل حال فللاستاذ المعلق خالص التحية والاعجاب لاقدامه الذي لم يشفعه بالاعلان عن اسمه للقراء وهي خطة لا داعي لها في مجال الادب والمناقشات الادبية ولا داعي ايضا للتلويح الذي قد يعتمد عليه آخرون يريدون ان يقولوا شيئا فيثنيهم عن الوضوح والمجابهة سبب من الاسباب .



❊ رواية « البيت الكبير » للكاتب الجزائري ستظهر فى فليم .

❊ قام الشاعر الاسباني المعروف خوسي ايرو بالقاء محاضرة عن الشاعر الاسباني فدريكو كرثيا لوكا حياته وانتاجه فى بعض المدن المغربية فى تطوان ، والرباط ، والدار البيضاء .

❊ اصدر الاستاذ احمد المكناسي ، محافظ متحف تطوان الاثري كتابا عن المدينة الاثرية العرائشية « ليكسوس » . ويعد هذا البحث هو الاول من نوعه يصدر بالعربية فى المغرب .

❊ وضعت وزارة الخارجية اللبنانية باتفاق مع وزارة التربية فى بيروت مشروعا يقضي بانشاء عشرة مراكز ثقافية فى الدول التي يبادلها لبنان التمثيل الدبلوماسي . وهذه المراكز هي : مركز فى اوربا تشمل صلاحيته للدول الاوربية ، ومركز فى المغرب تشمل صلاحيته للدول الافريقية مع 8 مراكز اخرى فى اميركا اللاتينية .

❊ صدر اخيرا كتاب « مذكرات الملك ابو عبد الله ــ آخر ملوك غرناطة » الذي راجعه وحققه على النسخة الموجودة بجامع القرويين المستشرق ليبي بروفنسال الراحل. ومذكرات الملك ابو عبد الله ، هي وثيقة ادبية نفيسة نادرة المثال فى الادب العربي ، لانها تحكي بصدق ما وقع لهذا الملك اثناء اشتداد الازمة التي اطاحت باسبانيا المسلمة بعد ذلك . انه صفحة ثمينة من تاريخنا العربي فى الاندلس وشمال افريقيا . وقد صدر هذا الكتاب ضمن مجموعة «ذخائر العرب » بالقاهرة .

❊ ظهر العدد الجديد من مجلة « القصة السودانية » ويشتمل على مقالات وقصص وبحوث للفيف من الكتاب السودانيين .

❊ « غدا نلتقي » ديوان للشاعر السيد احمد الحردلو ، قدم له بدراسة نقدية الشاعر السوداني المعروف تاج السر الحسين .

❊ « لقاء عند الفجر » قصة طويلة صدرت اخيرا للكاتب محمد شعبان .

❊ « شعراء الزنوج » كتاب جديد الفه الاستاذ نقولا يوسف عن شعراء الزنوج . والكتاب دراسة وتحليل لبعض هؤلاء الشعراء الذين اسهموا فى تحرير الجنس البشري من قضيته العنصرية .

❊ يكتب الناقد الشاب سيد خميس دراسة عن القصة القصيرة تناول فيها المجموعات القصصية التي صدرت اخيرا بالتحليل والتفسير .

❊ نظمت وزارة التربية الوطنية المغربية خلال هذه السنة اسبوعين لافريقيا بالمغرب ، سيحضر خلال هذين الاسبوعين ممثلون عن جميع الاقطار الافريقية للتعريف بمختلف اوجه النشاط فى هذه البلاد .

❊ زار المستشرق المجري المعروف الدكتور جرمانوس المغرب ، والقى عدة محاضرات فى الادب ، والتاريخ ، واللغة ، فى كلية الآداب المغربية .

✻ دشن وزير التربية الوطنية مدرسة المعلمين الاقليمية في وجدة ، وذلك في فاتح فبراير .

✻ صدرت في شفشاون مجلة « الشراع » تعنى بشؤون الفكر والثقافة . وهذه المجلة هي اول مجلة تصدر بهذه المدينة الجميلة .

✻ « الاسلام كما يراه الغزالي » كتاب من تاليف الدكتور علي عثمان ، عرض فيه المؤلف فلسفة الغزالي وهو اول كتاب يدرس اصول هذه الفلسفة باللغة الانجليزية ليقدم لعلماء العرب المسلمين والعلماء الغربيين الذين بحثوا الغزالي تعريفا جديدا له ، وهو الى جانب ذلك كشف عن جوهر الصوفية الاصيل ، وتمهيد لمعرفة الانسان لنفسه ويقينه بوجود الله .

✻ شكلت اخيرا لجنة بادارة التاليف التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة لفحص الكتب المقدمة من الناشئين . ستختار اللجنة الصالح منها لتوافق على شراء نصف ما يطبع على نفقة المؤلف .

✻ ثلاثة كتب جديدة عن الشاعر ابو القاسم الشابي صدرت اخيرا وهي من تاليف الدكتور عمر فروخ ، وعبد اللطيف شرارة والسيد بحري حبيب .

✻ صدر منذ ايام كتاب « النثر بين المحافظة والتجديد » للاستاذ انور الجندي .

✻ « وجهان للخطيئة » مجموعة قصصية للقصاص سعد حامد صدرت في هذه الايام .

✻ ستصدر بالقاهرة مجلة خاصة بالقصة من اعداد واصدار الاستاذ صبحي الجيار .

✻ ترجم الاستاذ عبد الكريم احمد الى العربية كتاب « الطبيعة البشرية في السياسة » من تاليف كراهام والاس .

✻ تعنى اللجنة الموسيقية العربية الآن بجمع المعلومات والبيانات لاصدار اول دائرة معارف موسيقية عربية تجمع كل شيء عن الفنانين والموسيقيين العرب. كما تقوم وزارة الثقافة باعداد نبذة عن تطور الموسيقى العربية في ج.ع.م. تلبية لطلب بعض الجهات الفنية في الولايات المتحدة .

✻ قال العقاد ان مكتبته التي تضم اكثر من 15 الف كتاب سيوقفها على بلدة اسوان لينتفع بها اهلها .

✻ يشرف الدكتور طه حسين على نشر كتاب « المغني » للقاضي عبد الجبار امام المعتزلة .

✻ جمال الدين الافغاني ، واحمد عرابي ، والمويلحي ، وعلي الليثي ، ودلسبس سيظهرون على الشاشة لاول مرة .

✻ صدرت عن ادارة الثقافة بوزارة التعليم بالقاهرة « اعمدة المجتمع » لهنري ابسن، قام بترجمته الى العربية عزيز سليمان ، وراجعه محمد بدران ، كما صدر عنها كتاب « اليكترا » تاليف جان جيرودو ، وترجمة الدكتور محمد غلاب ، ومراجعة يحيى حقي ، بالاضافة الى كتاب « سيرانو دي برجرالك » الذي الفه ادمون روستان ، وترجمه الى العربية عباس حافظ

✻ « الرد على الدهريين » عنوان كتاب للمرحوم جمال الدين الافغاني ، صدر اخيرا بتحقيق محمود ابورية .

✻ اتم الكاتب عبد الرزاق نوفل وضع كتابه السادس في مجموعته التي يربط فيها بين العلم والدين . وهذا الكتاب يضم دراسات جديدة عن حياة الرسول الاعظم .

✻ يعد مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثالث من معجم الفاظ القرآن الكريم .

✻ وافقت لجنة الترجمة بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة على ترجمة الكتب الآتية : « الابله » لدوستويفيسكي وسيقوم بترجمته حسين القباني ، و « ازمة المغرب » لروم لاندو وسيقوم بترجمته حسين الحوت ، و « العقد الاجتماعي » لروسو وسيقوم بترجمته عبد الكريم احمد ، و « الارض الطيبة » لبرل بك وسيقوم بترجمته وديع سعد ، و « عندما نبعث نحن الموتى » لابسن ، وسيقوم بترجمته محمود سامي احمد ، وكتب اخرى .

✻ اصدر الدكتور علي عيسى عثمان كتابا بالانجليزية عن امام الاسلام الغزالي .

※ عرضت مكتبات القاهرة كتبا خاصة بالاطفال تغسل ، وتكوى ، وتباع معقمة في اكياس نيلون .

※ « دراسات في الشعر والمسرح » كتاب جديد صدر اخيرا للدكتور محمد مصطفى بدوي .

※ قررت لجنة الاحتفال بذكرى شاعر الهند طاغور الذي سيقام بالقاهرة اعادة طبع ونشر ما ترجم من مؤلفاته الى العربية واصدار طابع خاص بهذه المناسبة .

※ صدر عن مشروع الترجمة والالف كتاب مسرحية « امراة بلا اهمية » للكاتب اوسكار وايلد الذي قام بترجمته الى العربية ميشيل عبد الواحد .

※ « الحياة الادبية بعد سقوط بغداد » كتاب جديد اصدره الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي .

※ انتهى الاديب السكندري حسين الغنام من دراسته لادب الشاعر الروسي باسترناك وترجمة حياته .

※ يعد مصطفى السحرتي والشاعر العراقي هلال ناجي دراسة عن « الشعر القومي العراقي المعاصر » ويعرض فيه المؤلفان ايضا جذور الشعر القومي في القرن التاسع عشر ، والحياة الشعرية من مطلع القرن العشرين الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وموقف الشعراء من الحركات التحررية والثورات القومية .

※ بدأ الاستاذ ساطع الحصري في كتابة مذكراته الخاصة التي ستقع في 1500 صفحة ، وسيصدر الجزء الاول منها في الربيع القادم . وللمذكرات جزآن آخران ، وموضوعاتها تدور حول العراق والشام ورحلات ساطع الحصري ، وتاريخ العالم العربي في خلال ثمانين عاما . وقد ظهرت في هذه الايام في المكتبات العربية الترجمة الانجليزية لكتابه « يوم ميلسلون » وكان الحصري قد وضع هذا الكتاب عام 1921 .

※ يقوم انور الجندي بطبع كتاب عن المعارك الادبية والفكرية والاجتماعية التي دارت خلال نصف هذا القرن بين المفكرين في العالم العربي .

※ قام الدكتور طه حسين بترجمة قصة القدر للكاتب الفرنسي فولتير الى اللغة العربية .

※ صدر كتاب « الخواطر والسوانح في اسرار الفواتح » بتحقيق الدكتور حفني شرف .

※ ترجم الى الفرنسية روايات نجيب محفوظ « القاهرة الحديثة » و « قصر الشوق » و « بين القصرين » .

※ ستحتفل الاوساط الادبية القاهرية في الشهور الاولى من هذه السنة بذكرى المازني ، وايليا ابي ماضي والزهاوي .

※ صدرت في القاهرة الكتب الآتية :

«خليل مطران» مع مقدمة وشروح وتعليقات للدكتور محمد صبري « افريقيا وراء الصحراء » لصلاح صبري « علم النفس الحربي » الطبعة الثالثة للدكتور محمد عثمان نجاتي « من الشرق الى الغرب » لانور حجازي « نظرية في الانفعالات » لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمود علي وعبد السلام القفاس « الخدمة الاجتماعية » لصباح الدين علي « الفاخر » لابن طالب المفضل بن عاصم تحقيق عبد الحليم الطحاوي « النظريات السياسية الاسلامية » طبعة ثالثة للدكتور ضياء الدين « مشكلات القارة الافريقية السياسية والاقتصادية » للدكتور راشد البراوي .

※ اختارت جمعية القانون الدولي القصصي المصري محمود كامل النحامي عضوا في مجلسها . وهو العربي الثالث الذي يضمه هذا المجلس العالمي .

※ صدر للدكتور طه حسين كتاب بعنوان « اثر الحضارة الاسلامية في اوربا » .

※ ترجم المستشرق الاسباني بدرو مرتينيث قصة « الرجل والمزرعة » ليوسف الشاروني الى اللغة الاسبانية .

※ صدر كتاب « الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية » خلال القرنين الاول والثاني للهجرة ، وهو من تاليف الدكتور محمد جمال الدين سرور .

❊ قرر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة الاحتفال بذكرى الامام محمد عبده في شهر سبتمبر القادم ، وستوجه الدعوة الى الجامعات والهيئات الثقافية وكبار الشخصيات العلمية في جميع انحاء العالم للمشاركة في هذا المهرجان .

❊ كتب الشاعر الشعبي حامد الاطمس ملحمة شعبية عن القنال ، منذ الحملة الفرنسية الى تاريخ تأميمها تناول فيها قصة القنال منذ انشائها الى الآن .

❊ فرغ امين سلامة من ترجمة « الاوديسة » مع مقدمة تحليلية للادب اليوناني ، وستصدر في جزئين .

❊ قررت وزارة التربية في سوريا ادخال مادة الوعي السياحي في برامج التدريس في صفين من صفوف الحلقة الاعدادية بناء على طلب مديرية السياحة .

❊ نعت دمشق كاتبها الكبير رشيد الملوحي ، ففقدت البلاد العربية بوفاته علما من اعلام الصحافة والادب والجهاد الوطني .

❊ توفي في حماه سامي السراج رئيس المركز الثقافي العربي وهو الكاتب المرموق الذي عرفته ميادين الجهاد والفكر والادب .

❊ صدرت في دمشق مجلة ادبية باسم « الدروب » .

❊ اقامت جمعية ادباء العرب في دمشق احتفالا كبيرا بمناسبة مرور 50 سنة على وفاة الكاتب الروسي تولستوي .

❊ صدر قرار في دمشق بمنع تداول كتاب « اسرار الدولة » للكاتب الفرنسي ج. روتورفو ، وكتاب « فجر ام ظلام ؟ » للصحفي الهندي رل كارنجيا الذي ترجمه عمر ابو النصر .

❊ زار الدكتور بيير غلارما مدير آثار هولندا بدعوة من مديرية الآثار في دمشق للاسترشاد بخبرته فيما يتعلق بالابحاث والتحريات العائدة لعصور ما قبل التاريخ .

❊ يعد الدكتور الدمشقي الاستاذ محمد النحاح حسين كتابا عن الحركات السرية في التاريخ الاسلامي معتمدا على المخطوطات التي لم تنشر وكتب التاريخ والادب .

❊ اكتشفت البعثة الاثرية للحفريات في سوريا برئاسة العالم شيفر الذي بدا حفرياته اخيرا في القسم الجنوبي من اوغاريت وهو قسم القصور الملحقة بالقصر الملكي على مجموعة من التماثيل البرونزية المحلاة بالذهب وهي ثلاثة :

1) تمثال برونزي بطول 16 سم اكثره يمثل الاله ايل كبير الهة اوغاريت جالسا تحت تاج مثلث كتاج الاله اوزوريس المصري وهو يلبس ثوبا طويلا . 2) تمثالان برونزيان مذهبان . 3) تمثال برونزي يمثل ثورا فحلا قوي العضلات .

❊ اصدر الاستاذ شاكر مصطفى كتابا بعنوان « القصة في سوريا » ارخ فيه لتيارات القصة في الاقليم الشمالي .

❊ بدات وزارة الثقافة في الاقليم السوري مشروعها لاحياء التراث العربي القديم بنشر ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي ، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور عزة حسين .

❊ مهرجان الشعر العربي الثالث الذي تقرر عقده في مدينة دمشق في فصل الخريف المقبل لن يكون مقصورا على شعراء « معينين » فقد تقرر ان يكون بابه مفتوحا لمن يرغب الاشتراك فيه من الشعراء . هذا وسيخصص اليومان الاخيران من هذا الاحتفال بذكرى الشاعر البحتري .

❊ اصدر مجمع اللغة العربية بدمشق الكتب الآتية التي حققها اعضاؤه : « النفس » لابن باجة الاندلسي ، و « رسالة ابن فضلان » ، وكتاب « الابدال » لابي الطيب اللغوي ، وديوان « خليل مردم » رئيس المجمع السابق . وسيوالي المجمع اصدار طائفة اخرى بعد تحقيقها ومنها : الجزء الثالث من « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصفهاني ، وهو الجزء الخامس بشعراء اليمن و « تاريخ ابي العلاء المعري » لسليم الجندي و « حيلة البشر في اعيان القرن الثالث عشر » لعبد الرزاق البيطار .

❊ يصدر عن دار الثقافة ببيروت « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني في 25 مجلدا بعشرة آلاف صفحة

❊ صدرت في بيروت الحلقة الثالثة لكتاب « سبعون . . » للمفكر اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة .

❊ « الشاعر القروي » كتاب جديد صدر في بيروت للاستاذ عبد اللطيف شرارة .

❊ صدرت في بيروت للدكتور خليل حاوي مجموعة شعرية بعنوان « الناي والريح » .

❊ سيعلن في لبنان عن جائزة باسم وزارة التربية اللبنانية لمن يضع افضل كتاب تاريخي مدرسي ، تدرس فيه الناشئة اللبنانية تاريخ بلادها بعيدا عن الاساليب الطائفية والاستعمارية ، وقدرها عشرة آلاف ليرة .

❊ فقد لبنان علما من اعلام اللغة والادب بوفاة الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي العربي . بدمشق وقد توفي في النبطية عن تسعين سنة . ومن مؤلفاته : « الذخيرة » و « الفلسطينيات » و «الالهيات» و « تاريخ قلعة الشقيق » و « معجم قرى جبل عامل » و « نقض فلسفة داروين » ، كما ترك عدة مخطوطات

❊ سيقام احتفال كبير ببيروت للشاعر الاخطل الصغير « بشارة الخوري » في صباح يوم الاحد 21 ماي 1961 في القاعة الكبرى بقصر اليونيسكو ببيروت .

❊ « فضحكت » عنوان رواية مثلت للطبع في لبنان مؤلفها نور سلمان .

❊ اقامت الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية في بيروت مؤتمرها الثاني لعلم السياسة في بيروت في ايام 13 و14 و15 من يناير الماضي وكان موضوعه « التمثيل الشعبي والانظمة الانتخابية » .

❊ نشرت مجلة « الاديب » البيروتية في عددها الصادر في شهر دجمبر الماضي مقالا بعنوان « لو حكمت النخبة » نقلا عن جريدة « الصياد » . ويذكر هذا المقال أن لبنان جرب كثيرا من الحكومات ، ولكنها لم تعط الدليل على اشعاع لبنان ، وليته جرب حكومة من رجال الفكر والقلم . وهؤلاء هم رجال الوزارة التي ستضطلع بهذه الحكومة ، وكلهم من رجال القلم المشهورين في لبنان :

الشيخ عبد الله العلايلي : للرئاسة والداخلية ميخائيل نعيمة : لوزارة الخارجية . سعيد عقل : لوزارة التربية . ما جد فخري : للمالية والزراعة . الدكتور صبحي المحمصاني : للعدل والتصميم . عارف النكدي : للاشغال العامة والاجتماعية . رشدي المعلوف : للدفاع والصحة . البير اديب : للانباء والاقتصاد . فما رأي لبنان في هذه الوزارة ؟

❊ اصدر شيخ ادباء لبنان الاستاذ مارون عبود كتاب « اشباح ورموز » تناول فيه مذاهب النقد المعاصرة .

❊ بينما كان الملك حسين يزور منطقة وادي موسى ـ مؤخرا لفتت نظره صخرة كبيرة في وضع غير طبيعي . ولم يسبق أن تسلق هذه الصخرة احد من قبل . وتسلق الملك حسين الصخرة دون سلالم فشاهد كتابات ورسومات غريبة ثم طلب الى الدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الآثار العامة دراسة هذه الرسوم . وقد وجد مدير الآثار العامة ان هذه الرسوم هي كتابات ثمودية وصفوية يرجع عهدها الى ما قبل المسيح مما يدل على ان سكان « رام » الاصليين كانوا عربا من الصفويين والثموديين ثم اصبحت بعد ذلك عربية نبطية قبل ان تصبح رومانية فاسلامية عربية . وقد زار الشيخ محمد الامين الشنقيطي وزير التربية والتعليم دائرة الآثار العامة واطلع على الصور التي التقطت لهذه الكتابات وعلى الدراسات التي شرع فيها لدراسة مراميها وقيمتها الاثرية .

❊ انضمت الكويت الى منظمة اليونيسكو ، وبانضمامها اصبح عدد الدول العربية في اليونيسكو عشر دول .

❊ اكتشفت في الكويت 1600 قطعة من العملة الذهبية التي كانت متداولة خلال القرن الثالث عشر في سمرقند .

❊ وافقت الحكومة العراقية على اقامة مهرجان علمي في الخريف المقبل تحت اشراف وزارة الارشاد بمناسبة مرور 12 قرنا على تأسيس مدينة بغداد ، وكذلك بمناسبة حلول الذكرى التقريبية لمرور 1100 سنة على وفاة الفيلسوف العراقي المشهور بالكندي .

※ منحت الحكومة العراقية اتحاد الادباء العراقيين مبلغ 4200 دينار مساعدة له على اصدار مجلة « الاديب العراقية » .

※ اصدرت مجلة « الرسالة » العراقية عددا خاصا بثورة الجزائر .

※ صدر في بغداد للشاعر محمد المهدي الجواهري ديوان في اربعة اجزاء محتويا على الف صفحة .

※ اوصى المكتب الدائم للثقافة بالجامعة العربية حكومة اليمن بالانضمام لعضوية اليونيسكو ، واوصى السعودية بحضور اجتماعات هذه المنظمة .

※ اصدر المجمع الاسلامي بالهند كتاب « روائع اقبال » مع ترجمة وافية لحياته ودراسة لفلسفته وفنه بقلم السيد ابو الحسن الندوي .

※ بينما كان علماء الآثار الباكستانيون يجرون اعمالا حفرية عثروا على معبد هندوكي قديم يرجع تاريخه الى ما قبل العهد الاسلامي ، ووجدوا هذه الآثار في « بهمبور » الواقعة على بعد 56 ميلا من كراتشي .

※ تأجل انعقاد مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا بكولومبو عاصمة سيلان ، وكانت مهمته هي بحث التوصيات التي وافق عليها المؤتمر بطشقند .

※ صدر لبوريس باسترناك في هذه الايام ديوان شعر في لندن يضم اربعين قصيدة كتبها ما بين 55 ـ 1959 .

※ اكتشفت البعثة الالمانية للتنقيب عن الآثار بحلب في منطقة « تل خديرة » معبدين تاريخيين يعود عهدهما الى الالف الثاني والثالث ق. م.

※ اكتشف علماء الجيولوجيا الروسيون محيطا حقيقيا تحت الارض في اسيا الغربية عذب المياه يمتد الى مسافة 3 ملايين كلم مربع ، وبعد الحفر الى عمق الف متر امكن الحصول على مياه درجة حرارتها 32 يمكن ان تخصب الاراضي القاحلة في تلك المنطقة من آسيا .

※ احتفل في الايام الاخيرة بذكرى ميلاد بيتهوفن التسعين بعد المائة . وبهذه المناسبة اصدر العالم الموسيقي الالماني شونوف كتابا عن حياة بيتهوفن تناول فيه هذا الموسيقي العبقري من زاوية جديدة حيث صوره بطلا من ابطال الشعب الالماني الذين سخروا النغم للدعوة الى وحدة المانيا والى الرغبة في السلام والصداقة بين جميع الشعوب ، ويقول المؤلف ان اوبرا «فيديليو» ليست الا اغنية من اغاني مقاومة الطغيان والاستبداد. ويذكر المؤلف ان بيتهوفن تأثر باشعار فردريك شيللر تأثرا شديدا . وكانت كلمات شيللر : وعاد البشر جميعا اخوانا احباء ، ايها الملايين من الناس ، فليعانق بعضكم بعضا » . كانت هذه الكلمات تسحر بيتهوفن وهو يسمعها من شيللر في بيته بمدينة فايمار .

※ تصدر في نهاية السنة الحالية موسوعة في اللغة الالمانية وضعها معهد اللغة الالمانية التابع لاكاديمية العلوم في برلين الشرقية . وقد بدأ العمل في هذه الموسوعة منذ مائة عام وتقع في 33 جزء . وتضم الموسوعة جميع الالفاظ الادبية الالمانية منذ القرن الثاني عشر حتى الآن وتحليلا تاريخيا لتطور كل منها .

※ عثر في جنوب السويد على 560 قطعة فضية من العملة العربية القديمة . وقال الخبراء ان العملات المكتشفة صدرت في القرن التاسع بسمرقند .

※ وافقت اليونيسكو على ضم 23 دولة جديدة لعضويتها ، معظمها من دول افريقيا .

※ نعت باريس اخيرا كاتبها بليس ساندرا الذي فاز مؤخرا بالجائزة الادبية لمدينة باريس .

※ فاز الاديب الفرنسي اندريه بيير دي بانديارج بجائزة القصة القصيرة عن مجموعته « نار الهشيم » .

※ ظهرت مجموعة من الاغاني لفرانسواز ساغان، نشرتها المجلات الادبية الفرنسية .

※ انتهت جامعة السربون من مناقشة رسالة الدكتور مؤنس طه حسين حول « القرآن الكريم » .

※ اعتمدت منظمة اليونيسكو في ميزانيتها مبلغا يصرف في طبع معجم لمصطلحات العلوم الاجتماعية

باللغة العربية . وقد عهد الى المجمع اللغوي بالقاهرة باصدار المعجم الذي يفكرون فى ان يكون على نمط معجم « لالاند » الفلسفي ، على ان يشمل الى جانب التعريب تاريخ المصطلح .

❊ اصدرت مجلة «كركولا» الشعرية التي تصدر بمالقة ـ اسبانيا ـ عددا خاصا بالذكرى الخمسينية لميلاد الشاعر الاسباني ميكيل ارنانديث ، كما اصدرت مجلة «انسولا» المدريدية عددا خاصا بهذه المناسبة .

❊ لقد فسح المجال فى اسبانيا لانتاج الشاعر فدريكو كرثيا لوركا بعد اكثر من 25 سنة كان فيه محرما من جانب السلطة الاسبانية . فقد عرضت فى هذه الايام فى مدريد مسرحيته « يرما » التي نالت نجاحا كبيرا ، وكان لوركا قد ولد من جديد فى اسبانيا على افواه المحاضرين والنقاد وفى المجلات الاسبانية وفى دور الطبع ، بعد ما اكتسح اسمه العالم .

❊ اصدر الاديب الايطالي البرتو مورافيا قصة طويلة بعنوان « الملل » قال فيها بانها تعبر عن روح العصر .

❊ الدوائر الادبية فى بريطانيا تستعد للاحتفال باعظم شاعر لعام 1960 . تقوم بالاستفتاء فى هذا الموضوع جامعتا اكسفورد وكمبردج اللتين تخرجان كتابا سنويا عن الشعر .

❊ انتهى الاديب الانجليزي دزموند شتيوارث من كتابة روايته الاخيرة التي تدور احداثها فى مصر وفلسطين ولبنان والعراق فى الفترة الواقعة بين عام 1947 وعام 1952 واسم الرواية « رجال الجمعة » .

❊ كتاب جديد عن حياة اوسكار ويلد فى باريس بعد الحكم عليه بالسجن فى بريطانيا تصدره احدى دور النشر البريطانية، وهو عبارة عن يوميات واقعية.

❊ صدر اخيرا فى لندن العدد الاول من مجلة « اصوات » ، وهي مجلة ثقافية تصدر اربع مرات فى السنة .

❊ اعلن ان الكلية الجامعية فى لندن تقوم حاليا بصنع انسان ميكانيكي قادر على القراءة والكلام والكتابة وينتظر ان يتم انجازه خلال سنة واحدة . وهو اكثر فعالية من الانسان الميكانيكي الاصفر حجما الذي سبق ان قام الدكتور تايلور من اساتذة كلية الهندسة فى الجامعة بصنعه ، وباستطاعة هذا الانسان الآلي الصغير ان يعرف الاشكال الهندسية ، وبعض احرف الهجاء .

❊ تمكن المعهد الوطني الملكي للعميان فى بريطانيا من احداث اول تغيير فى طريقة بريل لقراءة المكفوفين وهي الطريقة التي ابتدعت منذ نحو 100 سنة . اما التغيير الجديد فيتناول الورق المستخدم اذ بدلا من احداث الثقوب فى ورق مانيلا الخاص ، اصبح من الممكن بموجب الطريقة الجديدة احداث نقط بلاستيكية فوق ورق عادي . الامر الذي يجعل الطباعة بهذه الطريقة ارخص واسهل ويجعل احجام الكتب التي يستخدمها المكفوفون اصغر بكثير .

❊ ما تزال جزيرة كريت تشبع رغائب العلماء بتقديمها الآثار القديمة القيمة . فقد اكتشف مفتش الآثار بلاتون فى محلة بروفتس بالقرب من سيتيا « فيلا » مينوية مكونة من ثلاثين غرفة يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر ق. م. ومن ناحية اعمال التنقيب التي يشرف عليها العالم بلاتون فى محراب اولوس كشفت عن نحو الف قطعة لذور والهة صغيرة من الفخار ، وشارات فلكية ، ومصابيح ، وكؤوس يعود تاريخها الى القرنين السادس والخامس ق. م.

❊ سجل الاحصاء ان متوسط ما يطبع من الكتب فى العالم خمسة آلاف مليون نسخة سنويا . نصف هذا الرقم من الكتب المدرسية . اما النصف الباقي فتوزيعه على هذا الشكل :

الاتحاد السوفياتي 650 مليون .
بريطانيا 286 م.
الولايات المتحدة 164 م.
المانيا الغربية 108 م.
فرنسا 100 م.
هولندا 31 م.
البرازيل 28 م.
بلجيكا 26 م.
فنلندا ويوغسلافيا معا 42 م.
البلاد العربية كلها 20 م.

فهرس العدد الرابع ـ السنة الرابعة

الصفحة

الصفحة

ديوان دعوة الحق

قصة العدد

آفاق فنية

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الرابعة
شعبان 1380
يناير 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



صورة الغلاف الاولى

قصر الباهية بمراكش : تحفة تشهد بروعة الفن المغربي في الزخرفة والنقش .

* * *

صورة الغلاف الثانية

احدى الباحات الجميلة بقصر الباهية بمدينة مراكش .

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« **دعوة الحق** » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

مطبعة فضالة - المحمدية